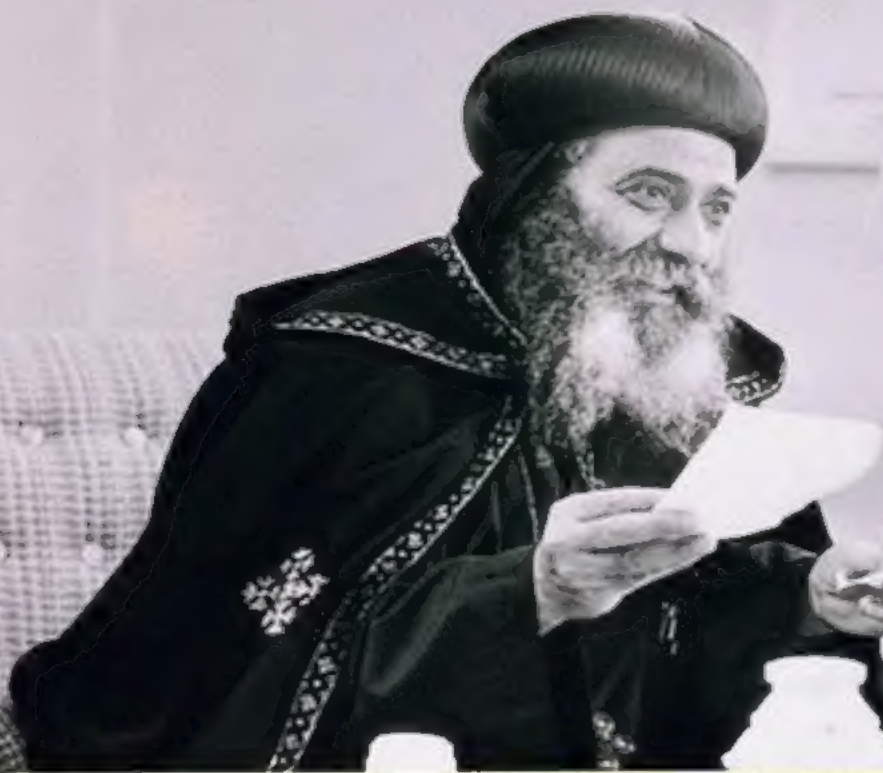


كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

البابا شنودة الثالث

حياة التواضع والوكالات





عمارة مما لم يبق في القلاع والبيوت
البيات شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبيطرس أبو الكرازة الرئيس

قصة هذا الكتاب

فكرت فى هذا الكتاب فى أواخر الخمسينات ، منذ أكثر من أربعين عاماً، قبل أن أنزل إلى عمل الأسقفية . وقرأت له كل ما استطعت قراءته من كتب الآباء، وترجمت الكثير منها، وأعددت كارتات عديدة لكافة نقاط الموضوع. ثم أعلنت عنه فى الستينات بعد أن صرت أسقفاً.

الفكرة بدأت فى حياتى الرهبانية، والتفكير فى النشر كان فى حياتى الرعوية. وواجهت مشكلة أساسية، وهو أن التواضع والوداعة فى المفهوم للرهبانى أصعب من احتمال العلمانيين الذين سينشر الكتاب بينهم...

كيف أوفق بين المثالية فى عمقها، وبين الإمكانية العملية للناس فى التنفيذ؟! ومع ذلك فحياة التواضع والوداعة مطالب بها الكل. للراهب الذى مات عن العالم وعن كل ما فيه من كرامة، وكذلك الذى يعيش فى العالم، ويجاهد أن يكون له مركز، وطموح، وتدرج فى الترقى.. وفى نفس الوقت يود أن يمارس هذه الفضيلة التى اتصف بها السيد المسيح نفسه، وأوصانا أن نتعلمها منه (مت ١١ : ٢٩). ودعا إليها الجموع فى أول عظته على الجبل (مت ٥ : ٣ ، ٥).

وظللت أنصفح أوراقى العديدة الخاصة بالموضوع، والتى ملأت حقيبة بأكملها. وأخذت أصوغ الفكر بحيث يكون مقبولاً وممكناً، مع الاحتفاظ بمثاليته. وتخليصه بقدر الإمكان من الدرجات التى لا تقوى عليها سوى الرهبنة.

وحان الوقت أن أنشر عن حياة التواضع والوداعة فى ٣٤ مقالاً فى جريدة وطنى (من منتصف عام ٢٠٠٠م).

إننا لا نستطيع أن نحجب المثالية عن الناس. وإنما نعرضها بأسلوب ممكن التنفيذ.

ولياخذ كل إنسان منها حسب طاقته. حسب قامته الروحية، ودرجة نموه، وحسب مقدار ما يعطيه الله من نعمة ومن قدرة على شركة الروح القدس (٢كو ١٣: ١٤).
إنهما كتابان كنت مشتاقاً إلى إصدارهما، مهما كان اشتياق البعض إلى عكسهما:
كتاب مخافة الله، وكتاب التواضع والوداعة.

كتاب (المخافة) بينما يشناق الناس أن أحدثهم عن محبة الله أكثر من مخافته. وقد تكلمت كثيراً عن المحبة، ونشرت فيها كتاباً باعتبارها قمة الفضائل. ولكن كان لابد أن أنشر أيضاً عن مخافة الله، لأنها نقطة البدء في الحياة الروحية، كما يقول الكتاب "بدء الحكمة مخافة الله" (أم ٩: ١٠).

وقد كان. وصدر كتاب مخافة الله، وتقبله الناس، وأعيد طبعه...
وهأنذا أصدر لكم كتاب التواضع والوداعة اللازمين للحياة الروحية. وبدونهما لا تثبت أية فضيلة، بل تصير طعاماً للمجد البطل.
وقد وضعته لكم في سبعة أبواب تحدثت فيها عن أهمية التواضع، وبعض أقوال الآباء فيه. وعن تواضع الله ووداعته. وعن خطورة الكبرياء التي هي أول خطية عرفها العالم، وبها سقط الشيطان والإنسان. وعن البر الذاتي، والعظمة، ومحبة المديح والكرامة.
كل ذلك مع تداريب كثيرة عن اقتناء التواضع والوداعة، وتفاصيل صفات كل منهما، وكيفية أقتنائهما.

واترك الكتاب بين يديك، فيه العديد من التفاصيل.
وليساعدك الرب على اقتناء هاتين الفضيلتين، بنعمته وروحه القدس.

البابا شنودة الثالث

أبريل ٢٠٠١

الباب الأول :

حياة الاتضاع

- مَا هُوَ الاتضاع ؟
- مَرَكْزُهُ بَيْنَ الْفَضَائِلِ .
- تَطْوِيلُ الاتضاع .
- أَمْثَلُهُ عَلَيْهِ .
- اتضاعُ اللَّهِ .
- حَثَ عَلَى الاتضاع

أود أن أبدأ معكم اليوم سلسلة عن موضوع هام هو التواضع والوداعة: ما هو التواضع وما معناه؟ وماذا قال الآباء في مدحه وتطويبه؟ بل ماذا قال الكتاب المقدس؟ وما مركز التواضع بين الفضائل؟ وما علاقته بالمواهب العليا؟ وما علاقته بالنعمة والتجارب؟ وكيف يكون الإنسان متضعاً؟..

هذا كله وغيره، هو ما نود أن تحدثك عنه بمشيئة الله في هذا الكتاب، لكي تدرك ما هي هذه الفضيلة الكبرى، وما تحويه داخلها من فضائل متعددة..

الارتضاع بين الفضائل :

الارتضاع هو الأساس الذي تبنى عليه جميع الفضائل .

وهو السور الذي يحمي جميع الفضائل وجميع المواهب .

ومن هنا يمكن أن نعتبره الفضيلة الأولى في الحياة الروحية. الأولى من حيث ترتيب البناء الروحي، الذي تجلس في قمته المحبة من نحو الله والناس . هو إذن نقطة البدء. ورب المجد في العظة على الجبل، بدأ التطويبات بقوله "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات" (مت ٥ : ٣). ثم طوبى الودعاء (مت ٥ : ٥).

✱ ✱ ✱

إن كل فضيلة خالية من الارتضاع ، عرضة أن يختطفها شيطان المجد الباطل، ويبيدها الزهو والفخر والإعجاب بالنفس .

لذلك إذا منحك النعمة أن تسلك حسناً فى إحدى الفضائل، اطلب من الرب أن يمنحك اتضاعاً حتى تنسى أنك سالك فى فضيلة، أو حتى تدرك أنها لا شئ إذا قورنت بفضائل القديسين... كذلك إن منحك الله موهبة من المواهب السامية، ابتهل إليه أن يعطيك معها إتضاع قلب، أو أن يأخذها منك، لئلا تقع بسببها فى الكبرياء وتهلك...

وحسناً ، يعمل الله ، إذ يعطى مواهبه للمتواضعين ..

لأنه يعرف أنها لا تؤذيهم. وقد اختار للتجسد الإلهي فتاة متواضعة تتسحق أمام ذلك المجد العظيم.. وهكذا نظر إلى إتضاع أمته" (لو ١: ٤٨)، هذه التى تستمر فى إتضاعها مهما كانت جميع الأجيال تطوبها (لو ١: ٤٨). ويقول الكتاب إن الله يكشف أسراره للمتضعين، وأنه يعطيهم نعمة (يع ٤: ٦) (١بط ٥: ٥) (أم ٣: ٣٤). هؤلاء الذين كلما زادهم اله مجداً، زادوا هم اتضاعاً وانسحاق نفس قدامه.

✱ ✱ ✱

والإتضاع ليس فقط فضلة قائمة بذاتها، إنما هو أيضاً متداخل فى باقى الفضائل.

إنه كالخيوط الذى يدخل فى كل حبات المسبحة.. بحيث لا يكون قيام لأية حبة منها، ما لم يدخل هذا الخيط فيها.. فكل فضيلة لا إتضاع فيها، لا تعتبر فضيلة، ولا يقبلها الله. لذلك قلنا إن الإتضاع أساس لكل الفضائل. كما قلنا أيضاً إنه سور لها يحميها من المجد الباطل .

تطويب التواضع :

إن السيد المسيح الذى تتكامل فيه جميع الفضائل، حينما أراد أن يوجه تلاميذه القديسين إلى الاقتداء به، قال لهم:

"تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩).

قال هذا على الرغم من أن كل فضيلة يمكننا أن نتعلمها منه.. كان يمكن أن يقول: تعلموا منى الحكمة، المحبة، الحنو، الهدوء، الخدمة، التعليم، قوة الشخصية.. فلماذا إذن ركّز على التواضع والوداعة؟.. أليس من أجل الأهمية القصوى لهاتين الفضيلتين؟

وهكذا نرى التواضع بارزاً فى أقوال الآباء وفى حياتهم ...

قال مارسحق "أريد أن أتكلم عن التواضع ولكننى خائف، كمن يريد أن يتكلم عن الله.. ذلك لأن التواضع هو الحلة التى لبسها اللاهوت لما ظهر بيننا.. ولهذا فإن الشياطين

حينما ترى شخصاً متواضعاً، تخاف. لأنها ترى فيه صورة خالقه الذى قهرها...

حقاً، ما أعجب هذا الكلام عن التواضع !



التواضع يستطيع أن يقهر الشياطين :

وهذا واضح جداً فى قصة أنا مقار الكبير، الذى ظهر له الشيطان وقال له: "ويلاه منك يا مقاره. أى شئ أنت تفعله، ونحن لا نفعله؟! أنت تصوم، ونحن لا نأكل. أنت تسهر، ونحن لا ننام. أنت تسكن البرارى والقفار، ونحن كذلك. ولكن بشئ واحد تغلبنا". فسأله القديس عن هذا الشئ، فأجاب: "بتواضعك وحده تغلبنا". وهذا واضح طبعاً. لأن الشيطان لا يستطيع أن يكون متواضعاً. فهو باستمرار متكبر وعنيد. لذلك يقدر المتواضع أن يقهره. فهو يملك التواضع الذى لم يقدر أن يملكه الشيطان.



وتظهر قيمة التواضع فى حياة القديس الأنبا أنطونيوس:

أبصر هذا القديس العظيم فخاخ الشيطان مبسطة على الأرض كلها. فألقى نفسه أمام الله صارخاً: "يارب، من يقلت منها؟". فأتاه صوت من السماء يقول "المتضعون يفلتون منها". وهنا لعل البعض يسأل: "ولماذا المتضع بالذات هو الذى يقلت من فخاخ الشياطين؟". ونجيبه:

المتضع إذ يشعر بضعفه، يعتمد على قوة الله.

فتسند قوة الله، وتحميه من فخاخ الشياطين.

وذلك على عكس (الحكيم) المعتمد على حكمته. وعكس (القوى) المعتمد على قوته، و(البار) الواثق ببره.. أما المتواضع المتأكد تماماً والمعتزف، إنه لا قوة له ولا حكمة ولا برّ، فإن الله يسند ضعفه ويحارب عنه. وهذا هو أخشى ما يخشاه الشيطان..



ولذلك فإن إخراج الشياطين يحتاج قبل كل شئ إلى إتضاع. وإن كان الرب قد قال "هذا الجنس لا يخرج بشئ إلا بالصلاة والصوم" (مت ١٧: ٢١)... فذلك لأن الصلاة والصوم يظهر فيهما الإتضاع بكل وضوح. فالذى يصلى، يعترف ضمناً أنه ليست له قوة ذاتية، لذلك يطلب القوة من فوق بالصلاة. وإذا خرج الشيطان لا يفتخر بإخراجه. لأن ذلك لم يتم بقوته، إنما بقوة الله التى تدخلت بالصلاة. وكذلك فإن الصوم الحقيقى هو الذى

ينسحق فيه الإنسان وينتذل أمام الله بالانضاع، ويشعر بضعه ...

✱ ✱ ✱

والشياطين كانت بالانضاع ، تهرب أمام القديس أنطونيوس .

القديس أنطونيوس أبو الرهبنة كلها، عندما كان الشياطين يحاربونه بعنف، كان يرد عليهم بانضاع قائلاً: "أيها الأقوياء، ماذا تريدون مني أنا الضعيف؟ أنا عاجز عن مقاتلة أصغركم". وكان يصلي إلى الله ويقول "إنقذني يارب من هؤلاء الذين يظنون أنني شيء، وأنا تراب ورماد". فعندما كان الشياطين يسمعون هذه الصلاة الممتلئة انضاعاً، كانوا ينقشعون كالدخان. حقاً لقد أتقن القديسون الانضاع بمثل هذه الصورة العجيبة...

ولم يتضعوا فقط أمام الله والناس، بل حتى أمام الشياطين . وهزمهم بانضاعهم .

كما رأينا في سيرة القديس الأنبا أنطونيوس، وفي سيرة القديس مقاريوس الكبير، وكما نرى في سير باقي القديسين .

✱ ✱ ✱

ولعل عظمة الانضاع تظهر جلية. عندما نتأمل بشاعة الرذيلة المضادة له، أعنى الكبرياء والعظمة:

الكبرياء أهدرت من السماء ملاكاً بهياً، وحوّلته إلى شيطان .

حقاً ، إن أول خطية عرفها العالم هي الكبرياء، التي سقط بها الشيطان. وقصة سقوطه سجلها أشعياء النبي، في قول الوحي الإلهي لهذا الملاك الساقط: "وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات. أرفع كرسيّ فوق كواكب الله.. أصير مثل العلى. لكنك إنحدرت إلى الهاوية، إلى أسفل الجب" (إش ١٤: ١٣، ١٤).

✱ ✱ ✱

وبنفس سقطة الكبرياء، أغوى أبونا الأولين .

كما قال في قلبه "أصير مثل العلى"، هكذا قال لأبونا الأولين "تصيران مثل الله، عارفين الخير والشر" (تك ٣: ٥). من هنا يبدو أن الكبرياء لا تكتفى مطلقاً، بل تريد أن تعلو باستمرار ، مهما كانت درجتها عالية... حتى إن كان الواحد ملاكاً في درجة الكاروب، مملوءاً حكمة وكامل الجمال (حز ٢٨: ١٤، ١٢)، أو كان صورة الله في شبهه (تك ١: ٢٦، ٢٧). يريد أيضاً أن يعلو ويرتفع. ولكنه في هذه الكبرياء يهبط إلى أسفل، حسبما قال الرب .

كل من يرفع نفسه يتضع . ومن يضع نفسه يرتفع" (لوقا : ١٤ : ١١) .

✱ ✱ ✱

الملاك لما أراد أن يرتفع، انحدر إلى الهاوية إلى أسافل الحب، وفقد مكانته كملاك، وصار شيطاناً.. والإنسان - وهو صورة الله - لما أراد أن يرتفع، فقد صورته الإلهية، وطُرد من الجنة، وعانى ما عانى.. ولعل أصعب شيء يتعرض له المتكبر، أن الله نفسه يقف ضده. لذلك ما أخطر قول الكتاب :

"يقاوم الله المستكبرين" (يع ٤ : ٦) .

فى نفس الوقت الذى أشفق فيه الله على الخطاة والعشارين، وقادهم إلى التوبة، يقول الرسول إن الله يقاوم المستكبرين... وهؤلاء الذين يقاومهم الله، ما مصيرهم؟! فهل تريد أن تعرض نفسك إلى مقاومة الله نفسه لك؟!.. يعزينا النصف الثانى من نفس الآية، حيث يقول : "وأما المتواضعون فيعطيهـم نعمة" .

✱ ✱ ✱

لنيتنا نخاف من قول الوحي الإلهى فى سفر اشعيا .

"إن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع... وعلى كل أرز لبنان العالى، وعلى كل بلوط باشان... وعلى كل الحبال العالية - وعلى كل التلال المرتفعة.. فيخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس. ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم" (إش ٢ : ١٢ - ١٧) .

ما هو التواضع ؟

بعض أقوال الآباء عنه ...

ما هو التواضع ؟

ليس التواضع أن تنزل من علوك، أو تنازل إلى مستوى غيرك .

ليس التواضع أن تشعر أنك على الرغم من عظمتك، فإنك تتصاغر أو تخفى هذه العظمة. فشعورك أنك كبير أو عظيم، فيه شيء من الكبرياء . وشعورك أنك في علو تنزل منه، ليس من التواضع في شيء. وشعورك بأنك تخفى عظمتك، فيه إحساس بالعظمة، إحساس بعظمة تخفيها عن الناس. ولكنها واضحة أمام عينيك...

إن الله هو وحده العالی، وهو وحده الذى يتنازل من علوه. هو الخالق. أما الباقون فهم تراب ورماد ...

إنما التواضع بالحقیقة - كما قال الآباء - فهو معرفة الإنسان لنفسه .

فتعرف من أنت؟ إنك من تراب الأرض. بل التراب أقدم منك. كان قبل أن تكون. خلقه الله أولاً، ثم خلقك من تراب.



أتذكر أننى ناجيت هذا التراب ذات مرة، فى أبيات قلت فيها :

يا تراب الأرض يا جدى وجد الناس طمرا
أنت أصلى أنت يا أقدم من آدم عمرا
ومصيرى أنت فى القبر إذا وُسدت قبراً

بل أنك يا أخى - إذا فكرت فى الأمر بالتضاع . تجد أن هذا التراب لم يغضب الله،
كما أغضبته أنت بخطاياك .



إعرف أنك لست فقط تراباً . بل أنت أيضاً خاطئ وضعيف .

على أن تكون هذه المعرفة يقينية، بشعور حقيقى غير زائف داخل نفسك.. حتى وأنت
فى عمق قوتك، تدرك أن هذه القوة ليست منك. بل هى منحة سماوية لك من الله الذى
يسند ضعفك. ولو تخلت عنك نعمته لحظة واحدة، لكنت تسقط كما سبق لك أن سقطت.



نقول لك ، لأن كثيرين لهم مظهرية التضاع ، بينما قلوبهم فى الداخل ليست
متضعة ...

كثيرون يتحدثون بأنفاظ متضعة.. وهذه الأنفاظ ربما تزيدهم علواً فى نظر الناس. وهم
يعرفون ذلك وربما يريدونه! وقد يقول الشخص منهم إنه خاطئ وضعيف. ولكن إن قال
له أحد إنه خاطئ وضعيف، يثور ويغضب. ولا يحسبه من أحيائه، بل يتغير قلبه من
نحوه..!

إذن التواضع الحقيقى ، هو تواضع من داخل النفس أولاً ...

بافتتاح قلب . لا عن تظاهر أو رياء . وليس لأن هذا هو الثوب الذى ترتديه لتبدو
أمام الناس باراً. إنما لأنك تدرك تماماً عن نفسك ببراهن وأدلة عملية أنك خاطئ وضعيف
بحسب خبرات حياتك من قبل.



ولا يقتصر الأمر على معرفتك لنفسك أنك هكذا، إنما أيضاً:

تعامل نفسك حسب ما تعرفه عنها من خطأ ونقص وضعف :

تعرف عن نفسك أنك خاطئ، وتعامل نفسك كخاطئ . وإن عاملك الناس كخاطئ،
تقبل ذلك، ولا تغضب ولا تتذمر ، ولا ترد بالمثل، شاعراً أنك تستحق ذلك. وإن لم
يعاملوك بحسب خطاياك بسبب أنهم لا يعرفونها، فعليك أن تستحق من الداخل، وتشكر
الله بقلبك على معاملة أنت لا تستحقها منهم، ولا منه لأنه سترك ولم يكشفك لهم...



إن كان الأمر هكذا ، فالمتواضع لا يجزئ مطلقاً على أن يمدح نفسه .

إنه لا يرى فقط أنه خاطئ وضعيف ، بل أنه أكثر الناس خطأ وضعفاً ، على الأقل

بالنسبة إلى الإمكانيات التي اتبحت له ولم يستغلها، لذلك فهو لا يرى مطلقاً أنه أفضل من أحد، وإن بدا أنه الأفضل في نقطة معينة، فهو الأضعف في نقاط أخرى كثيرة يعرفها عن نفسه. ولهذا فهو لا يدين أحداً.

* * *

بل إنه باستمرار يتخذ المتكأ الأخير، حسب وصية الرب (لو ١٤ : ١٠). وليس المقصود هو المتكأ الأخير من جهة المكان، إنما من جهة المكانة. وكما قال الشيخ الروحاني : "فى أى موضع حلت فيه، كن صغير أخوتك وخديمهم. وقيل "كن آخر المتكلمين، ولا تقطع كلمة من يتكلم لكى تتحدث أنت" .. "وحاول أن تتعلم، لا أن تعلم غيرك وتظهر معارفك".

* * *

والإنسان المتضع يجب أن يعمل الفضيلة فى الخفاء .

وذلك حسبما أمر الرب (مت ٦). ولذلك لا يوافق الاتضاع مطلقاً، أن يتحدث أحد عما يقوم به من أعمال فاضلة، أو ما يحدث له من رفعة.

إن بولس الرسول الذى صعد إلى السماء الثالثة، وسمع كلمات لا يُنطق بها، لم يقل إن ذلك قد حدث له، إنما قال "أعرف إنساناً فى المسيح يسوع.. أفى الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم.. أختطف هذا إلى السماء الثالثة.. أختطف إلى الفردوس. وسمع كلمات لا يُنطق بها" (٢كو ١٢ : ٢-٤).

إن الفضيلة فى المتضع ، مثل كنز مخفى فى حقل .

وما أكثر القصص التى يحكيها لنا تاريخ القديسين عن أولئك المتواضعين الذين أخفوا فضائلهم، وأخفوا معرفتهم، بل أخفوا ذواتهم أيضاً. وعاشوا مجهولين من الناس، ويكفى أنهم كانوا معروفين عند الله. وكان ينطبق عليهم قول الرب فى سفر النشيد "أختى العروس جنة مغلقة، عين مغلقة، ينبوع مختوم" (نش ٤ : ١٢) ... كالقديسة العذراء مريم: كانت كنزاً للرب والاستعلاات. ومع ذلك ظلت صامتة تحفظ كل تلك الأمور ، متأملة بها فى قلبها" (لو ٢ : ٥١).

تطويب الآباء والقديسين للتواضع

بعض أقوال الآباء :

★ لما سئل القديس مقاريوس "أى الفضائل أعظم؟" أجاب "كما أن التكبر أسقط ملاكاً من علوه وأسقط الإنسان الأول، كذلك الإبتضاع يرفع صاحبه من الأعماق". أليس هو المقيم المسكين من التراب ليجلس رؤساء شعبه" (مز ١١٣) "أنزل الأعداء عن الكراسي، ورفع المتضعين" (لو ١: ٥٢).



★ قال القديس أغسطينوس : المتواضعون كالصخرة، تنزل إلى أسفل، ولكنها ثابتة وراسخة.. أما المتكبرون فإنهم كالدخان يعلو إلى فوق ويتسع. وفيما هو يعلو ويتسع، يضمحل ويتبدد ...



★ وقد قتم القديسون مثلاً آخر عن التواضع والكبرياء، فقالوا :
إن غصن الشجرة المحمل بالثمار، يكون منحنيّاً من ثقل ما يحمل. أما الغصن الفارغ فيكون مرتفعاً!

وهناك تشبيه آخر وهو الأساس والبناء : فالأساس يعمل في إختفاء، وهو غير ظاهر، تحت الأرض لا يراه أحد. ولكنه يحمل البناء كله في إنكار ذات.. وفي نفس الوقت يقدّم البناء في الكرامة. فيمدح الناس البناء لأنه ظاهر أمامهم. ويندر أن يفكر أحد في مدح الأساس المخفي .



★ قال الأنبا موسى : تواضع القلب يتقدم الفضال كلها. كما أن الكبرياء أساس الشرور كلها.



★ وقال مار اسحق : الذى يعرف خطاياه، خير له من نفعه الخليفة كلها بمنظره. والذى يتنهد كل يوم على نفسه بسبب خطاياه، خير من أن يقيم الموتى.. والذى استحق أن يبصر خطاياه، خير له من أن يبصر ملائكة .



★ وقال أحد القديسين : تشبه بالعشار لئلا تُدان مع الفريسي .
وقال قديس آخر : إنى أفضل أن أكون مهزوماً باتضاع، على أن أكون منتصراً بافتخار .

★ وفى إحدى المرات قال أخ للقديس تيموثاوس "إنى أرى فكرى مع الله دائماً".
فأجابه: الأفضل من ذلك أن ترى نفسك تحت كل الخليفة .



★ قال شيخ : الإبتضاع خلّص كثيرين بلا تعب. وتعب الإنسان بدون إبتضاع يذهب باطلاً. لأن كثيرين تعبوا فاستكبروا وهلكوا .

★ وقال آخر : إن برل الإبتضاع إلى الجحيم، فإنه يصعد حتى إلى السماء. وإن صعدت اعظمة إلى السماء، فإنها تنزل إلى الجحيم .



★ وقال أنبا بيمن : "كما أن الأرض لا تسقط لأنها كائنة إلى أسفل، هكذا من يضع نفسه لا يسقط" .



★ قال مار أوغريس : إن الشياطين تخاف من المتواضع لأنهم يعرفون أنه قد صار مسكناً للرب". وقال أيضاً "كما أن كثرة الأثمار تضع أغصان الأشجار، كذلك كثرة الفضائل تضع قلب الإنسان".

★ سئل شيخ : "كيف أنه يوجد أناس يقولون إننا نرى ملائكة؟" فأجاب : طوباه الذى يرى خطاياه كل حين .



★ قال سمعان العمودى "الإبتضاع هو مسكن الروح وموضع راحته. والمتواضع لا يسقط أبداً. إذ كيف يسقط، وضميره وفكره تحت جميع الناس؟!... سقوط عظيم هو

الكبرياء. وعلو عظيم هو الإلتضاع. فلنعود نفوسنا من الآن أن نتمسك بالإلتضاع ونجعله لنا عادة، حتى إن كان قسبنا لا يشاء .



★ قال القديس درووثيوس : فى الواقع لا يوجد أقوى من التواضع، لأنه لا شئ يمكن أن يقهره .



★ قال ماراسحق : الشجرة الكثيرة الأثمار ، تتحنى أغصانها من كثرة أثمارها، ولا تتحرك مع كل ريح. والشجرة العديمة الثمر تتسامخ أغصانها، ومع كل ريح تتحرك.

★ وقال أيضاً : مقبول عند الله سقوط باتضاع وندامة، أكثر من القيام بافتخار .



★ قال أحد الآباء : لما انتهت الإنسان الأول مجد الألوهية حسب قول الشيطان تصيران مثل الله (تك: ٣: ٥)، حينئذ فقد الإنسان مجد البشرية كما خلقت على صورة اله (تك: ١: ٢٧).



★ فى إحدى المرات قال القديس يوحنا القصير للأخوة "من الذى باع يوسف الصديق؟ فقالوا له "أخوته". فقال "ليس أخوته الذين باعوه، لأن تواضعه هو الذى باعه. لأنه كان قادراً أن يقول للذى يشتراه إنه أخوهم، ولكنه سكت، وباتضاعه بيع، وصار مديراً لمملكة مصر".



★ قال القديس برصنوفوس : إن هذه الفضائل الثلاث الآتية جليلة جداً. ومن يقتنيها يستطيع أن يسكن فى وسط الناس وفى البرارى وحيثما أراد. وهى : أن يلوم الإنسان نفسه، ويقطع هواه، ويصير تحت كل الخليفة.

★ وقال أيضاً : إن المتضع كائن فى أسفل. والذى هو فى أسفل، لا يسقط. أما المتعالى فهو الذى يسقط بسرعة.



★ وقال ماراسحق: من سعى وراء الكرامة، هربت منه. ومن هرب منها بمعرفة، سعت إليه .

★ وقال أيضاً: كلم يحقر المتواضع نفسه ويرذل ذاته، كلما تتوافر كرامته عند سائر الخليفة .

★ وقال أيضاً : المتواضع لا يبغيضه أحد، ولا يحزبه بكلمة، ولا يزدري به. لأن سيده جعله محبوباً عند الكل. كل أحد يحبه. وكل موضع يوجد فيه، فمثل ملاك الله ينظرون إليه، ويفرزون له الكرامة.

يتكلم الحكيم أو المتفلسف ويسكتونه. ويعطون فرصة للمتواضع أن يتكلم. وأذان الجميع منصتة إلى منطق فمه، يفتشون على معنى فهمه. وكلامه حلو في مسامع الحكماء أشهى من الشهد لذوق آكله .

إن كان الإتضاع يعلى شأن الأمي والذي لا علم له، فالقوم الأجلاء الأماثل، كم كرامة تظن الإتضاع يسببها لهم!

✱ ✱ ✱

★ سنل القديس يوحنا الأسيوطي "من هو الإنسان الكامل في المعرفة؟" فأجاب: هو الذي يحسب جميع الناس أفضل منه .

★ وقال أيضاً "إن عاملنا أنفسنا كخطاة ، لا ندان كخطاة" .

✱ ✱ ✱

★ وقال أحد الآباء : إن قال أحد لرفيقه "اغفر لي" وهو متضع في قلبه، فإن الشياطين تحترق.

✱ ✱ ✱

★ وقال القديس أوغسطينوس: على قدر ضخامة البناء الذي يُشيد، ينبغي أن يكون عمق الأساس الذي يُحفر إلى أسفل. وكلما يرتفع البناء، هكذا ينبغي أن ينخفض الأساس. فإذا كانت القمة عالية جداً، وهي رؤية الله وملكوته وسمائه، يجب إذن أن نعمق الأساس، ننزل إلى تحت بالإتضاع.. وهكذا ترى البناء أولاً تحت، قبل أن يكون فوق. والقمة لا ترتفع إلا بعد الإتضاع.

★ وقال أيضاً : إن الاتضاع هو الفضيلة المعتبرة بوجه خاص في مدينة الله، إذ كانت بوجه خاص من مميزات المسيح ملكها. وهو أوصى بها سكانها أثناء غربتهم الحالية على الأرض. وبنفس الوضع تكون الكبرياء التي هي الرذيلة المضادة لهذه الفضيلة، وهي المسيطرة بوجه خاص على الشيطان مقاوم المسيح، هي المميّزة لمدينة الشيطان .

✱ ✱ ✱

★ وقال القديس بلاجيوس عن إيمان أحد كهنة الأوثان :
"وذهب وصار رهباً. ومن بداية حياته تمسك جداً بالإتضاع. وكان يقول: إن التواضع

يستطيع أن يبطل كل قوة المعاند. كما سمعت من الشياطين الذين كانوا يقولون: كلما نثير الرهان يتحولون إلى التواضع، ويعتدرون بعضهم لبعض. وهكذا يطنون كل قوتنا".

✠ ✠ ✠

★ وقال الشيخ الروحاني : ذخرة امتضع دخله، أى الرب .

وقال أيضاً : من لا يحبك أيها المتضع الطيب، إلا المفتخر والمتعقم الذى أنت غريب عن عمله؟! تأملوا أولئك أولئك الحابزة اناء: كيف طرّقوا لنا الطريق، إذ لبسوا التواضع الذى هو رداء المسيح. وبه رفضوا الشيطان وربطوه بقيود الظلمة.

✠ ✠ ✠

★ أب تادرا الذى كان بقيود صلاته يربط الشياطين خارج قلّيته، كان يجعل نفسه آخر جميع الناس. ومن الخدمة الكريمة كان يهرب .

★ حقاً إن مسكن الله هو نفس المتواضع، كما قال القديس مار أفرام: "يطأطن المتواضع راسه بروح منسحقة، ويصير مسكناً للثالوث القدوس".

★ وقال القديس سمعان العمودي : الاتضاع هو مسكن الروح وموضع راحته.

★ وقال مار أفرام : نجاح عظيم وشرف مجيد هو الاتضاع، وليست فيه سقطة .

✠ ✠ ✠

★ وقال مار اسحق : الاتضاع يتقدم النعمة. والعظمة تتقدم التأديب.

أما عبارته الأولى ، فتوافق قول القديس يعقوب الرسول "يقاوم الله المستكبرين. أما لمتواضعون فيعطيه نعمة" (يع ٤: ٦). ذلك لأن المتواضعين إذا عملت فيهم النعمة وجحوا، لا ترتفع قلوبهم بسبب نجاحهم، بل يقول كل منهم مع القديس بولس الرسول "ولكن لا أنا، بل نعمة لله التى معى" (١كو ١٥: ١٠). ويذكرون باستمرار قول الرب "بدوى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥: ٥). بعكس ذلك المتكبر : فإنه كلما عملت فيه النعمة عملاً، ينسه إلى نفسه فيردد كبرياء!

✠ ✠ ✠

أما قول مار اسحق "إن العظمة تتقدم التأديب، فلعله أعتمد فيها على ما قيل فى سفر الأمثال:

"قبل الكسر الكبرياء . وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦: ١٨).

ذلك لأن المتكبر حينما ينتفخ قلبه، تتخلى عنه النعمة فيسقط، حتى يشعر بضعفه فيتضع، ولا يعود يسب كل نجاح إلى قدرته وكفائه وذكائه.. ناسياً عمل الله فيه! وأيضاً

يسقط هذا المتكبر ، لأن الله يقاوم المستكبرين كما قال الرسول (يع: ٤ : ٦). ولأن المستكبرين لا يضعون الله أمامهم، ولا يعطون مجداً لله، كما فعل هيرودس الملك "فضربه ملاك الرب وصار يأكله الدود ومات" (أع: ١٢ : ٢٣). هكذا تكون نهاية المتكبرين.



وللقديس أوغسطينوس تأملات في بعض المزامير الخاصة بالإتضاع :

★ مثل "قريب هو الرب من المنكسرى القلوب، ويخلص المنسحقى الروح" (مز ٣٤ : ١٨). وأيضاً "الرب عالٍ ويعاين المتواضعين" (مر ٣٨ : ٦)، وكذلك "من مثل الرب إلها الساكن فى الأعالي والناظر إلى المتواضعات فى السماء وعلى الأرض. المقيم المسكين من التراب، والرافع البائس من المذبة ليحلسه مع رؤساء شعبه" (مز ١١٣ : ٥ - ٨).



★ فيقول القديس أوغسطينوس: سرّ عظيم يا أخوتي: الله هو فوق الكل. ترفع نفسك فلا تلمسه. تضع ذاتك فينزل إليك..

إن الله يسكن فى الأعالي فى السماء. هل تريد أن يقترب إليك؟ إتضع. لأنه على قدر ما ترتفع نفسك، على قدر ما يرتفع هو عنك. أنت تعلم أن الله عالٍ. فإن جعلت ذاتك عالياً مثله، فسيبعد عنك...

الله عالٍ ، ويعاين الأشياء المتواضعة فى السماء وعلى الأرض. فهل هذه الأشياء المتواضعة التى يعاينها، هى ذات مسكنه العالى، لأنه هكذا يرفع المتواضعين. لذلك فهو يسكن فى أولئك الذين يرفعهم إلى الأعالي، ويجعلهم سموات لنفسه.. إنه الرب العالى الساكن فى قدسيه.

فإن كان الرب إلها يعاين يعاين متواضعات أخرى فى السماء غير التى يعاينها على الأرض، فإنى أفترض أنه يعاين فى سموات المتواضعين الذين دعاهم والذين يسكن فيهم. بينما على الأرض يعاين الذين يدعواهم لكي يسكن فيهم.



قال القديس دوروثيوس :

الذى يبنى بيتاً ، لا بد أن يضع ملاطاً (مونة) على كل حجر . لأنه إن وضع حجراً على حجر بدون ملاط، فإن الحجارة تسقط والبيت يهار . فإن كانت الحجارة فى بناء النفس هى الفضائل، فإن الملاط يكون هو التواضع. حيث أنه يؤخذ من الأرض، وهو تحت قدمى كل

أحد.. وكل فضيلة تمارس بدون تواضع، ليست هي فضيلة".

★ وصدق القديس دوروثيوس . لأن الأباء قد قالوا: كل فضيلة يعملها الإنسان بدون إتضاع، تكون طعاماً للشيطان المجد الباطل.

✱ ✱ ✱

★ وفى ذلك قال مار اسحق أيضاً : كما أن الملع يصلح لجميع المأكّل، هكذا هو الإتضاع لكل الفضائل. لأن بدونه بطل هو كل عمل وكل فضيلة .

★ قال القديس باسيليوس الكبير :

التواضع هو الكنز الذى يحفظ جميع الفضائل ...

✱ ✱ ✱

★ وقال القديس مارأوغريس :

"التواضع هو عطية من الثالوث القدوس. هو طريق الملائكة، ونار على الشياطين.. وهو غنى لا يسرق".

★ ويتفق مار اسحق مع مار أوغريس فى أن الإتضاع عطية من الله. فيقول "التواضع هو موهبة عظيمة. هل يمكن أن يكون إنسان هكذا "مردولاً فى عينى نفسه"؟! هل يستطيع الطبع أن يغيّر ذاته هكذا؟! لأجل هذا لا تشك أن التواضع قوة سرّية، حيث لا يتحایل إنسان أن يكون هكذا، بغير تغصب من كل قلبه.

✱ ✱ ✱

★ وقال القديس أوغسطينوس :

.. فلنتمسك بالإتضاع. إن لم يكن لنا حتى الآن، فلنتعلمه. وإن كان لنا، فلا نفقده.. ولنقبل فى هذا العالم وصية الاتضاع، لكي نستحق فى العالم الآخر أن نقبل الرفعة التى وُعد بها المتصعين.

✱ ✱ ✱

★ قال مارأوغريس :

الإتضاع سياج يحفظ الصاعد.. وهكذا إذا ارتفعت إلى علو الفضائل، فأنت تحتاج إلى تحفظ كثير . لأن الذى على الأرض إن سقط، فإنه يقوم سريعاً. وأما الذى يسقط من العلو، فإنه يعذب إلى الموت .

✱ ✱ ✱

★قال مارافرام السرياني :

فليؤدبك رسم الذى يكتس بيته: إذا يطأطن إلى الأرض ويظفه. فكم بالأكثر يحتاج الإنسان أن يطأطن باهتمام كثير ويتضع من أجل تنظيف النفس، ولا يترك فيها الأشياء التى يمقتها الله .

★وقال أيضاً : فى النفس المتواضعة يسكن الأب والابن والروح القدس.. وفى الكبرياء يسكن القائل "لأصعدن إلى السماء وأجلس فى الجبل الشامخ، وأرتقى فوق الغيوم، وأصير مثل العلى" (اش ١٤) .



★وقال ماراسحق :

★الذى يتكلم على المتواضع بالازدراء والاستهزاء، لا يحسبونه من الأحياء، بل كأنسان قد أطلق لسانه على الله .

★وقال أيضاً : حتى الشياطين - مع جميع شرورها وافتخار قلوبها - إذا دبت من المتواضع، صارت مثل التراب، وبطل شرها جميعه وكل حيلها وأعمالها.

★وقال أيضاً : من ذا الذى لا يستحى من رؤية المتواضع؟!

★قبل أن يظهر مجد للتواضع، كان منظره المملوء قدساً محتقراً من كل أحد. أما وقد ظهرت عظمة الإتضاع فى العالم كله، فإن كل أحد يوقر ويكرم هذا الشبه .

حث على الاتضاع

★ في إحدى المرات سأل أحد الأخوة القديس الأنبا باخوميوس أب الشركة قائلاً: "قل لنا عن منظر من المناظر التي تراها لنستفيد منه"
فأجابه القديس : إن من كان مثلي خاطئاً لا يُعطى مناظر . ولكن إن شئت أن ترى منظرأ بهياً يفيدك بالحق، فإنني أدلك عليه وهو : إذا رأيت إنساناً متواضعاً بقلبه طاهراً، فهذا أعظم من سائر المناظر . لأنك بواسطته تشاهد الله الذي لا يُرى. فعن أفضل من هذا المنظر لا تسأل (يقصد أنه يرى في هذا الإنسان صورة الله المتواضع).
✱ ✱ ✱

★ قال القديس أوغسطينوس :

أنت تريد أن تحصل على كل شيء. اطلب ذلك عن طريق الإتضاع:
لما قالت المرأة الكنعانية "نعم يارب، ولكن الكلاب تأكل من الفتات الساقط من مائدة أسياها" سمعت قوله "يا امرأة عظيم هو إيمانك" (مت ١٥ : ٢٧ - ٢٨).
وأيضاً لما قال قائد المائة "لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف بيتي" قال الرب "الحق لم أحد ولا في إسرائيل إيماناً عظيماً مثل هذا" (لو ٧ : ٦ - ٩).
فلنتمسك بالاتضاع: إن لم يكن لنا حتى الآن، فلنتعلمه . وإن كان لنا فلا نفقده .
✱ ✱ ✱

★ قال أنبا ابراكسيوس :

إن شجرة الإتضاع التي ترتفع إلى العلواء هي التواضع .
وقال أيضاً : تشبه بالعشار ، فلا تدان مع الفريسي .

★ وقال الأنبا أنطونيوس :

أحب الاتضاع ، فهو يعطى جميع الخطايا .

✠ ✠ ✠

★ وقال الأنبا برصنوفوريوس :

اقفن الاتضاع ، فإنه يكسر جميع فحاح العدو .

✠ ✠ ✠

★ وقال الأنبا اشعيا :

أحب الاتضاع ، فهو يحفظك من الخطية .

✠ ✠ ✠

★ وقال الأنبا باخوميوس :

اسلك طريق الاتضاع ، لأن الله لا يرد المتواضع حائثاً. لكنه يُسقط المتكبر ، وتكون سقطته شنيعة .

احذر من تكبر القلب ، لأنه أشنع الرذائل كلها .

★ وقال أيضاً : كن متواضعاً لتكون فرحاً. لأن الفرح يتمشى مع الإتضاع. كن متضعاً

ليحرسك الرب ويقويك. فإنه يقول إنه ينظر إلى المتواضعين. كن وديعاً، لكي يملكك الرب
حكمة ومعرفة وفهماً. لأنه مكتوب أنه يهذى الودعاء بالحكم، ويعلم المتواضعين طرقه.

✠ ✠ ✠

★ وقال أنبا يوحنا القصير :

يجب قبل كل شئ أن نقوم بالتواضع. لأن هذه هي الوصية الأولى التي قال ربنا عنها
"طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات" (مت ٥ : ٣).

✠ ✠ ✠

★ وقال الشيخ الروحاني :

تسر بل يا أخى بالتواضع فى كل وقت ، لأنه يُلبس نفسك المسيح معطيه .

✠ ✠ ✠

★ وقال ماراسحق :

حب الاتضاع فى كل تدابيرك ، لتخلص من الفخاخ التي لا تُدرك ، الموحودة فى كل
حين خارج السبل التي يسلك فيها المتضعون .

★ وقال أيضاً : لا تلتمس أن تُكرم وأنت مملوء من الداخل جراحات. ابصص الكرامة

فتكرم. ولا تحبها لنلا تُهان .

من عدا وراء الكرامة هربت منه. ومن هرب منها بمعرفة قصده، وأذرت كافة الناس باتضاعه .

★ وقال أيضاً : تواضع فى علوك ، ولا تتعاطم فى حقارتك .. ضع ذاتك، وصغر قدرك عند جميع الناس. فتعلو على الرؤساء فى هذا العالم.
كن أمياً فى حكمتك . ولا تتظاهر بالحكمة وأنت أمدى .

★ وقال كذلك: أيها الإنسان الشقى: إن أردت أن تجد الحياة، تمسك بالإيمان والتواضع، لكى تجد بهما رحمة ومعونة وصوتاً من الله فى قلبك.. وإن أردت أن تقتنى هذين.. تمسك من مبدأ أمرك بالبساطة. واسلك قدأماً الله بسذاجة وليس بمعرفة .



★ وقال الشيخ الروحانى :

يقول النبى : الويل للحكيم فى عيبى نفسه.. فكن مثل عبد عند مولاه، وليس مثل أخ عند أخوته..

كن الأول فى الأعمال التى يترفع عن عملها غيرك. وكن آخر من يرتب الأمور ويدبرها.

البس التواضع فى كل حين، وهو يجعلك مسكناً لله .

★ وقال أيضاً: كم ينبغي للشباب الصوم والنسك، هكذا ينبغي للشيخ لاتضاع والتتزل. لأجل أنه دائماً يلصق بهم الظن والمجد الباطل. وإلى جهاد النفس يحتاجون، أكثر من جهاد الجسد.

★ وقال أيضاً : الكنز المخفى فى الأرض لا ينقص، ولا يخاف عليه من السارقين. وكنز المعرفة داخل القلب، ما تسلبه أفكار لمجد باطل .



وقال مارفرام :

كما أن الجسد يحتاج إلى ثوب، سواء كان الجو دفئاً أو بارداً.. كذلك النفس على الدوام تحتاج إلى رداء الإبتضاع .

قنية نفيسة هى تواضع العقل.. اختر أن تمشى عارياً خافياً، من أن تتعري منه. فإن الذين يحبون التواضع، يسترهم الرب .

★ وقال أيضاً : إذا شاهدت نفسك مكللاً بالفضائل وعالياً فيها، فحيئذ تحتاج بالأكثر

إلى تواضع العقل، لكي تصع أساساً سليماً لعملك، ويثبت البناء مصاناً غير مترعز ع .
 ★ لا تعظم شأن نفسك، لأنه ربما توافيك محنة فتوبح الظالمين فيك حسناً. حب التواضع
 فإنه سور لا يَنْقُب قدام وجه العدو، وصخرة مصادمة تكسر حيل الشيطان .

✱ ✱ ✱

★ قال القديس مقاريوس الكبير :

الصوم بدون صلاة واتضاع ، يشبه نسرأ مكسور الجناحين .

✱ ✱ ✱

★ وقال مار اسحق :

إذا سلكت في عمل الفضيلة حسناً، ولم تحس مذاقة معونتها، فلا تعجب من ذلك. لأنه
 إن لم ينضع الإنسان، لن يأخذ مكافأة عمله. المكافأة ليست تُعطى للعمل، بل بالإتضاع.
 والذي فقد الاتضاع، فقد ضيع تبعه وعمله .

وقال أيضاً : إن عبرت على جميع منازل الفصيلة، فإنك لن تصادف راحة من تعبك،
 ولا اعتناقاً من حيل أعدائك، إلی أن تصل إلى منزل الإتضاع .

✱ ✱ ✱

★ قال القديس الأنبا أنطونيوس :

"إن نسبنا خطايانا، يذكرها لنا الله. وإن ذكرنا خطايانا، لا يذكرها لنا الله" .
 لذلك احذر من أن تنسى خطيائك، لئلا تنتعج وتطر في نفسك الظنون، أو تصير باراً
 في عيني نفسك.

وإن حورنت بالثر الذنبي والكرمة، فقل لنفسك : أبا لا استحق شيئاً بسبب خطاياي .
 وإن كان الله من فرط محبته ورحمته قد ستر خطاياي على الناس، لكي أعرفها جيداً، ولا
 أنساها، لئلا أتكبر بطلاً .

✱ ✱ ✱

★ قال القديس أيسوذورس :

إن شرف التواضع عظيم، وسقوط المتعاضم فظيع جداً. وأنا أشير عليكم أن تلموا
 التواضع، فلن تسقطوا أبداً.

✱ ✱ ✱

★ وقال القديس أوغسطينوس :

اتضع في إلهك المتضع ، لكيما ترتفع في إلهك الممجد .

إحذر من التواضع الزائف

ليس التواضع مجرد كلمة ، إنما هو حياة لها قواعدها الروحية، ولها ارتباط بعدد كبير من الفضائل تكون سبباً للإتضاع أو يكون الإتضاع سبباً لها.. وعلينا أن نتأمل كل هذا، و نعرف الوسائل التي توصلنا إلى التواضع ونمارسها .

وأولاً نعرف التواضع الحقيقي ، ونبعد عن التواضع الزائف :

فكثيرون يستخدمون ألفاظ التواضع، وهم بعيدون كل البعد عن روح الإتضاع. وقد يقولون إنهم خطاة ضعفاء، ولا يحتملون إطلاقاً أن يقال لهم مثل هذا. وقد ينحنون بروؤوسهم أمام غيرهم. وقلوبهم لا تنحني أبداً ولا أفكارهم.

✱ ✱ ✱

عجبت ذات مرة حينما قرأت إفتتاحية إحدى المجلات القبطية. وكان الكاتب يتحدث عن تواضع السيد المسيح أثناء عماده، وكيف أنه إنحنى أمام المعمدان الذي هو أقل منه بما لا يقال. وذلك لكي يكمل كل برّ.

وإذا بالكاتب يختم مقاله بعبارة "اعطنا يارب نحن أيضاً أن ننحني أمام من هم أقل منا، لكي نكمل كل برّ!" مادام هو في أعماقه يعتقد أنهم أقل منه، فهل يحسب إنحناؤه اتضاعاً!! بينما القلب مرتفع عليهم من الداخل ينظر إليهم في استصغار!؟..

✱ ✱ ✱

وهناك قصة رواها يوحنا كاسيان عن القديس سرابيون الكبير :

وكيف أن أحد الرهبان الجاثلين قد زاره. فلما دعاه القديس إلى أن يبدأ الصلاة أو

التأمل فى الكتاب، قال إنه غير مستحق. ولما دعاه إلى الجلوس على الحصير بدلاً من جلوسه على التراب، قال أيضاً إنه غير مستحق. ثم نصحه القديس أن يثبت فى قلايته، ولا يجول هنا وهناك، حينئذ لم يحتمل، وأحمر وجهه مثل السبع. فقال له القديس سراييون.

"ليس التواضع يا ابنى، أن تلوم نفسك ملامة باطلة..! إنما التواضع هو فى احتمالك الملامة التى تأتيك من الآخرين".

ولعل حكمة القديس تظهر فى أن البعض قد يصف نفسه بأوصاف متضعة، هو لا يعتقد أنها فى نفسه. أو أنه يصف نفسه بالخطية والضعف؛ لكى يقول الناس عنه إنه متواضع، فيكسب بذلك مدح الآخرين!! ولو قيلت عنه هذه الصفات لغضب. ولو عرف أن الناس سيصدقون ما يقول عن نفسه من عيب، ما كان يقول ذلك مطلقاً.

أما أنت فليكن لك التواضع الحقيقى باقتناع داخلى صادق أنك كذلك: فيك ما تصف به نفسك من نقص .



قال ماراسحق محذراً من اتخاذ ألفاظ الاتضاع وسيلة للكبرياء:
'إن حقّرت نفسك لكى تكرم، الرب يفضحك..".

"وإن أنت امتهنت ذاتك لأجل الحق، فإن الرب يتقدم إلى براياه فيمدحونك، ويفتحون قدامك باب مجده الذى يتكلم به منذ الأزل، ويمجدونك كالبارى لأنك بالحققة تكون على صورته ومثاله".

تواضع الله

أكلّمكم اليوم عن أعظم مثل للتواضع، أو هو المثل الحقيقي للتواضع. وأعلى به تواضع الله تبارك اسمه. وكيف ذلك؟

إن الله هو الوحيد الذى يمكن أن يتواضع بحق .

لأنه هو الوحيد العالى جداً، الذى يتنازل من علوه ...

أما الإنسان الذى هو تراب ورماد (تك ١٨ : ٢٧)، والذى كان عدماً قبل أن يكون تراباً.

الإنسان الذى كله خطية وإثم، ما هو معنى التواضع بالنسبة إليه؟ ليس هو فى علو لكى ينزل منه، وليس فى كمال حتى يخفيه.. إنما التواضع بالنسبة إليه، هو أن يعرف أصله ويعرف ضعفه، ويعرف خطيته. وكما قال أحد الالباء :

تواضع الإنسان هو أن يعرف نفسه ...

أما الله فهو الكامل فى عظّمته. الكامل فى قدّاسته وفى قدرته، غير المحدود فى كماله.. فهو الوحيد الذى تليق به صفة التواضع . فكيف إذن ظهر تواضع الله، على قدر ما نعلم تواضعه؟ ونقصد تواضع الله بصفة عامة، وتواضع كل أقنوم على حده :

✠ ✠ ✠

★ كان الله متواضعاً فى خلقه للكائنات . فلم يشأ أن ينفرد وحده بصفة الوجود.

فمنح الوجود لغيره ..

كان وحده منذ الأزل .. ولم يرد فى تواضعه أن يظل وحده. فأشرك معه فى

الوجود ما لم يكن ...

كثير من الناس - إن وُجد أحد منهم في عظمة أو في منصب - يجمع كل السلطة في يده، ولا يُشارك معه أحداً في عمل أو تصرف...! أما الله، فلم يفعل هكذا، ولم يشأ أن ينفرد. ومنح العدم وجوداً. ومنح البعض منه حياة، بل أيضاً منحه قوة وسلطة!!

✱ ✱ ✱

★ ومنح البعض من مخلوقاته طبيعة سامية جداً .

مثال تلك الملائكة "المقندرون قوة" كما وصفهم المرتل في المزمور (مز ١٠٣ : ٢٠). بل أن واحداً منهم - سطانائيل الذي صار شيطاناً فيما بعد، قال عنه الرب في سفر حزقيال النبي "أنت خاتم الكمال. ملأنا حكمة، وكامل الجمال.. أنت الكاروب المبسط المظلل.. أنت كامل في طرقك، من يوم خلقت حتى وُحد فيك إثم" (حز ٢٨ : ١٢ - ١٥).

✱ ✱ ✱

★ ومن تواضع الله أن الكائنات التي تمردت عليه ، لا يزال يبقئها حتى الآن، ويسمح أن يكون لها سلطان وقدره !!

خنوا مثلاً ذلك الشيطان: تمرّد على الله، وأراد أن يصير مثل العليّ (أش ١٤ : ١٤). وأسقط معه عدداً كبيراً من القوات السماوية، قيل إنهم ملائكته (رؤ ١٢ : ٧). وكان بإمكان الله أن يفنيه. ولكن من تواضع الله أنه لم يقض على هذا العدو المقاوم، بل استبقاه. وترك له سلطاناً، كما قيل عن الأشرار "هذه ساعتكم وسلطان الظلام" (لو ٢٢ : ٥٣). والأكثر من هذا إنه صارت له قوة أن يصنع آيات وعجائب، كما قيل عن ضد المسيح في أيام لارتداد الأخير إن "محيته بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل حديعة الإثم في الهالكين" (٢ تس ٢ : ٩، ١٠).

وكلما أتأمل كيف أن في العالم أناساً يشتمون الله، ويجدفون عليه ليل نهار، وأناساً ينكرون وجود الله، ولا يعترفون به، وأناساً يعصون الله ويحرضون على عصيانه . ومع ذلك يحتمل الله كل هذا السبّ والتجديف والعصيان، دون أن يفنى مقاوميه.. أدرك في أعماقي مقدار التواضع العجيب الذي يتصف به الله ...

✱ ✱ ✱

★ ومن تواضع الله ، أنه يبعد عن مظاهر العظمة التي تجلب المديح وتبهر الناس. مثال ذلك ندرة استخدامه للمعجزات!

بإمكان الله أن يبهر الناس كل يوم وكل ساعة وكل لحظة بالمعجزات والايات

و العجائب، وبالرؤى والاستعلانات والظهورات المقدسة.. فيجعلهم يلهجون بمجده،
ويسجدون أمام قدرته، وعلى الأقل يعترفون بوجوده. ولكنه مع ذلك لم يفعل! ويقتصر
احتراح المعجزات على الضرورات النادرة!! إنه يريد أن يجذب الناس إليه بالحب
والافتناع، وليس بالعجائب والمعجزات والعظمة...

✱ ✱ ✱

★ الله أيضاً فى تواضعه ، يسمح لأقل الناس أن يخاطبه !

عجيب أن يجد "التراب والرماد" فرصته ليتحدث مع الله، الله الذى تقف أمامه الملائكة
ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسارافيم، وكل الجمع غير المحصى الذى للقوات السمائية،
بكل توقير وخشية...

قد يجد الإنسان صعوبة فى كثير من الأحيان، أن يتحدث مع تراب مثله، إن كان ذلك
التراب له منصب عالٍ أو مركز كبير! أما الله فيمكنك أن تكلمه وأن تتفاهم معه. بل من
الجائز أن تكلمه، وقد كسرت وصاياها منذ دقائق أو لحظات!

✱ ✱ ✱

وفى تواضع الله ، سمح أن يتحدث حتى مع أشر الخطة !

تنازل وتكلم مع قايين ، أول قاتل على وجه الأرض. ولما قال له قايين "إنك قد
طردتني اليوم عن وجه الأرض.. فيكون كل من وجدنى يقتلنى"، أجابه فى عدل وعطف
"كل من قتل قايين، فسبعة أضعاف ينتقم منه" (تك ٤: ١٤ ، ١٥).

✱ ✱ ✱

وتنازل الله ، فأرسل ملاكاً يتكلم مع بلعام .. وذلك الإنسان المضل الذى أعثر الشعب
وألقى معثرة أمامه وجعله يخطئ (رؤ ٢: ١٤) ... سمح الله بتواضعه أن ينطق الروح
القدس على فمه بنبوءات تُعد من أشهر النبوءات عن التجسد (عد ٢: ١٧) .. حتى أن هذا
المضل قال عن نفسه "وحى بلعام بن بعور، وحى الرجل المفتوح العينين، وحى الذى
يسمع أقوال الله، الذى يرى رؤى الله، مطروحاً وهو مكشوف العينين" (عد ٢: ٣ ، ٤)
وقال إنه "يعرف معرفة العلى" (عد ٢: ١٦)!

✱ ✱ ✱

والله فى تواضعه ، يأخذ موقف من يستشير أنبيائه :

فعندما رأى أن "صراح سادوم وعمورة قد كثرا، وخطيتهم قد عظمت جداً" (تك ١٨: ٢٠)،
وأراد أن يهلكهم، قال "هل أحفى عن إبراهيم ما أنا فاعله؟!" (تك ١٨: ١٧). ومن

هو ابراهيم هذا الذى تريد يارب أن تخبره قبل أن تجرى مشيئتك؟ أليس هو حفنة من تراب ورماد؟ كلا، يقول الرب، بل "ابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، وتتبارك به جميع أمم الأرض" (تك ١٨: ١٨).

ويعرض الرب على ابراهيم، ويعطيه الفرصة والحرية أن يجادله، وأن يقول له "عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة.. حاشا لك أن تفعل هذا الأمر، أن تبعد البار مع الأئيم، فيكون البار كالأئيم! حاشا لك. أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟" (تك ١٨: ٢٤-٢٥). وتستمر المناقشة، ويقبل الرب الحوار، بل يقبل بتواضعه الجراءة فى الحوار!



ويتكرر الأمر مع موسى النبى عندما أراد الرب أن يقضى ذلك الشعب، الذى صنع عجلاً من ذهب وعبيده (خر ٣٢).

كان الرب قد قرر إفناء ذلك الشعب الخائن. ولكنه نادى موسى أولاً. وقال له "قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به. صنعوا عجلاً مسبوكاً وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى لصعدتك من أرض مصر.. فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأقضيهم.." (خر ٣٢: ٧-١٠). عجيب هو تواضع الرب فى قوله لعبيده موسى "أتركنى..".

من هو هذا موسى يارب الذى تطلب إليه أن يتركك لتنفيذ مشيئتك؟ على أن موسى هذا لم يتركه ليغضب ويقضى. بل قال له "والآن إن غرت خطيتهم. وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت" (خر ٣٢: ٣٢)!! وسمع الرب لموسى، ولم يفنهم.

يذكرنى هذا الموقف بقصة الرب مع يعقوب وهو يصارع: إذ قال الرب ليعقوب "اطلقتى، فإنه قد طلع الفجر" فقال يعقوب "لا أطلقك حتى تباركنى" (تك ٣٢: ٢٦).



ونلاحظ فى تواضع الرب مع ابراهيم وموسى نقطة هامة وهى :

★ إن الله سمح لهما فى حوارهما معه بالفاظ تبدو شديدة .

ابراهيم يقول للرب "حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر.. أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟" (تك ١٨). وموسى يقول للرب "ارجع يارب عن حمو غضبك واندم على الشر" "لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث، ليقتلهم فى الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض!" (خر ٣٢: ١٢).

★ إن الرب فى تواضعه يسمح لنا أن نناقشه ، بل يطلب منا ذلك بقوله : "هلم نتحاجج، يقول الرب" (أش ١: ١٨).

هناك أناس لا يقبلون أن يناقشهم أحد فيما يصدر عنه من أوامر ومن قرارات. يعتبرون ذلك كبرياء ممن يناقشهم، وتجاوزاً لحدوده. وإقلاً من كرامتهم وهيبتهم. أما الله فإنه فى تواضعه يقبل الحوار والنقاش:

✱ ✱ ✱

أيوب الصديق يقول للرب "لا تستذبنى. فهمنى لماذا تخاصمنى؟ أحسن عندك أن تظلم، أن تزدل عمل يدك؟" (أى ١٠: ٢، ٣).
وأرميا النبى يقول له "أبرّ أنت يارب من أن أخاصمك.. ولكنى أكلّمك من جهة أحكامك: لماذا تتجح طريق الأشرار؟ اطمأن كل العاديين غداً!" (أر ١٢: ١).
وداود النبى يعاتبه قائلاً "لماذا يارب تقف بعيداً؟ لماذا تختفى فى أزمنة الضيق؟" (مز ١٠: ١).

والرب يسمع كل هذا، بتواضعه وسعة صدر ، ولا يفضب .

✱ ✱ ✱

★ ومن تواضع الرب إنه يرفع شأن أولاده. وقد يعطيهم أنقابيه.

يقول لعبده موسى "أنظر . قد جعلتك إلهاً لفرعون (أى سيداً له). وهرون أخوك يكون نبيك" (خر ٧: ١). ولما اعتذر موسى عن رسالتيه، بحجة أنه ثقيل الفم واللسان، منحه هرون أخاه. وقال له "تكلمه وتضع الكلمات فى فمه، وأنا أكون مع فمك ومع فمه.. هو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فماً، وأنت تكون له إلهاً (أى توحى إليه) [خر ٤: ١٥ - ١٧].

✱ ✱ ✱

وعندما أراد الله أن يكون لموسى سبعون شيخاً يساعدونه، قال له: "اجمع إلى سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه.. فأُنزل أنا وأتكلم معك.. وأخذ من الروح الذى عليك، وأضع عليهم" (عد ١١: ١٦، ١٧).. وفعس الله هكذا (عد ١١: ٢٥). كان يمكنه أن يمنحهم الروح مباشرة. ولكنه أخذ من الروح الذى على موسى ووضع على السبعين. فلما حلّ عليهم الروح تنبأوا (عد ١١: ٢٥) . من تواضع الله، أراد أن يشعر أولئك الشيوخ أنهم من أتباع موسى، قد أخذوا من الروح الذى عليه...

وبنفس الوضع رفع الرب من شأن يوسف الصديق، وجعله أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته (تك ٤٥ : ٨).

✱ ✱ ✱

★والشريعة التى هى شريعة الله، تسمى شريعة موسى .

وهكذا فإن داود الملك قال قبل وفاته لابنه سليمان، "احفظ شعائر الرب إلهك.. كما هو مكتوب فى شريعة موسى، لكى تفلح فى كل ما تفعل.." (١مل ٢ : ٣). وسميت أيضاً "شريعة موسى" فى سفر نحemia (نح ٨ : ١). وفى سفر دانيال النبى (دا ٩ : ١١). إنها شريعة الله. ولكن من تواضعه سميت شريعة موسى .

✱ ✱ ✱

وأسفار الأنبياء أيضاً سميت باسمائهم ، مع أنها كتب الله .

ولكن الله - من تواضعه - سمح أن تُطلق عليها أسماؤهم. فيقال سفر صموئيل النبى، وسفر اشعيا، وارميا، وحزقيال، ودانيال، وملاخى .

وربنا يسوع المسيح يقول للكتبة والفريسيين "إن موسى - من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم بالطلاق" (مت ١٩ : ٨) ... مع أن الإذن صدر من الله.. ولكن لا مانع أن يُنسب إلى موسى، تواضعاً من الله، ورغبة منه فى أن يرفع من شأن أولاده ...

✱ ✱ ✱

وبعد ، يعوزنا فى الحديث عن تواضع الله، أن نتحدث عن تواضع أقتوم الابن، وأقتوم الروح القدس.

تواضع الابن ، وتواضع الروح القدس

تواضع الابن :

١ - أول شيء نذكره في تواضعه هو تجسده :

وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول عن السيد المسيح إنه "لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، أخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه.." (فى ٢: ٦-٨) ... أى أنه أخلى نفسه من كل مظاهر العظمة والكرامة اللائقة بلاهوته، متخذاً صورة العبد. أى تواضع يمكن أن يُوجد أكثر من هذا؟
وفي هذا التواضع حكمة التدبير الإلهي: فمادامت الخطية الأولى التي دخلت إلى العالم كانت هي الكبرياء، سواء بالنسبة إلى الشيطان أو الإنسان، لذلك كان يليق بالمخلص أن يقهرها بالاتضاع ...

وهكذا كان تجسده هو أعظم عمل في الإلتضاع. وبه أحزى الرب تلك الكبرياء التي أغوى بها الشيطان أبونا الأولين، بأن يصير مثل الله (تك ٣: ٥). ورداً على أن يصير الإنسان مثل الله، صار الله في الهيئة كإنسان بتواضعه .



٢ - ومن اتضاع الرب أيضاً أنه وُلد في مزود يقر .

في مكان فقير ، ومن أم فقيرة ، خُطبت إلى نحر فقير . ومن قرية كانت "الصغرى فى يهوذا" هى بيت لحم (مت ٢: ٥ ، ٦) . ولم يخجل من أن يدعى ناصرياً، بينما يُقال فى

استعجاب "أمن الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح؟!" (يو ١ : ٣٦).

✱ ✱ ✱

٣ - وفي تواضعه عاش بعيداً عن المظاهر والألقاب :

رضى أن يهرب من سيف هيرودس إلى مصر ، بينما كان يمكنه أن يبيد هيرودس . وعاش ثلاثين سنة بعيداً عن الأضواء .

ومع أنه أقنوم الحكمة والمعرفة ، "المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو ٢ : ٣) ، رضى أن يُقال عنه "وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة وانعمة عند الله والناس" (لو ٢ : ٥٢) .

وطوال فترة كرازته عاش "وليس له أين يسند رأسه" (لو ٩ : ٥٨) . بلا أية وظيفة رسمية في المجتمع ، يتبعه تلاميذ بسطاء ، غالبيتهم من الصيادين والجهنة . ولما ذهب إلى أورشليم ، ذهب إليها ركباً على أتان وجحش ابن اتان" (مت ٢١ : ٥) .

✱ ✱ ✱

٤ - وعاش أيضاً خاضعاً للناموس ، ودعا إلى حفظه .

أليس هو القائل "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (مت ٥ : ١٧ ، ١٨) .

وفي خضوعه للناموس أختتن في اليوم الثامن (لو ٢ : ٢١) . وفي يوم الأربعين لولادته "صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب في ناموس الرب" "ولكى يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب ، زوج يمام أو فرخي حمام" (لو ٢ : ٢٢ ، ٢٣) . وجسب الناموس لم يبدأ خدمته الرعوية إلا في الثلاثين من عمره .

حسب السن الناصجة المفروضة في أي إنسان . مع أنه قيل عنه وهو في الثانية عشرة من عمره ، وجدوه في الهيكل "جالساً في وسط المعلمين يسمعون ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه ومن أجوبته" (لو ٢ : ٤٦ ، ٤٧) .

✱ ✱ ✱

٥ - ومن تواضعه أنه تقدم ليعتمد من يوحنا المعمدان .

كانت تلك معمودية التوبة . وما كان هو محتاحاً إليها وهو القدوس (لو ١ : ٣٥) الذي في تجسده شابها في كل شئ ما عدا الخطية . وقد قبل المعمودية من أحد حدامه ، أعى يوحنا الذي حاول أن يعتذر عن ذلك قائلاً له "أنا المحتاج أن اعتمد منك ، وأنت تأتي إلي! فأجابه

فى اتضاع "اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (مت ٣: ١٤، ١٥). يقصد برّ الناموس، وقد خضع له تواضعاً ...

✱ ✱ ✱

٦ - ومن تواضعه سمح للشيطان أن يجربه !

ولست تجربة واحدة بل ثلاث مرات على الجبل. وبلغ من عمق اتضاعه وإخلائه لذاته، أن الشيطان "أخذه إلى جبل عالٍ جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له "أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى" (مت ٤: ٨، ٩). بالجرأة الشرير ووقاحته فى استغلاله لتواضع الرب. لذلك بعد أن ردّ الرب عليه بما هو مكتوب، أنهره قائلاً "أذهب يا شيطان". فذهب. ولكن القديس لوقا يقول فى ذلك "ولما أكمل أبليس كل تجربة، فارقه إلى حين" (لو ٤: ١٣). أى رجع بعدها!

✱ ✱ ✱

٧ - وفى اتضاع الابن الوحيد ، اللوجوس عاش فى حياة الطاعة :

قال عنه القديس بولس الرسول إنه "وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (فى ٢: ٨). وهو قال عن نفسه لتلاميذه "لى طعام لأكل لستم تعرفونه أنتم.. طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى، وأتمم عمله" (يو ٤: ٢٢، ٢٤). وقال لليهود "الحق الحق أقول لكم: لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً، إلا ما ينظر الآب يعمل..". (يو ٥: ١٩). وقال للآب "لكن لا مشيئتى بل مشيئتك". وقال "ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت" (مت ٢٦: ٣٩).

✱ ✱ ✱

وطاعته لم تكن للآب السماوى فقط، بل أيضاً لأمه مريم.

قيل فى طفولته ، بالنسبة إلى علاقته بمريم العذراء ويوسف النجار : "وكان حاضعاً لهما" (لو ٢: ٥٤). أنه درس لنا، هذا الذى كانت الملائكة خاضعة له" (مر ١: ١٣) (١بط ٣: ٢٢).

✱ ✱ ✱

٨ - ومن تواضعه : أنه كان يجلس مع العشارين والخطاة :

هؤلاء الذين كان الكتبة والفريسيون يحتقرونهم ويترفعون عن مخالطتهم. ولكن الرب اختار واحداً من هؤلاء (متى) ليكون له تلميذاً. وبهذه المناسبة اتكأ فى وليمة أعدها أولئك العشارون، حتى أنتقده الفريسيون (مت ٩: ٩-١١). فأجاب الرب فى اتضاعه "أنى أريد

رحمة لا ذبيحة. لأنى لم آت لادعو لبراراً بل خطاة إلى التوبة" (مت ٩: ١٣).
وهكذا أيضاً دعا زكا العشار ودخل إلى بيته .

ومن تواضعه أنه إتكا في بيوت أعدائه من الفريسيين، كزيارته لبيت سمعان الفريسي
وسماحه للمرأة الخاطئة أن تلمسه وتمسح قدميه بشعرها، مما أثار شك ذلك الفريسي (لو ٧).

✱ ✱ ✱

٩ - ومن تواضع الرب أنه كان يسلك ببساطة مع الكل .

كان يسلك ببساطة مع الأطفال، ومع النساء، ومع عامة الشعب: يكلمهم ببساطة، بلا
تعالٍ ولا ترفع، كواحد من البشر .

وكان يدعو نفسه ابن الإنسان، أو ابن البشر، في كثير من المناسبات. وقد قيل عنه في
وداعته إنه كان "لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة
مرضوعة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفى" (مت ١٢: ١٩، ٢٠).

✱ ✱ ✱

١٠ - ومن تواضعه أنه رفض عمل المعجزات للمظهرية والفرجة .

مثل رفضه تحويل الحجارة إلى خبز، ورفضه أن يلقي نفسه من جناح الهيكل، فتحملة
الملائكة على أجنحتها (مت ٤).

ولما طلب منه اليهود أن يروا آية منه كموضوع للفرجة Showy، قال لهم "جيل شرير
وقاسق، يطلب آية ولا تُعطى له آية، لا آية يونان النبى. لأنه كما كان يونان في بطن
الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض.." (مت ١٢: ٣٩).
موجهاً أنظارهم إلى موته، لا إلى معجزاته .

✱ ✱ ✱

١١ - ومن تواضعه أنه مجّد تلاميذه :

فقال للأب عنهم "المجد الذى أعطيتنى، قد أعطيتهم" (يو ١٧: ٢٢). بل قال لهم أكثر
من هذا "الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بى، فالأعمال التى أنا أعملها، يعملها هو أيضاً،
ويعمل أعظم منها.." (يو ١٤: ١٢). وقال عنه القديس بولس الرسول "الذين سبق فعرفهم،
سبق فعينهم.. فهؤلاء مجددهم أيضاً" (رو ٨: ٢٩، ٣٠).

أعطاهم أيضاً أن تبني كنائسه ومذابحه بأسمائهم، وأن ترسم لهم الأيقونات وتوقد أمام
أيقوناتهم الشموع، وترتل لهم المدائح والذكصولوجيات ...

✱ ✱ ✱

١٢ - ومن تواضعه أن نعمته تعمل في الناس باختفاء .

عملهم هم هو الذي يظهر . أما نعمة الرب العاملة فيهم، فلا يراها أحد. وقد كشف لنا هذا الأمر القديس بولس الرسول حينما قال: "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي" (١كو ١٥: ١٠).



١٣ - ومن تواضعه أنه احتمل ظلم الأشرار، وقيل الإهانات في صمت .

سُتِمَ ولطم، وأهين، وجلد، وأتهم ظلماً، وقبل كل ذلك دون أن يدافع عن نفسه.. ودون أن يرد عليهم شرهم. وقد قيل عنه "ظلم. أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاه تساق إلى الذبح" (أش ٥٣: ٧). وصُلب بين نصيين "وأحصى مع أئمة" (أش ٥٣: ١٢).



١٤ - وفي اتضاعه حمل خطايا العالم :

"هذا الذي لم يعرف خطية، جُعل خطية لأجلنا" (٢كو ٥: ٢١). حمل خطايا العالم كله. كلنا كغنى ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وُضع عليه إثم جميعنا. ونحن حسبناه مصاباً ومضروباً من الله" (أش ٥٣: ٤، ٦). وهكذا صُلب كفاحل إثم وهو البار. ورضى أن يكون أمام الأب ذبيحة خطية.



١٥ - ومن تواضعه أنه جعل صلبه واضحاً أمام الناس كلهم. بينما قيامته الممجة

لم يظهرها إلا لأفراد قليل!

وكان يمكن أن تكون تلك القيامة واضحة للكل، بطريقة مبهرة ترد إليه اعتباره أمام اليهود. ولكنه في اتضاعه لم يفعل ذلك. وترك لتلاميذه أن يبشروا بقيامته وسط شكوك آثارها اليهود ...



١٦ - لهذا كله ، دعانا أن نتعلم منه الإِتضاع :

وقال "تعلموا مني ، فإنني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). فجعل أهم ما نتعلمه منه هو الإِتضاع. وفي عظته على الجبل، أعطى الطوبى الأولى للمسكنة بالروح. ثم أعطى الطوبى للودعاء (مت ٥).

تواضع الروح القدس :

١٧ - من تواضع الروح القدس أنه يعمل كل شيء في بناء الكنيسة في سرية واختفاء. فتسمى أعماله هذه بالأسرار الكنسية.

يلد الإنسان الجديد في المعمودية، ويمنحه المغفرة والبنوة دون أن يظهر. وكذلك في سر الميرون يسكن في المؤمن دون أن يظهر. وبالمثل يغفر الخطايا من فم الكاهن دون أن يظهر. وهكذا في باقي أسرار الكنيسة.

✱ ✱ ✱

١٨ - ومن تواضع الروح القدس إنه يتكلم من أفواه الرسل، وينطق في الأنبياء دون أن يظهر أيضاً .

كما قال السيد المسيح لتلاميذه "لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم هو الذي يتكلم فيكم" (مت ١٠: ٢٠). ولكن الظاهر طبعاً أمام الناس أن الرسل يتكلمون. أما عمل الروح فهو في الخفاء.

كذلك قيل عن النبوءات "لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط ١: ٢١). ولكن عمل الروح القدس لا يراه أحد. بل يسمعون النبوة من إنسان .

✱ ✱ ✱

١٩ - بنفس الانضاع القوة التي يمنحها الروح القدس للخدام .

كما قال السيد المسيح لتلاميذه القديسين "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وحينئذ تكونون لى شهوداً.." (أع ١: ٨). والناس كانوا يرون قوة شهادة الرسل ويمجدونهم ويتأثرون بهم . أما عمل الروح القدس فيهم، فكان في اختفاء، لا يرونه.



٢٠ - وفى اتضاع أيضاً كان الروح القدس يمنح المواهب .

والناس يرون أصحاب المواهب، ويعجبون بهم ويمتدحونهم . بينما من جهة هذه المواهب كلها يقول الكتاب "لكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو ١٢ : ١١). ولكن الظاهر هو أصحاب المواهب. أما الروح فعمله فى اختفاء...



٢١ - هكذا كان الروح القدس يعمل فى الكنيسة، والذى يظهر كان هو عمل

الكنيسة. أما الروح فكان يعمل العمل كله فى سرية واختفاء .

اقرأ التاريخ كله، وما يحمله من تمجيد لأبطال الإيمان وللكارزين، وآباء الرهبنة، ومعلمى البيعة، بل لقديسى التوبة أيضاً. نرى أن التاريخ يمددهم ويرفع شأنهم. بينما يرجع الفضل كله إلى عمل الروح فيهم - ذلك الذى عمله الروح تواضعاً فى خفاء...



٢٢ - ومن تواضع الروح أنه يرضى أن يسكن فى أجسادنا البشرية .

كما يقول الرسول "أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل الروح القدس الذى فيكم..". (١كو ٦ : ١٩) وأيضاً "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو ٣ : ١٦).

من نحن التراب والرماد؟ وما هى أجسادنا؟ حتى يسكن فيها روح الله؟! أليس هذا

تواضعاً منه؟!



٢٣ - ومن تواضع الروح القدس أنه يحتملنا :

يحتملنا ونحن نحزن الروح (أف ٤ : ٣٠)، ونطفيئ الروح (١تس ٥ : ١٩)، ونقاوم الروح

(أع ٥ : ١٧) بل نرفض الشركة مع الروح بخطايانا!

فليرحمنا الله ، وليجدد روحه فينا .

الباب الثاني :

وسائل الانضاع وعلاماته

واحد وأربعون
علامة ووسيلة

وسائل الإتضاع وعلاماته

نود أن نذكر الآن منهجاً واسعاً ومختصراً عن تداريب للإتضاع، على أن نرجع بشئ من التفاصيل لهذه النقاط التي سنذكرها:

١ - إن كانت الكبرياء هي في الاعتداد بالذات وتعظيمها، يكون التواضع في إنكار الذات.

وتداريب إنكار الذات كثيرة جداً ليس مجالها الآن. وقد وضع السيد الرب إنكار الذات في مقدمة شروط التلمذة له. فقال "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مت ١٦: ٢٤). ولاشك أنه بإنكار الذات يصل الإنسان إلى التواضع. لأن الذي ينكر ذاته، لا يمكن أن يبحث لها عن مجد أو عظمة..

✱ ✱ ✱

٢ - وأيضاً : المتواضع المنكر لذاته، لا يدافع عن نفسه :

إنه - في الأمور التي تمسه وحده لا يبرر نفسه في شئ. ويقبل ما يُقال عنه في صمت. مثلما فعل السيد المسيح له المجد، الذي لم يدافع عن نفسه أمام بيلاطس ولا أمام هيرودس. وكذلك فعل يوسف الصديق الذي لم يدافع عن نفسه (تك ٣٩). والقصص كثيرة نتركها إلى موضوع خاص. والمتواضع لا يستثنى قاعدة عدم الدفاع عن النفس، إلا من أجل الغير...

✱ ✱ ✱

٣ - بل المتواضع يلوم نفسه باستمرار :

سواء بينه وبين نفسه، أو أمام الناس، باقتناع وصدق .

حدث مرة أن البابا ثاوفيلس، زار جبل نتريا الذي كان يسكنه جماعات من المتوحدين. وسأل أبا الجبل عن الفضائل التي اتقنوها.. فأجابه "صدقني يا أبى لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ". حقاً إن لوم النفس هو فضيلة المتضعين.

✱ ✱ ✱

٤ - ولوم النفس يوصل إلى انسحاق النفس :

أى إلى انسحاق القلب من الداخل، إلى انسحاق الروح لشعوره فى أعماقه بما فى ذاته من نقائص قد تخفى على الناس ولكنها ليست خافية عليه. وهذا الانسحاق الداخلى يبعد عنه كل ألوان العظمة من الخارج، وفى نفس الوقت يقربه إلى الله كما يقول للمزمور "قريب هو الرب من المنكسرى القلوب، ويخلص المنسحقين بالروح" (مز ٣٤: ١٨). وأيضاً "الذبيحة لله هى روح منكسرة. القلب المنكسر والمتواضع، لا يرذله الله" (مز ٥١: ١٧).

✱ ✱ ✱

٥ - ومن مظاهر الانسحاق ، الشعور بعدم الاستحقاق :

كما قال الابن الضال وهو راجع إلى أبيه "لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً" (لو ١٥: ٢١). وكما قال قائد المائة للسيد الرب "يا سيد، لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف بيتى" (مت ٨: ٨). وكما قال القديس يوحنا المعمدان عن السيد المسيح: لست مستحقاً أن أحل سيور حذائه" (يو ١: ٢٧).

وهكذا فإن المتواضع يشعر أنه غير مستحق لكل احسانات الله إليه، ولا هو بمستحق لما يناله من الناس من الكرامة. لأنه عارف بنفسه..!

✱ ✱ ✱

٦ - وفى شعوره بعدم الاستحقاق ، يحيا حياة الشكر الدائم:

يشكر على كل شئ، لأنه متيقن فى داخله أنه لا يستحق شيئاً.. لذلك كل ما يناله من الله هو بركة، مهما كان قليلاً. لأنه يعرف عن نفسه أنه لا يستحق هذا القليل أيضاً. كذلك هو يشكر على كل لون من معاملة الناس له. فإن عاملوه بإكرام، يشكرهم لأنهم

عاملوه بما لا يستحقه. وإن ظلموه أو أهانوه، يشكر على انه ينال جزاء خطاياهم على الأرض!



٧ - والمتواضع للحقيقي الذي يشعر بخطيئته، يقبل كل ما يأتي عليه .

ويقول في نفسه "و أن الله عاملني حسب خطاياي، ما كنت أستحق أن أعيش". ويرى أن كل الإهانات والمتاعب التي تصيبه، هي أقل من استحقاقه بكثير، ويقبلها بشكر ... مثال ذلك داود النبي والملك: لما شتمه شمعى بن جيرا بشتائم مؤلمة، رفض أن يعاقبه أتباعه، وقال: "الله قال لهذا الإنسان اشتم داود" (٢صم ١٦: ١٠). واعتبر ما حدث له نتيجة طبيعية لما سبق من خطاياهم...



٨ - الإنسان المتواضع - في إسحاقه - يجعل خطيئته ألمه في كل حين .

إنها تذلة من الداخل، وتعصر عينيه بالدموع، وتزيد من إسحاقه، وتكثره بضعفه. لا ينسى خطاياهم مهما غُفرت ومهما محاها له الله! مثلما بكى داود على خطاياهم بعد غفرانها، وقال في المزمور الخمسين "خطيئتي أمامي في كل حين" .. ومثلما ذكر بولس الرسول خطاياهم. وقال "أست مستحقاً أن أدعى رسولاً، لأنني اضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥: ٩).



٩ - المتواضع - مهما بلغ من رفعة - يشعر باستمرار أنه ناقص ومقتصر، وأنه لم

يصل بعد إلى ما ينبغي عليه فعل!

القديس بولس الرسول الذي صعد إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٢)، والذي تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥: ١٠). كان يقول "لست أحسب أنني أدركت أو نلت شيئاً" ولكنني أسعى لعلى أدرك.. (في ٣: ١٢)، هذا الذي خشى الله عليه من كثرة الاستعلانات (٢كو ١٢: ٧).

والقديس أرسانيوس العظيم، الذي كان يقضى الليل كله في الصلاة، والذي كان رجل وحدة وصمت أكثر من الجميع، والذي تساقطت رموش عينيه من كثرة البكاء، والذي كان القديسيون يطلبون بركته، وقد أتاه البابا ثاوفيلس يطلب كلمة منقعة.. أرسانيوس هذا: ما كان يشعر أنه بدأ الطريق الرهباني بعد! بل كان يصلّي "هني يارب أن أبدأ!"



١٠ - الإنسان المتواضع لا يتحدث عن نفسه حديثاً يجلب المديح .

نفسه هذه التى يلومها باستمرار ويعرف نقائصها، من غير المعقول أن يتحدث عن موافق عظيمة لها تجلب المديح! إن الفريسي لم يتبرر أمام الله، لما وقف فى الهيكل يتحدث عن فضائله أمام الله فى صلاته! (لوقا: ١٨: ١٢).

لذلك فإننى أتعجب من إنسان حديث العهد بالتوبة، يدعو البعض أن يقف على منبر كنيسة أو جمعية، ليحكى اختباره للناس حتى ينتفعوا بها روحياً..! فيقف ويحكى كلاماً يمدح عليه!



١١ - إن كان الحديث عن النفس يفسح مجالاً للقنوة، فالإنسان المتواضع لا يجعل نفسه قنوة لغيره.

إنه يقول لنفسه "من أنا حتى أكون قنوة لغيرى؟! أنا الذى وقعت فى كذا وكذا من السقطات!". وإن كانت القنوة فى التوبة والرجوع إلى الله، فأنا لم أتب بعد. ومازلت فى الموازين إلى فوق. وفى كل يوم أسقط ...



١٢ - المتواضع يشعر بتفاهة الكبرياء وخطورتها وتفاهة المجد الباطل .

لما قيمة المديح الذى يأتى من الناس؟! ما بطلانه وما فقدته! بل كم هى أضراره الكثيرة التى تخرب النفس!.. باطلة كل أمجاد الدنيا وتفاهة! "الكل باطل وقبض الريح" (جا: ١٤). ليس شئ من هذه الأمجاد ثابتاً، ولا دائماً، ولا نافعاً. ولا شئ منها يصحب الإنسان فى أبديته، أو يشفع فيه أمام الله...

إن النفس الصغيرة هى التى تفرح بإعجاب الناس ومديحهم .

وكما كبرت النفس ورجعت إلى صورتها الإلهية، لا يبهرها مطلقاً أى شئ من أمجاد العالم ومن مديح الناس... وبخاصة إذا كان ما يقوله الناس عكس ما يعرفه الإنسان عن نفسه، وعكس ما يشعر به فى داخله.



١٣ - لذلك فالإنسان المتواضع يهرب من محبة المديح والكرامة .

لا يشتهى ذلك ولا يسعى إليه. وإن أتاه المديح ، لا يجعله ينحدر من أدنيه إلى قلبه. لا

يفرح به في داخله، بل يدرك تماماً أنه غير مستحق له.. ولذلك لا يصدق، أو على الأقل لا يتأثر به مهما كان صحيحاً...

وربما يتخذ هذا المديح مجالاً لتبكيته نفسه. ويقول في ذاته: لعننى قد صرت مرثياً إلى هذا الحد، الذى أظهر فيه للناس بغير حقيقتى!

※ ※ ※

١٤ - من صفات المتواضع أنه ينسب كل أعماله الطيبة إلى نعمة الله .

إنه يرجع الفضل إلى الله في كل خير يفعله. يقول مع القديس بولس الرسول "لا أنا، بل نعمة الله العاملة معى" (١كو ١٥: ١٠) ويتذكر قول الرب "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥: ٥). وهكذا يحول حديث المديح إلى الله ونعمته وعمله. وإن حارب من الداخل بأنه قد فعل شيئاً، يقول لنفسه "بنعمة الله أنا ما أنا" (١كو ١٥: ١٠).

※ ※ ※

١٥ - والمتواضع بقدر إمكانه يخفى بره عن الناس :

يترتب نفسه على عمل للفضيلة في الخفاء على قدر ما يستطيع. ويهتم بالفضائل الداخلية أكثر من الفضائل الظاهرة. ويجعل أمله قول الرب عن الذين يريدون أن يظهرُوا أعمالهم الحسنة للناس "الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم" (مت ٦: ٥).

※ ※ ※

١٦ - بل يحاول أن يخفى بره حتى عن نفسه :

حسب قول الرب "لا تجعل شمالك تعرف ما تفعله يمينك" (مت ٦: ٣).

فمثلاً يعطى دون أن يحصى ما يعطيه.. ويحاول أن ينسى كل ما فعله من خير، حتى لا يكون ظاهراً أمامه. وحتى لا يكون في فكره ولا في ذاكرته. ولا تحاربه به نفسه. ولا يعتبر ذلك الخير من أعمال قدرته هو. بل الله قد فعل ذلك الخير بواسطته. وكان يمكن أن يعمله بواسطة غيره، وبطريقة أفضل.. ويتذكر نقائصه في عمل هذا الخير، ويلوم نفسه عليها.

※ ※ ※

١٧ - والمتضع يمتدح غيره لا نفسه :

في كل عمل ناجح يقوم به، يذكر الجانب الذى ساهم به غيره في إنجاح العمل، وأهمية ما فعله الآخرون ممتدحاً ما قاموا به، ناسياً نفسه.

وفوق الكل يذكر يد الله فى نجاح العمل. وهكذا يختفى لكى يظهر الله، ولكى يظهر غيره من الناس.

وفى كل ما يعمل، يحب الخير فى ذاته، لا فى أجره، ولا فى تقدير الناس له.



١٨ - على المتضع أن يهرب من العظمة وكل مظاهرها وكل مصادرها .

يهرب من محبة الرئاسة والقيادة، ومن محبة السيطرة والنفوذ، ومحبة العظمة والتعالى على الآخرين، ومحبة التقدم على غيره. فكلها أسباب تؤدى إلى الهلاك. وقد نهانا الرب عنها حينما قال لتلاميذه القديسين:

"أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلطون عليهم.. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً.. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً.. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٥ - ٢٨).



١٩ - فإن وُضع إنسان فى مركز كبير، فليسلك فيه ببساطة وإتضاع، ولا يتعالى

على غيره.

ما أجمل أن ينسى مركزه، ويتعامل مع الناس فى محبة. بحيث لا يرتفع قلبه، ولا يتعامل مع غيره فى تعالٍ أو فى كبرياء، كأنهم أدنى منه أو أقل. ولا يزدرى بأحد. ولا يستخدم سلطته لإخضاع غيره.

لا يتعامل معهم مثلاً كان هامان يتطلب احتراماً معيناً من مردخاى (إس ٣: ٥، ٦).. بل يتعامل مع الناس مثل دلود، الذى كان وهو قائد جيش شاول الملك، يختلط مع الشعب فى مودة "وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبون داود، لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم (اصم ١٨: ١٦).

المتواضع يتعامل مع رؤوسيه كزميل وصديق ويشعرهم بمحبة .

إن السيد المسيح كان يدعو تلاميذه أخوة. وقد قال لهم "لا أعود أسميكم عبداً.. لكنى قد سميتكم أحبباء" (يو ١٥: ١٥). وقيل عنه إنه شابه أخوته فى كل شئ (عب ٢: ١٧).



٢٠ - المتواضع يحتمل الكرامة، فلا يرتفع قلبه بسببها .

ومهما نال من كرامة، لا ينسى أنه إنسان، وأنه تراب ورماد. بل على العكس يتواضع بالأكثر، لكي يقيم توازناً بين داخله وخارجه. وإن وصل إلى مركز رفيع أو نال جاهاً أو مالاً أو سلطاناً، فلنذكر قول القديس أنطونيوس الكبير: "إن احتمال الكرامة أصعب من احتمال الإهانة". أما الذي يرتفع قلبه، فإنه يذكرنا بقول الشاعر :

لما صديقي صار من أهل الغنى .. أيقنت أنى قد فقدت صديقي

✱ ✱ ✱

٢١ - المتواضع يحاول باستمرار أن يتخذ "المتكأ الأخير" .

وذلك حسب وصية الرب (لوقا ١٤: ٧-١٠). وما أجمل قول الشيخ الروحاني في ذلك "في كل موضع خللت فيه، كن صغير أخوتك وخدمهم". ليس فقط أن لا تتعالى عليهم، بل أن تكون أصغرهم وخدمهم. وهو في ذلك يقدم كل إنسان على نفسه، حسب قول الرسول "مقدمين بعضهم بعضاً في الكرامة" (رو ١٢: ١٠).

وكما أحلى السيد الرب وغسل أرجل تلاميذه (يو ١٣)، يكون هو أيضاً مستعداً أن ينحني ويخدم الكل، مهما كانوا أصغر منه.

وهكذا نرى الكهنة والمعلمين في كنيسة تدعون أنفسهم خداماً .

وهنا نذكر الصلاة التي صلى بها القديس أوغسطينوس من أجل شعبه قائلاً "أطلب إليك يارب من أجل سادتي، عبيدك". فقال عنهم "سادتي" مع أنهم أولاده ورعيته ..

على أننا نريد أن يكون تعبير "خادم" ليس مجرد لفظ أو لقب، إنما يستعمله صاحبه بكامل دلالاته ومعناه.

✱ ✱ ✱

٢٢ - الإنسان المتواضع يضع أمامه فضائل القديسين وعلاها، فتصغر أمامه كل أعماله الفاضلة :

فإن حورب بفضيلة أتقنها، يتذكر المستوى العالي الذي وصل إليه القديسون في هذه الفضيلة بالذات، ويقارن نفسه بهم، فيرى أنه لا شيء، وتصغر نفسه في عينيه في كل ما فعله من بر. أما الخطورة فهي أن يقارن الشخص نفسه بالمبتدئين أو بالساقطين والخطاة، فيرى أنه أفضل منهم. كما فعل ذلك الفريسي الذي وقف في الهيكل يصلي وقال "أشكرك

يارب أنى لست مثل سائر الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار" (لو ١٨: ١١).



٢٣ - بل المتواضع يضع أمامه الكمال المطلوب منه، فيرى أنه لم يصل بعد إلى شيء.

يتذكر قول السيد الرب كونوا أنتم أيضاً كاملين، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨). ويرى أن المسافة طويلة بينه وبين هذا الكمال المطلوب، فيتضع قلبه ويشعر أنه لا يزال فى الموازين إلى فوق (مز ٦٢: ٩). ويردد نفس العبارات التى وُصف بها بيشاصر الملك "وُزنت بالموازين، فوُجدت ناقصاً" (دا ٥: ٢٧). وهكذا يتضع قلبه إن تذكر المطلوب منه.

فإن كانت المحبة هى أول ثمرة من ثمار الروح للكثيرة (غل ٥: ٢٢، ٢٣). والمحبة برنامج طويل ذكره بولس الرسول فى (١كو ١٣) ولأن لم يدرك بعد أصاق هذه المحبة، ولم يستكمل مستلزماتها، فماذا يقول إذن عن باقى ثمار الروح التى ليس لها منها شيء؟ بل يذكر أيضاً قول الرب "متى فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيد بطلون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لو ١٧: ١٠). ويقول حقاً، إننى لم أصل بعد إلى درجة هؤلاء العبيد البطلين!



٢٤ - الإنسان المتواضع، يتواضع أيضاً من جهة المعرفة والفهم :

يضع أمامه قول الكتاب "لا تكن حكيماً فى عينى نفسك" وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣: ٧، ٥). ويبعد عن المعرفة التى تتفخ (١كو ٨: ١). وليذكر قول مار اسحق إن "الذى يفتخر بالمعرفة، يسقط فى البدعة والهرطقة". وقد سقط فيها أريوس ونسطور وأوطاخى. وكانوا من المعتدين بمعرفتهم ومراكزهم، وواقفين فى أنفسهم بعمق علمهم!



٢٥ - المتواضع لا يكون عنيداً، متشبهاً برأيه.

لأنه توجد عجرفة فكرية عند البعض. عظمة فى الاعتدال بالرأى والتشبث به، مهما كان شاذاً أو خاطئاً. وعدم قبول معارضة له، أو حتى مناقشته! بحيث يثور هذا الشخص

إذا نُسب إلى فكره أى خطأ، ويحتد ويتكلم بحشونة وربما بإهانة. كما لو كانت لفكره عصمة ترفعه فوق المناقشة أو التحليل.

أما المتواضع، فإنه سهل فى التفاهم ، يقبل الرأى الآخر مهما كان معارضاً له، ويقبل الحوار والنقاش بطيبة قلب .



٢٦ - الإنسان المتواضع يحب التلمذة، ويقبل التعليم والتوبيخ .

إنه لا يرى مطلقاً أنه قد وصل إلى درجة من المعرفة لا تقبل الزيادة. بل باستمرار يريد أن يعرف ويتعلم ويستزيد. ويعيش طيلة عمره يتلمذ على الكتب، وعلى الناس، على الآباء والمرشدين، وعلى الطبيعة، وعلى الأحداث.. ولا يظن أنه وصل فى المعرفة إلى المستوى الذى يعطى فيه باستمرار دون أن يأخذ ...

وفى انتضاعه يقبل كل رأى بانتضاع، إن كان سليماً. ويشكر عليه، ويعترف أنه قد استفاد. وإن كان الرأى خاطئاً، لا يجرح صاحبه، بل يناقشه فى هدوء وانتضاع.



٢٧ - والإنسان المتواضع يكون دائماً بعيداً عن الغضب وثورة الأعصاب.

وكما قال القديس دوروثيوس فى ذلك "إن المتواضع لا يغضب من أحد، ولا يُغضب أحداً".

فهو لا يغضب من أحد، لأنه باستمرار يأتى بالملامة على نفسه فى كل شئ. وهو لا يُغضب أحداً، لأنه يطلب بركة كل أحد، ولأنه يعتقد فى أعماقه أن كل أحد أفضل منه.

ولذلك نرى أن الانتضاع يرتبط دائماً بالهدوء والوداعة.

حقاً إنه ليس كل هادئ متواضعاً. ولكن كل متواضع لابد أن يكون هادئاً، وأن يكون وديعاً طيب القلب.



٢٨ - والمتواضع بطبعه سهل التعامل مع غيره بسيطاً فى تعامله :

إنه لا يفترض باستمرار أنه على حق، وأن من يعارضه على باطل. ولا مانع لديه من أن يتنازل عن رأيه إن ثبت له أنه خطأ. بل أيضاً يشكر من وجهه إلى أن ذلك خطأ، ويفعل ذلك بحب حقيقى.

وفي النقاش لا يقاطع غيره، ولا يسكته لكى يتكلم هو. ولا يسخر من الآراء المعارضة له. ولا يحاول أن يتهكم على غيره. بل قد يثبت له خطأ فكره فى لطف دون أن يجرح مشاعره أو أن يسئ إليه. فهكذا كان يفعل القديس ديديموس الضرير مدير الكلية الإكليريكية فى حبرية البابا أثناسيوس. فاستطاع فى حوارهِ مع الفلاسفة الوثنيين أن يكسب الكثيرين منهم إلى المسيحية. وكانوا جميعهم يحبونه.



٢٩ - أيضاً المتواضع لا يرتفع قلبه مهما نما فى الروح وفى الفضيلة.

ومهما نال أيضاً من مواهب روحية. بل يعتقد باستمرار أن كل الحياة الروحية التى صارت له، هى من عمل النعمة فيه، من عمل الروح القدس معه، عن غير استحقاق منه. وأنه بدون الله لا يقدر أن يعمل شيئاً (يو ١٥: ٥). فعليه أن يشكر لا أن يفخر.

والمواضع يعرف أنه إذا افتخر بشئ، ستتخلى النعمة عنه، لكى يشعر بضعفه، ويتضع أمام الله. ويذكر باستمرار قول الكتاب:

"قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦: ١٨).

وهكذا يذكر أنه "تحت الآلام" مثل غيره (يع ٥: ١٧). وأنه ليس لكبر من السقوط، وليس معصوماً منه. فإن الخطية "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوياء" (أم ٧: ٢٦).



٣٠ - لذلك فهو أمام جميع الخطايا لا يفقد احتراسه، ولا يقلل صلواته .

لا يقول عن بعض الخطايا إنها من النوع الذى يحارب المبتدئين، وليس النامين فى الروح مثله!! وأنه أكبر من مستوى مثل تلك الحروب، لو أنه قد داس الشيطان تحت قدميه!!

بل هو فى كل محاربات الشيطان - يطلب معونة من الله، مصلياً بقوة، مهما بدت الحرب بسيطة. ذلك لأنه لا يعتمد مطلقاً على قوته الخاصة ولا على انتصاراته السابقة.



٣١ - والإيمان المتواضع لا مانع لديه من أن يستشير .

فالذى يستشير، إنما يشعر أن هناك عند غيره ما ينقصه من معرفة. ولا يظن مطلقاً أنه غير محتاج إلى رأى أو حلول من غيره كما يفعل المتكبرون. بل هو يستشير ويعمل

بالمشورة الصالحة، واتقأ أنه - مهما أوتى من علم وخبرة - هناك من هو أعلم منه فى أمور معينة...

وحتى إن لم يستشر، وجاءه رأى صائب تطوع به أحدهم دون طلب منه، يأخذ الفائدة التى فى هذا الرأى، مهما كان صاحب الرأى أصغر منه أو أقل شأنًا.



٣٢ - ومن صفات المتواضع الطاعة والاحترام لمن هو أكبر منه .

سواء كان ذلك الكبير أكبر منه سنًا، أو أكبر منه مقامًا، أو أكبر منه فى القامة الروحية أو فى العلاقة الاجتماعية.

وعموماً فالمتواضع لا يستصغر أحداً. فهو يعامل الكل بلطف، حتى الصغار والخدم. ويرفع بذلك من روحهم المعنوية، ويشعرهم بأن نفوسهم كريمة فى عينيه.



٣٣ - الإنسان المتواضع يظهر إتضاعه الروحى فى إتضاع جسده أيضاً .

يظهر إتضاعه فى ملامح وجهه، وفى نبرات صوته، وفى نظرات عينيه. فهو ينظر إلى الناس فى وداعة. ليست له النظرات المتعالية، ولا ينظر إلى الناس من فوق. وصوته هادئ: يتكلم بلطف، لا بسلطان. لا يحتد على أحد، ولا يتكلم بشدة ولا بنبرات متكبرة، ولا بصوت عالٍ، ولا باحتقار أو استصغار لأحد فى عدم ردِّ. إنما بلطف يتحدث مع كل أحد..

ويظهر إتضاعه أيضاً فى طريقة مشيه. فلا يمشى فى زهو أو فى خيلاء. وفى جلوسه أيضاً يجلس فى أدب، لا ينتفخ فى مظهره...

ويبعد عن العظمة فى مستوى ملابسه وأدواته وأثاثاته وحياة القرف. لا يشعر الناس فى منظره ومظهره أنه فى مستوى عالٍ، أو مستوى أعلى منهم.

ولغته تدل عليه : فهو لا يتغنى بأعمال قام بها، ولا يفتخر. ولا يعقد مقارنات بينه وبين الآخرين، تدل على تفوقه ومقدار ارتفاعه عليهم وإدراكه ما لا يدركون.



٣٤ - والمتضع يظهر إتضاعه أيضاً فى أسلوب عبادته وصلواته.

فهو يدخل إلى الكنيسة فى خشوع. حسبما قال داود النبى "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل

إلى بيتك. وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك* (مز ٥: ٧). ويقف فى مهابة تليق بالصلاة وبالوجود فى حضرة الله. كما قيل عن الشاروبيم والسارافيم إنهم وقوف قدامه: بجناحين يغطون وجوههم، وبجناحين يغطون أرجلهم (أش ٦).

يحفظ حواسه جيداً، ولا ينشغل عن الصلاة بشئ. ولا يزاحم غيره فى وقت التناول من الأسرار المقدسة. بل يتقدم إليها كغير مستحق..

ولا يجلس فى الوقت الذى ينبغى فيه الوقوف. لذلك عند مباركة الطعام فى مائدة بيته، لا يصلى وهو جالس... بل هو فى كل مناسبة، يحتفظ بمهابة الصلاة.

كذلك يحتفظ المتواضع بخشوعه فى فترة صومه. لأنها فترة تنزل أمام الله، والتذلل يليق به الاتضاع. ولتذكر فى هذه المناسبة ما قيل عن صوم أهل نينوى إنهم "نادوا بصوم، ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الأمر ملك نينوى. فقام عن كرسيه، وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح. وجلس على الرماد" (يون ٣: ٥، ٦).



٣٥ - والمتواضع إذا أخطأ، واكتشف له ذلك، فإنه يعترف بخطئه.

ما أصعب الاعتراف بالخطأ على إنسان متكبر! يشعر أن ذلك يقتل من قدره ومن كرامته أمام الآخرين. أما المتواضع، فإنه لا يحاول أن يتهرب من مسئولية أخطائه أو يغطى عليها، أو يبرر ذاته بالأعذار. ولا مانع عنده من أن يقول "أخطأت فى هذا الأمر". يقول "أخطأت" أمام الله، وأمام الناس، وفى أعماق نفسه، بكل إقتناع. إن نفسه ليست معصومة فى نظره.

المتواضع ليس "باراً فى عينى نفسه" (أى ٣٢: ١). فهو بعيد كل البعد عن البر الذاتى. ويعرف عن أخطائه أكثر مما يعرفه الناس عنه.



٣٦ - من الوسائل التى تساعد على الإلتضاع: حياة التوبة الحقيقية، وما يصحبها من فضائل.

فإنسان التائب هو إنسان شاعر بتقل خطاياها، وخطيته أمامه فى كل حين (مز ٥٠)، يذكرها متذكلاً أمام نفسه وأمام الله، شاعراً أنه غير مستحق لشئ. وهو باستمرار يلوم نفسه وييكثها على سقطاتها وضعفاتها ونقائصها. وهو فى كل ذلك يطلب صلوات وبركة

كل أحد.. لذلك يسلك باتضاع، ولا يتكبر على أحد. لأن تذكار ضعفاته يخزيه من الداخل، ويمنع عنه الكبرياء من الخارج...

وكما بُعد الإنسان عن مشاعر التوبة وحرارتها ودموعها، أصبح في خطر أن يفقد إتضاعه.. ولذلك سعيد من يحيا في التوبة على الدوام. لا يعتبر أنها مجرد مرحلة من مراحل حياته وقد عبرت. بل هو في كل يوم من أيام حياته يخطئ. وكما قال القديس يوحنا الرسول "إن قلنا إنه ليس لنا خطية، نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (١ يوحنا: ٨).



٣٧ - من وسائل الإِتضاع أيضاً : الصمت وعدم إدعاء المعرفة .

إنه يعرف أن كثرة الكلام لا تخلو من معصية" (أم: ١٠: ١٩) فيقول في نفسه "تكفى معاصي السابقة". ويردد عبارة القديس أرسانيوس "كثيراً ما تكلمت فندمت". لذلك فهو يفضل الصمت. ويرى أن الاستماع أفضل من التكلم. ففي الاستماع يستفيد معرفة. وفي التكلم يعرض نفسه للخطأ. مردداً عبارة موسى النبي "لست أنا صاحب كلام، منذ أمس ولا أول من أمس" (خر: ٤: ١٠).

ويذكر قصة القديس الأنبا أنطونيوس، الذي سأل بعض تلاميذه عن آية معينة. فآخذ كل منهم يذكر لها تفسيراً، ما عدا الأنبا يوسف الذي قال "لا أعرف". فقال له القديس الأنبا أنطونيوس "طوباك يا أنبا يوسف، لأنك عرفت الطريق إلى كلمة: لا أعرف".

وبينما يجلس المتصنع صامتاً في وقار يحترمه الناس، نرى الإنسان المتكبر يحشر نفسه في كل موضوع مهما كان في غير تخصصه! ويجب على كل سؤال، سواء كان يعرف أو لا يعرف. أما المتواضع فإن اضطُر إلى الكلام - يجب في هدوء عما يوقن به. ولا مانع من أن يقول أحياناً: لا أعرف. أو سأحاول أن أدرس هذا الموضوع.



٣٨ - الإنسان المتواضع يشعر أنه في حاجة إلى معونة من القديسين:

لذلك فهو في كثير من الأمور لا يعتمد فقط على صلواته الخاصة. إنما يطلب من القديسة العذراء، ومن الملائكة الأبرار، ومن أرواح الشهداء والقديسين أن يسندوه في جهاده، وأن يشفعوا فيه أما الله هو وكل الذين له. ويقول للرب في صلاة الأجيبة: أخطأ يارب بملائكتك القديسين، لكي نكون في معسكرهم محفوظين ومرشدين..

ولا يرتفع قلبه فيقول : لست فى حاجة إلى وساطة من أحد هؤلاء! إن لى صلتى المباشرة بالله! فلماذا أطلب من العذراء، أو من مارجرجس أو من الملاك ميخائيل؟ متذكراً أن القديس بطرس الرسول - فى ليلة العشاء السرى - طلب من زميله القديس يوحنا الحبيب، الأصغر منه سناً، أن يسأل الرب عن سيسلمه. وكان كذلك (يو ١٣: ٢٣-٢٥).

بل المتواضع يطلب صلوات كل أحد. وهوذا القديس بولس الرسول يطلب من شعبه فى أفسس أن يصلوا لأجله بكل صلاة وطلبية فى كل وقت، لكي يُعطى كلاماً عند افتتاح فمه ليُعلم بالإتجيل (أف: ٦: ١٨، ١٩).



٣٩ - والإنسان المتواضع لا يطلب أن يكون من أصحاب الرؤى، أو من صانعي المعجزات والعجائب .

إنه لا يشتهي هذه الشهوة ولا يطلبها، لأنه يعرف مقدار ضعفه وهبوط مستواه الروحي. بل القديسون الكبار كانوا يخشون هذا الأمر لتلا يحاربهم الكبرياء والمجد الباطل. ويذكرون قول الرب لتلاميذه عن مثل هذا الأمر "لا تفرحوا بهذا.." (لو ١٠: ٢٠). والمتواضع يذكر أن كثيراً من الذين صنعوا آيات وعجائب لم يدخلوا ملكوت السموات. وقال لهم الرب "أذهبوا عنى" "إني لم أعرفكم قط" (مت ٧: ٢٢، ٢٣).



٤٠ - لذلك فالمتواضع يسعى إلى ثمار الروح (غل ٥: ٢٢، ٢٣). وليس إلى مواهب الروح (١ كو ١٢).... والذين فى كبرياء يحبون الرؤى والمناظر، ما أسهل أن يقعوا فى خداع الشياطين.

والشيطان سهل عليه أن يعمل بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين (٢ تس ٢: ٩، ١٠) كما سيعمل فى الأيام الأخيرة فى مساندة ضد المسيح المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً (٢ تس ٢: ٤). والشيطان أيضاً يستطيع أن يظهر فى شبه ملاك من نور (٢ كو ١١: ١٤). وبهذا يرضى محب الرؤى ويخدعه ويضيعه...

وهنا أذكر قصة ذلك الراهب الذى ظهر له الشيطان فى هيئة ملاك وقال له "أنا الملاك جبرائيل، وقد أرسلنى الله إليك". فردّ عليه الراهب فى اتضاع "لعلك أرسلت إلى غيرى

وأخطأت الطريق. أما أنا فإنسان خاطئ، لا استحق أن يظهر لى ملاك". فلما سمع الشيطان هذه العبارة المتضعة، انقشع كالدخان واختفى.



٤١ - الإنسان المتواضع - إذا عمل فى الخدمة - لا يلج على الله أن يمنحه موهبة التكلم بالأسنة. ولا يعلن على الناس أن هذه هى علامة الملء!

ولا ينظر باستصغار إلى من لا يتكلم بالأسنة على اعتبار أنه لم يصل بعد! ولا ينادى شخصاً آخر، ويقول له : تعال لكى أسلمك تدريب الملء، واقفاً أمام الناس كمأنح لموهبة الأسنة!

وسائل وعلامات أخرى

لحياة الاتضاع

تجدها فى الأبواب المقبلة، وبخاصة فى علاقة الاتضاع بالفضائل . وأيضاً فى مقاومة الصفات التى يتصف بها المتكبر .

وننكر من هذين البابين :

★ علاقة الاتضاع بالإيمان والبساطة والتجرد .

★ وعلاقته بالتعليم والتأديب ، وبالانتهاز .

★ وعلاقته بالوداعة وبالشجاعة .

★ ويعده عن (الأنا) والاهتمام بالذات .

★ ويعده عن المجد الباطل وكل فروعه .

★ ويعده عن محبة الرئاسة والرعاية .

★ وعن محبة المديح والكرامة .

مع قراءة تفاصيل كل ذلك .

الباب الثالث :

الفضيلة والكبرياء

- مقاومة الله لها .
- هي سبب السقوط .
- تشامخ الروح - العجرفة .
- البر الذائق .
- نتائج ومظاهر الكبرياء
- علاقة الكبرياء بالتجارب .
- الذات (الأنا) .
- كيف التخلص من الكبرياء ؟

الكبرياء والعظمة

خطية مركبة تلد خطايا كثيرة (١)

المتكبر هو إنسان ضائع، ضيعته الذات. وفي كبريائه يقع في عديد من الخطايا. وربما لا يشعر بضياعه ولا بخطاياه بسبب كبريائه. ويقول الكتاب:

‘قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح’ (أم ١٦: ١٨).

فما هو سر هذا الكسر؟ وما هذا السقوط الذي يتعرض له؟ نذكر منه :

مقاومة الله للمتكبرين :

قد يتعرض المتكبر لمقاومة كثيرين ممن ينفرون من كبريائه، لأن الكبرياء خطية منفرة. ولكن أصعب من هذا كله مقاومة الله له. كما قال يعقوب الرسول:

‘يقاوم الله المستكبرين. أما المتواضعون فيعطيه نعمه’ (يع ٤: ٦).

حقاً : ما أصعب هذا، وما أخطر هذا! إنه أمر مرعب أن يقاوم الله لوناً من مخلوقاته... والسبب هو الكبرياء.

✱ ✱ ✱

أول مخلوق قاوم الله، والله قاومه، هو الشيطان:

أراد الشيطان أن يرتفع فوق الكل، وأن يصير مثل الله (أش ١٤: ١٤). وفي سقوطه لم يتضع ولم ينسحق. بل استمر في مقاومته، وأسقط معه مجموعة من الملائكة من رتب عديدة، صاروا جنداً له، ينفذون معه خطته في مقاومة الله.

وما زال الشيطان فى مقاومته لله ولملكوته، وفى مقاومته لأبناء الله.. حتى أنه عندما يُحل من سجنه، سيخرج "ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض" (رو٢٠: ٧).. بل يحاول أن يضل "لو أمكن المختارين أيضاً" (مت٢٤: ٢٤).



وأخطر عدو فى آخر الزمان، دُعى أيضاً مقاوماً :

إنه "ضد المسيح" Anti - Christ الذى قال عنه الرسول إنه سيكون سبباً فى الارتداد العام الذى يسبق المجئ الثانى للسيد المسيح. ووصفه بأنه "إنسان الخطية، ابن الهلاك، المقوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً. حتى إنه يجلس فى هيكل الله كإله، مظهراً نفسه إنه إله" "الذى مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين" (٢تس٢: ١-١٠).

من كبرياته يدعى الألوهية كمعلمه الشيطان. ومن كبرياته يكون مرتفعاً ومقاوماً، مثل الشيطان أيضاً. وتغريه الآيات والعجائب والقوة، كمعلمه أيضاً.

لذلك يقاومه الله "يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه" (٢تس٢: ٨).



إن السيد المسيح كان يشفق على الخطاة المنسحقين، بينما يقاوم المستكبرين .

★ لقد دافع عن المرأة الخاطئة الذليلة المضبوطة فى ذات الفعل. وقال لها: "وأنا أيضاً لا أدينك. إذهبي بسلام ولا تخطئى أيضاً" (يو٨: ١١)... بينما قاوم الكتبة والفريسيين المتكبرين، الذين نسوا خطاياهم وأرادوا رجم تلك المرأة. وقال لهم الرب "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو٨: ٧).

★ وأشفق السيد كذلك على الخاطئة المنسحقة التى بللت قدميه بدموعها، بينما وبخ الفريسي المتكبر الذى احتقرها وأدانها (لو ٧).

وصلت كبرياء ذلك الفريسي إلى حد أنه شك فى السيد المسيح نفسه له المجدا فقال فى قلبه "لو كان هذا الإنسان نبياً لعلم من هذه المرأة وما حالها، إنها لخطئة" (لو٧: ٣٩). فأراه السيد الرب أن تلك المرأة أفضل منه، وأن كليهما مديونان أمام الله. غير أنها ثابتة، وهذا الفريسي لم يتب. فاستحققت لذلك المغفرة...



وقاوم الرب الكتبة والفريسيين، لأنهم مراؤون ومتكبرون.

صوب الولايات على أولئك الذين كانوا "يحبون المتكآت الأولى في الولائم، والمجالس الأولى في المجمع، والتحيات في الأسواق.. ويغلقون ملكوت السموات قدام الناس. فلا هم يدخلون، ولا يدعون الداخلين يدخلون". ودعاهم "قادة عميان" (مت ٢٣: ٦، ٧، ١٣) (مت ٢٣: ١٦، ١٩).

✱ ✱ ✱

احذر إذن من أن تتكبر ، فيقاومك الله!!

حقاً ، ما أخطر ما قيل عن ذلك في سفر اشعيا :

ورد فيه عن هذا الأمر: "إن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع. وعلى كل أرض لبنان العالی المرتفع، وعلى كل بلوط بشان. وعلى كل الجبال العالیة، وعلى كل التلال المرتفعة. وعلى كل برج عالٍ، وعلى كل سور منيع.. فينخفض تشامخ الإنسان، وتوضع رفعة الناس. ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم" (أش ٢: ١٢-١٧).

فإن خفت أن يقف الرب ضدك ويقاومك، تواضع لأنه يعطى المتواضعين نعمة" (يع ٤: ٦).. ماذا في الكبرياء أيضاً؟

تشامخ الروح :

هناك كبرياء في ذاتها، يشعر الإنسان فيها إنه كبير (= عظمة).

وكبرياء أخرى مقارنة . إذ يقارن نفسه بغيره، فيشعر أنه أكبر منه. وقد ينمو عنده هذا الشعور، حتى يظن أنه أكبر من الكل، وأنه أفضل منهم، وأنه يفوقهم جميعاً!!

وتنتقل به الكبرياء إلى المعاملة، فينظر إلى الناس من فوق !

فيتعاطف عليهم، ويكلمهم بغير احترام، بأسلوب منتفخ غير لائق. ويفقد آداب التخاطب وآداب التعامل. وربما يكونون أكبر منه سناً أو أعلى منه مقاماً. ولكنه في كبريائه وفي تعاطفه، لا يحترم أحداً، ولا يراعى شعور أحداً! ألم يقل الكتاب عن إنسان الخطية إنه "المرتفع على كل ما يدعى إلهاً" (٢ تس ٢: ٤). فكم بالأولى تعامله مع إنسان!

✱ ✱ ✱

بينما المتواضع يحترم الكل، ولو كانوا أصغر منه أو أقل شأناً .

المقاييس يعامل الكل بالاحترام والأدب واللياقة، حتى مرؤوسيه وتلاميذه، بل وخدمه أيضاً.. ولا يحاول إطلاقاً أن يخدش شعور أى إنسان، مهما كان خاطئاً أو مخطئاً فى تصرفه...

وهكذا تحدث السيد المسيح له المجد مع المرأة السامرية الخاطئة، دون أن يجرح شعورها. ولم يكلمها عن التوبة والتعفف والطهارة، بل حدثها عن الماء الحى والسجود لله بالروح والحق (يو ٤) .

أما المتكبر ، فإن تشامخه يقوده إلى خطية أخرى وهى :

الإدانة ومَسْكُ السيرة :

فى عدم احترام المتكبر للغير ، يتكلم عنه بأسلوب غير لائق، فيه الإدانة والشتائم، وألفاظ التجريح والألفاظ القاسية، كأنما غيره بلا شعور ولا إحساس أمامه! وفى كل ذلك ينسى قول الكتاب:

"لا شتمون .. يرثون ملكوت الله" (١كو ٦: ١٠).

وقد وضع الرسول هؤلاء الشتامين ضمن قائمة من أصحاب الخطايا البشعة، كالظالمين والطماعين والسارقين والفسقة وعبدة الأصنام..! وربما المتكبر وهو يشتم غيره، لا يحسب أنه يرتكب إثماً بشعاً.. وقد يظن أنه من حقّه أن يشتم وأن يدين! وقد يضع شتائم فى قائمة الغيرة المقدسة والرغبة فى الإصلاح أو التعليم. كبرياؤه تقوده إلى شئ آخر هو البر الذاتى ...

البر الذاتى :

المتكبر بار فى عينى نفسه . وقد يكون أيضاً "حكيماً فى عينى نفسه" بينما يقول الكتاب "لا تكن حكيماً فى عينى نفسك" (أم ٣: ٧). وقد وبّخ هذا النوع من الناس فقال "جاوب الجاهل حسب حماقته، لئلا يكون حكيماً فى عينى نفسه" (أم ٢٦: ٥). من الصعب أن يعترف هذا النوع من الناس أنه مخطئ .

هناك أناس - من الصعب وربما من المستحيل - أن يعترفوا بأنهم قد أخطأوا!

حتى لو كان الخطأ واضحاً، سواء فى رأى أو فى تصرف!..

ولكن كبرياء القلب تأبى أن تخدش (العصمة) التى يدعيها المتكبر لنفسه! فلا بد أن يدافع عن أخطائه، وأن يقاوم، وأن يهاجم من يكشف له خطأ أو عيباً. ولا بد أن يبرر ذاته بكافة الطرق. فتقوده الكبرياء إلى المكابرة ...

المكابرة :

أو ما يسمونه بالعامية (المقاوحة).. إنه يريد أن ينتصر فى مجادلته بأية الطرق! ورغبته فى الانتصار تبعده عن الحق، وتركزه حول الذات .

والمكابرة سببها فى المتكبر : التشبث بالرأى أياً كان !

وقد ينفر الناس من أسلوب المتكبر فى مجادلته وتشبثه برأيه، مما لا يؤدى إلى أية نتيجة، إلا إلى ضياع الوقت وإرهاق الأعصاب، فيبعدون عن النقاش معه، حرصاً على سلامتهم القلبي، ولكى لا يدخلوا فى صراع معه.. وربما يكلمهم أو يكتبهم فلا يجيبون..

* * *

وهكذا تؤدى به المكابرة والتشبث بالرأى إلى اعتزال الناس له .

أو قد يؤدى ذلك إلى أنطوانه عن الناس ترفعاً وكبرياء. وتتعبه العزلة وترهق أعصابه، فيزداد عنفاً إن دخل فى نقاش .

وإذا طرقت المناقشة والمكابرة موضوعاً لا هو تياً أو عقيدياً، فقد يسقط المتكبر فى البدعة أو الهرطقة.

البدعة أو الهرطقة :

كل الهرطقة والمبتدعين كانوا متكبرين وعنفاء بلا إستثناء .

ويندر أن يكون أحدهم قد وقع فى الهرطقة عن جهل. لأن الجاهل - إن كان متواضعاً - يقبل التصحيح ويقبل تغيير رأيه .

أما المتكبر فلا يستطيع . لا يمكنه أن يقول إنه قد أخطأ. وهكذا يستمر فى فكره المنحرف، ويدافع عن هذا الفكر، ويحاول أن يجد له إثباتات، أو أن يطوع تفسير آيات الكتاب لرأيه. وبذلك يثبت فى أخطائه العقيدية، وتحول بسبب كبريائه من أخطاء إلى هرطقة...

* * *

وربما تقنع الكبرياء إيماناً أن يأتي بشئ جديد لم يطره أحد من قبل، أو لم يكتب فيه الآباء، حتى لو كان غير مألوف أو غير مقبول.

وهكذا يقع في البدعة، إذ يبتدع شيئاً جديداً، ويعجب بنفسه أنه قد أتى بجديد. وربما يرى في الجديد شيئاً مشوقاً، فيعمل على نشره منتظراً أن يجلب لنفسه شهرة ومديحاً كصاحب فكر !!

وتقوده البدعة إلى أن "يرتقى فوق ما ينبغي" (رو ١٢: ٣).

فيحدث عن أمور ربما لم يتعرض لها الكتاب في صراحة، أو لم تتعرض لها أقوال الآباء، أو هي فوق إدراكنا.. وفي كبريائه يستحى أن يقول "لا أعرف".. فيبدى رأيه، ثم يحاول أن يثبتته. وقد يعتمد على مراجع غير دينية. ولا يشاء أن يقول إن ذلك مجرد رأى، أو أنه مجرد مفهومه الخاص....

✱ ✱ ✱

وبالكبرياء يحاول أن يقدم رأيه الخاص كأنه عقيدة !!

أو أن يعتبر رأيه هو رأى الكنيسة وتعليمها! ويندهش إن سألته أحد "ما هو المرجع الذى اعتمدت عليه؟"، ظاناً في نفسه أنه هو المرجع الذى يعتمد عليه الآخرون !
حقاً، إن التكلم فى اللاهوتيات يحتاج إلى تواضع قلب وإلى تواضع فكر .

✱ ✱ ✱

والمتكبر يظن أنه يفهم أكثر من غيره. فلا يقبل تصحيح غيره له . لأنه من هو الذى يفهم أكثر منه، حتى يصحح له!!

وهكذا فإن هرطوقياً مثل أريوس، لم يغير رأيه بتوجيه البابا بطرس خاتم الشهداء، ولا قبل أيضاً توجيه البابا ألكسندروس. ولم يخضع للمجمع المكائى الذى عقده البابا ألكسندروس وحضره مائة أسقف من أساقفة الكرازة المرقسية فى مصر وليبيا .

ولم يقبل شيئاً من اقتاعات القديس أثناسيوس. بل لم يقبل حكم المجمع المسكونى العظيم المنعقد فى نيقية والذى حضره ٣١٨ من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يمثلون كنائس العالم كله. وظل متمسكاً بفكره الخاطئ، لا يعبأ بأسقف ولا ببطريك ولا بمجمع!! وهذا يدل على خطية أخرى هي:

العناد :

المتكبر عنيد . والهرطوقي أيضاً عنيد ، والمبتدع عنيد .

فإن صادفت إنساناً عنيداً، اعرف أن وراء عناده كبرياء .

وإن وجدت هرطوقياً، أعرف أن من أسباب هرطقته العناد والكبرياء .

والعناد يدخل في أمور أخرى غير اللاهوت والعقيدة. وهو على أية الحالات طبع

منفر، كأمه الكبرياء، يقود أيضاً إلى العزلة والإنطواء .

نتائج أخرى :

للكبرياء نتائج أخرى وعلامات كثيرة. لعل من بينها المجد الباطل، ومحبة المديح

والكرامة، والتعالى، والتمركز حول الذات، والتقدم على الآخرين.. وأمور أخرى عديدة...

المتكبر يرتفع فيسقط .. والمتكبر دائماً يبرر ذاته المتكبر يفقد حياة الوداعة وحياة التوبة ..

يرتفع فيسقط :

شرح القديس أوغسطينوس أن المتكبرين يبيدون كالدخان، فقال:
الدخان يرتفع جداً إلى فوق. وفيما هو يرتفع يتبدد وينتهي .
بعكس اللهب الذى لا يرتفع كالدخان، ولكنه يبقى بقوته .
وقال هذا القديس فى تفسير المزمورين ٣٧، ٧٣ .

يقول المزمور " رأيت الشرير مرتفعاً إلى فوق ، وقائماً أعلى من أرز لبنان " (مز ٣٧: ٣٥). فلنفترض إذن أنه مرتفع إلى أعلى، وأنه متشامخ فوق الباقين. ولكن ماذا بعد هذا؟
يستطرد المرتل فيقول عنه: " عبرت عليه، فإذا هو ليس بموجود. طلبته فما أمكن أن يعثر
له على مكان " .. تماماً كما لو كان دخاناً، هذا الذى عبرت عليه.

قيل أيضاً عن مثل هذا فى المزمور إنه سيفنون ويتبددون مثل الدخان. يقول "فنا مثل
الدخان، فنا" (مز ٧: ٢٠) ... تماماً مثل الدخان الذى يتبدد فيما هو يرتفع إلى فوق .. فهو
فى ذات صعوده إلى أعلى، ينتفخ إلى حجم أكبر. وعلى قدر ما يعظم حجمه، تتحلل
مادته .. وهكذا تلاحظ أن نفس عظمته كانت قاضية عليه. لأنه كلما ارتفع وامتد إلى أعلى،
تزداد رقعته ويخف، ويقل ويضيع ويضمحل.

هكذا أعدم الله: عندما يبدأون أن يتمجدوا ويرتفعوا، سريعاً ما يفنون تماماً كال دخان..".
[القديس أغوستينوس]



هنا ونذكر أشخاصاً، حينما تعينهم النعمة، ويجدون أن حياتهم قد تغيرت إلى أفضل،
يفتخرون قائلين: "حياتي قد تغيرت وتجددت. صرت إنساناً آخر". ويشرحون اختباراتهم
للناس، بطريقة كنت.. وأصبحت..!

وإذا افتخر الشخص بارتفاعه، تبعد عنه النعمة، فيسقط.. ليته يتذكر قول الكتاب في
ذلك:

"من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" (١كو ١٠: ١٢).

إن كنت قائماً، فلا تظن قيامك وضعاً دائماً لا يتغير. وتذكر القديسين الذين سقطوا.
وهكذا يتضع قلبك، وتحترس لنفسك.



إن الاتضاع يحفظك ، لأن الرب قريب من المنسحقين بقلوبهم .

فالإنسان المتضع : إذ يعترف بضعفه ، فإنه يخاف فيحترس ويدقق. وهكذا يبعد عن
العثرات فلا يسقط. أما المتكبر فيعتز بقوته ولا يبالي، فتضربه الخطية من حيث لا يدرى.



إن الشيطان له خبرة آلاف السنين في محاربة بني البشر .

وقد يجدك محترساً من خطية معينة، فلا يحاربك بها. ولكنه يهاجمك من جهة أخرى
ظننت نفسك فيها قوياً، ويسقطك ..

وربما لا يحاربك إلى فترة طويلة، حتى تظن أنك قد ارتفعت فوق مستوى الحروب،
وتستهين بالاحتراس. وحينئذ يرجع إليك وأنت غير مستعد في ارتفاع قلبك هذا. وإذا
سقط، تتأكد أنك لست فوق السقوط!



لا تظن إنك أن السقوط هو فقط للمبتدئين !

وأنت لست من للمبتدئين! بعد أن قطعت شوطاً في الحياة الروحية .

فإنك عندما كنت متضعاً ومحترساً، كنت تصلى بحرارة طالباً من الله أن يهبك معونة

لكي لا تسقط. أما الآن فأنت لا تصلى لأجل هذه المعونة، بل ربما تطلبها لأجل الآخرين فقط المعرضين وحدهم للسقوط، وليس أنت! وهكذا تبقى بلا معونة فتسقط ...

✱ ✱ ✱

تأمل ما راسحق في عبارة "قبل السقطة تكون الكبرياء"، فقال :

على قدر ظهور العظمة في النفس، على قدر ما تكون السقطة، ويكون الإنكسار المسموح به من الله. فإن الله لا يرفض الإنسان ويتخلى عنه، إلا إذا وجد عقله متقوضاً مع أفكار العظمة.

فالذين يخرجون عن طريق الاتضاع، يتعرون من المعونات الإلهية ويسقطون.. فالمتعظم بالمعرفة يُهمل فيسقط في التجديف. والمتبجح بالنسك يُهمل فيسقط في الزنا. والمترفع بحكمته يُهمل، فيسقط في فخاخ الجهل المظلمة.

✱ ✱ ✱

إن داوم الإنسان على الكبرياء، حينئذ يبتعد عنه الملاك المعنى به، الذي إذا ما كان قريباً منه، حرك فيه الاهتمام بالبر. ولكن بابتعاده عنه، يقترب منه المحتال، ولا يدعه يدرك شيئاً من عمل البر.

✱ ✱ ✱

حقاً، أليس ارتفاع القلب هو سبب سقطة الشيطان ... يقول له سفر حزقيال "قد ارتفع قلبك" (حز ٢٨ : ١). "ارتفع قلبك لبهجتك. أفسدت حكمته لأجل بهائك" (حز ٢٨ : ١٧).

ويقول عنه سفر اشعيا "أنت قلت في قلبك: أصعد إلى السموات. أرفع كرسي فوق كواكب الله.. أصعد فوق مرتفعات السماء. أصير مثل العلى، لكنك أنحدرت إلى الهولية، إلى أسافل الجب" (اش ١٤ : ١٣ - ١٥).

لم يقع بما كان له من مجد، فاشتهى مجداً أكبر. ففقد ما كان له. وهكذا الإنسان الأول: اشتهى مجد الألوهية، ففقد مجد بشريته!

✱ ✱ ✱

العجيب أن غالبية المتكبرين يدعون أنهم غير متكبرين . وهذا بلا شك من كبريائهم، إذ أنهم على الدوام يبررون نواتهم. وبهذا يفعلون في خطية أخرى هي تبرير الذات.

المتكبر يبرر ذاته :

باستمرار يدافع عن نفسه. لا يحب مطلقاً أن يبدو في صورة الخاطئ. هو دائماً "بار في عيني نفسه". ويريد أيضاً أن يكون باراً في أعين الناس. وإن نبهه أحد إلى خطأ واضح، ربما يحاول أن يغطيه بالكذب أو بالأعذار، بعيداً عن الاعتراف والتوبة. لبونا آدم لم يعترف بخطيئته، بل حاول أن يبرر ذاته. وهكذا فعلت أيضاً أمنا حواء (تك ٣). ونحن ورثنا عنهما تبرير الذات .



للخاطئ يضيف إلى خطيئته التي يبررها ، خطيئة التبرير . وما أكثر الحيل التي يلجأ إليها المتكبر في تبرير ذاته: منها إلقاء التبعة على غيره، أو على الظروف المحيطة. ومنها الإنكار، أو وإدعاء القصد السليم، أو أن الناس لم يفهموه على حقيقته. وغير ذلك من الأسباب التي تخرج جميعها عن النطاق الروحي..!



ما أصعب كلمة "أخطأت" على المتكبر.. إنها تجرحه ... وقد قولها أحياناً إن كانت تجلب له مديحاً! أو إن كانت صورة الاتضاع للزائف ترضى كبرياءه.. ولكنه في داخله لا يشعر إطلاقاً بأنه قد أخطأ. تخرج الكلمة من فمه وليس من قلبه. وقد يقول كلمة "أخطأت" - إن قالها - بلون من السياسة، وليس بروح الاتضاع...



المتكبرون لا يعترفون ، وإنما يدينون غيرهم، ليستروا أنفسهم . لابد أن يكون غيرهم هو المخطئ ، إذ ليس من المعقول أن يكونوا هم المخطئين! كما لو كانوا معصومين في كل تصرفاتهم! لذلك فالمتكبر كثير الجدل والنقاش لتبرير ذاته . التعامل معه ليس سهلاً . والتفاهم معه ليس سهلاً . التفاهم عنده ليس معناه أن يفهم رأى غيره أو يقبله. إنما تفاهمه مع الغير، معناه أن يقبل هذا الغير رأيه ويقتنع به...

وإن لم يقتنع غيره برأيه، قد يثور ويغضب. ويعالج الموصوع بأعصابه، مادام لم

يستطع معالجته بالرأى والفكر والإقناع.



لهذا فإن الغضب زميل للكبرياء، يلزمها كثيراً وتلازمه .

وفى كل ذلك يفقد المتكبر وداعته. بعكس الإنسان المتواضع، فإنه إنسان رقيق لطيف وديع، سهل التعامل مع الآخرين. لذلك فهو محبوب من الكل. يخضع لهم بروح الحب فيكسبهم. وإن صداقته مشكلة يحلها بوداعة الحكمة (يع: ٣: ١٣).

أما المتكبر ، فإنه لا يخطئ فقط من الناحية الروحية، بل من الناحية الإجتماعية أيضاً، إذ يفقد محبة الكثيرين بسبب كبر يائه.



والمتكبر فى تبريره لذاته يبعد عن حياة التوبة .

لأنه كيف يمكن أن يتوب إنسان، إن كان باستمرار يارأ فى عينى نفسه؟ فهل يحتاج الأصحاء إلى طبيب؟ (مت: ٩: ١٢). أو كيف يستطيع هذا المتكبر أن يصلح أخطاءه، إن كان باستمرار يبررها؟ وكأنه بلا خطية!

أنت لا تترك خطأ من الأخطاء، ما لم تعترف أولاً بينك وبين نفسك أنه خطأ. أما إذا اعتقدت أنك على صواب، فسوف تبقى حيث أنت، لا تغير فى نفسك شيئاً..



إن مشكلة العزة بالنفس والكرامة والكبرياء الذاتية، هى التى تعوق الإنسان عن الاعتراف بأخطائه، حتى أمام أب اعترافه!

قد يعترف ببعض الخطايا التى لا يخله ذكرها، ويخفى الباقى، أو يمر عليه مروراً عابراً، أو يشير إليه من بعيد، أو يقوله دمجاً، أو يقوله ويبرره.. وقد لا يعترف إطلاقاً، ويتحول اعترافه إلى شكوى ضد غيره. وكأنه أمام أب الإعتراف يعترف بخطايا غيره وليس بخطاياها هو!



وفى تبرير الإيمان لذاته، قد يسمى خطاياها بأسماء فضائل !

فقد يسمى ما يقع فيه من خبث ومكر ودهاء، بأنه لون من الحكمة! وقد يسمى تدليله الخاطئ لأطفاله بأنه حب وحنان، بينما يسمى لسوته بأنها حزم وتربية. ويسمى إدانته للآخرين وثورته للخاطئة على الأوضاع، بأنها غيرة مقدسة ورغبة فى الإصلاح.. وهكذا



على أن أخطر ما فى تبرير الذات وما فى المكابرة، أن يبدأ المتكبر المخطئ فى أن
يفلس أخطاءه ويبررها فكرياً ليقنع الناس بها!

وهنا يوجد جواً من البلبلة الفكرية، حتى يحار البعض أين هو الحق؟! إن تبرير الذات
فى تصرفاتها هو تبرير سلوكى يتعلق بالشخص نفسه وحده. أما تبريرها فكرياً، فهو يتعلق
بالقيم والمبادئ، ويأخذ إتجاهاً عاماً.. لذلك فإن التبرير الفكرى للأخطاء له خطورة كبيرة.
فإن الحق ليس هو الهدف فيه، وإنما الذات. ويندفع الشخص فيه متأثراً بعوامل نفسية.



المتكبر - فى تبريره لذاته - كل ما يهمه هو رأى الناس فيه، ولا يهمه مصير هذه
الذات فى الأبدية، مركزاً على توقيف الناس لها!

فهو يدافع عن نفسه، ويدافع عن أفكاره وتصرفاته. ويشرح، وقد يعثر الغير فى
شرحه. وهو لا يهتم بشئ من ذلك. إنما المهم عنده هو أن تخرج ذاته بريئة سليمة بعيدة
عن اللوم.

وقد يؤدى تبريره لذاته ودفاعه عنها، إلى اتهام الغير أو تجريحه ولا بأس لديه من
ذلك، مادام ذاته هو تصل إلى تبرير يرضيها..



وفى تبرير الذات فى أخطائها الفكرية، وقع البعض فى البدعة أو فى الهرطقة
وأصروا على ذلك، إذ منعهم كبرياؤهم من الاعتراف بالخطأ.

فى تبرير أخطاء الذات، يفقد ضمير المتكبر كل سلطان عليه، ويتولى قيادته روح
الكبرياء وعزة النفس.



والعجيب أن الذين يبررون ذواتهم، قد يصلون طالبيين مغفرة خطاياهم. وهم فى داخل
أنفسهم لا يرون أنهم خطاة فى شئ!!

فى الحقيقة أن تبرير الذات لا يفيد، إنما تفيدها التوبة .
لأن التوبة تنقى الذات، بينما التبرير يعمل على تغطية الذات مع بقائها فى أخطائها
والتوبة تعنى كشف الذات ومعرفة أخطائها، وتبكيها على هذه الأخطاء. ولكن المتكبر
للأسف الشديد، ترفض ذاته أن تتكشف وأن تعترف بالخطأ. فيبقى بعيداً عن التوبة .

إن الذى يظن فى نفسه أنه شئ، يكبر فى عينى نفسه، ويريد أن يكبر فى أعين الناس. وربما يكبر فى علاقته مع الله، ويقع بذلك فى التجديف! كما حدث مع الشيطان وكثير من الملحدين.

العجرفة :

هناك ثلاثة أنواع من العجرفة تصيب المتكبرين ...

وهذه هى العجرفة . ويقسمها البعض إلى ثلاثة أنواع :

عجرفة علمانية، وعجرفة رهبانية، وعجرفة فى العقيدة واللاهوتيات .

★ العجرفة العلمانية هى أن ينتفخ الإنسان من الداخل. وتظهر الكبرياء فى نظراته، وفى مشيته وجلوسه، وفى مظهره الخارجى، وفى أسلوب كلامه.. يمشى فى خيلاء وعظمة، ويتخذ مظهراً أرستقراطياً فى كل تعاملاته ...

★ أما العجرفة الرهبانية، فتظهر فى الافتخار بالصمت والوحدة، ولبس الخيش. كل ذلك من الخارج، دون التدريب فى الداخل على نقاوة القلب والفكر وممارسة ثمر الروح (غل: ٥: ٢٢، ٢٣). ومثل هذا الراهب يتعالى على زملائه الرهبان، ويحتقر وينتقد الذين ليسوا فى نسكه ووحده .



★ أما العجرفة فى مجال العقيدة واللاهوتيات ، فتظهر فى الذين يسعون إلى التكلم

بالسنة، ويقولون إنها علامة الملء بالروح.. ويتحدثون عن اختباراتهم علناً ومن فوق المنابر. ويدعون منح الروح القدس بوضع أيديهم على الناس. ويقولون إن الشيطان تحت أقدامهم، يدوسونه بأرجلهم..!

★ وقد يدعى بعضهم المعرفة اللاهوتية، وأنه يأتي فيها بجديد لم يدركه غيره، فيقع بذلك في الدعة والهرطقة..!

العجيب أن كثيراً من الذين تكبروا، أو غالبية الذين تكبروا، كانوا من الذين قد أحسن الله إليهم، أو وهبهم إحدى المواهب.

إنسان يمنحه الله ذكاءً، أو لوناً من الفن، فينتفخ بسبب ذكائه أو فنه. وآخر يمنحه الله طاقة أو قدرة على العمل، فتكبر ذاته بسبب قدرته. وثالث يمنحه الله غنى، فينتفخ بسبب غناه، أو يسمح الله لإنسان أن يتولى منصباً عالياً أو وظيفة مرموقة، فيرتفع قلبه بسبب مركزه أو وظيفته.. وإذا به ينظر إلى الناس من فوق، أو يتجاهل أصدقائه القدامى.



أمثال هؤلاء لم يحملوا كرامة المركز والغنى، ولا كرامة الذكاء والطاقة. وكما قال القديس أنطونيوس الكبير في ذلك :

هناك من يستطيعون أن يحملوا الإهانة، ولا يحملون الكرامة. لأن احتمال الكرامة أصعب من احتمال الإهانة .

لأن كثيرين ممن نالوا كرامة، انتفخوا وارتفع قلبهم من الداخل، وفقدوا الاتضاع والوداعة. ومثلهم أيضاً من نالوا مواهب عقلية أو فنية، أو حتى مواهب روحية، دفعهم ذلك إلى الكبرياء أو على الأقل إلى الإعجاب بالنفس! حتى تلاميذ المسيح أنفسهم أدركهم الإعجاب بالنفس، لما خضعت لهم الشياطين بالموهبة التي منحها الرب أياها. وقالوا له وهم فرحون "يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك". فقال لهم "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم. بل افرحوا بالحرى أن أسماعكم قد كُتبت في السموات" (لو ١٠: ١٧، ٢٠).



ولأجل هذا قال أحد الأدباء :

"إذا منحك الله موهبة، اطلب منه أن يهبك تواضعاً ليحميها. وإلا فليأخذها منك".

وذلك حتى لا يرتفع قلبك بسبب الموهبة، فتسقط ...

حقاً إن المتواضعين فقط هم الذين يأتمنهم الرب على مواهبه. كما قيل في الكتاب "أما

المتواضعون فيعطيهام نعمة" (يع ٤ : ٦) (أم ٣ : ٣٤).

✱ ✱ ✱

لهذا اختار الرب أكثر العنراوات اتضاعاً لكي يتجسد منها. وتستطيع بتواضعها أن تحتمل هذه الكرامة العظيمة .

هذه التي قالت لها القديسة اليسانبات "من أين لي هذا، أن تأتي أم ربي إلى" (لو ١ : ٤٣). ومع أنها أم الرب، إلا أنها قالت للملاك المبشر لها "هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك" (لو ١ : ٣٨). حقاً إن القدير "نظر إلى اتضاع أمته" (لو ١ : ٤٨).

وهكذا باتضاعها احتملت حلول الروح عليها وعمله فيها، واحتملت أن تحوى جمر اللاهوت داخلها "واحتملت الرؤى وظهور الملائكة وكل المعجزات التي صاحبها ميلاد الرب منها. ولم تتحدث كثيراً عن كل تلك الأمجاد. بل قيل عنها إنها كانت تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها" (لو ٢ : ٥١).

✱ ✱ ✱

وهكذا تلاميذ الرب، إختارهم من بين فئات متواضعة:

ف قيل "إختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. وإختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأكوياء. وإختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود، ليبطل الموجود. لكي لا يفخر كل ذي جسد أمامه" (١ كو ١ : ٢٧-٢٩).

واختار موسى "الأغلف الشفتين" (خر ٦ : ٣٠)، العارفين بضعفه، الذي قال للرب - حينما دعاه - "لست أنا صاحب كلام، منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبك. بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر ٤ : ١٠). هذا العاجز عن الكلام، دعاه لكي يكون كلام الله، وصاحب المعجزات!

التجارب والمواهب :

لثني منحهم الرب مواهب، سمح لهم بالتجارب لتحميمهم من الكبرياء .

✱تأخذ بولس الرسول كمثال :

كان صاحب رؤى كثيرة. رأى الرب حينما عاتبه الرب ودعاه وهو في طريق دمشق (أع ٩). وظهر له الرب أيضاً في كورنثوس في رؤيا بالليل وقال له "لا تخف، بل تكلم ولا تسكت. لأنني أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك. لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة"

(أع ١٨: ٩، ١٠). وظهر له فى الهيكل فى اورشليم، وقال له "اذهب، فأنى سأرسلك بعيداً إلى الأمم" (أع ٢٦: ١٧، ٢١). وظهر له الرب مرة أخرى وقال له "ثق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لى فى اورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد فى رومية أيضاً" (أع ٢٣: ١١).

بولس هذا الذى تعب فى الخدمة أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥: ١٠)، والذى كان يتكلم بالأسنة أكثر من الجميع (١كو ١٤: ١٨)، والذى كان رجل استعلانات، يقول أخيراً، هذا الذى اختطف إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٢): "ولئلا ارتفع بفرط الإستعلانات، أعطيت شوكة فى الجسد، ملاك الشيطان ليضطمنى لئلا ارتفع..". (٢كو ١٢: ٧).

✱ ✱ ✱

سمح الله للشيطان أن يضرب بولس بشوكة فى الجسد . لئلا يرتفع .

واستمرت هذه الشوكة معه فى جسده، تشعره بضعفه، حتى لا يرتفع قلبه من فرط ما وصل إليه من مجد روحى. على الرغم من أنه تضرع إلى الله ثلاث مرات ليشفيه. ولكن الرب قال له "تكفيك نعمتى" (٢كو ١٢: ٨، ٩). لأن قوة الله تظهر كاملة فى ضعف هذا الرسول...

✱ ✱ ✱

✱مثال آخر ، هو داود النبى :

داود صاحب المزمار والقيثار والعود ، الذى له مواهب فى الشعر وفى الموسيقى. وهو رجل حرب "جبار بأس" (١صم ١٦: ١٨). هو الذى هزم جليات (١صم ١٧). وقبل ذلك قتل الدب والأسد فى شجاعة، ولم يخف منهما (١صم ١٧: ٣٥، ٣٦). داود هذا، بما له من موهبة النبوة. وقد صار مهيباً للرب، بعد أن مسحه صموئيل النبى، وحل عليه روح الرب (١صم ١٦: ١٣).

داود هذا بكل مواهبه، سمح الله أن يقوم ضده شاول الملك بكل خف، ويذل حياته. ويطارده من بركة إلى بركة، ويدير المؤامرات لقتله.. وعاش ذليلاً أمام شاول، حتى قال عن نفسه إنه بر غوث، وكلب ميت (١صم ٢٤: ١٤).

✱ ✱ ✱

بل سمح الله أن يسقط داود ويخطئ. فكانت سقطته هذه سبب ذل لنفسه من الداخل، وحية غارقة فى البكاء والدموع، حتى قال "تعبت فى تنهدى. فى كل ليلة أعوم سريرى. بدموعى أبل فراشى" (مز ٦: ٦). وقال للرب:

"خير لى يارب أنك أنزلتلى، لكى أعظم فرحك" (مز ١١٩ : ٧١) .

نعم، كان خيراً له ذلك الذل الذى عاش فيه، الذى يقيم توازناً فى دخله مع مجد النبوة، ورفاهية الملك، وموسيقى الناي والعود...!

إنه درس روحى عميق، نتعلمه من هذا المزمور أن الله قد يسمح بالذل لأحد أبنائه من الأنبياء، لأن ذلك خير له، لكى يتضع قلبه، ولا تحوله الأمجاد المحيطة به إلى الكبرياء.



★ مثال ثالث هو أيوب الصديق .

سمح له الرب بذل من نوع الآخر، فيه الفقر والمرض وتحقير أصنقته له.. هذا الذى شهد له الله مرتين إنه كامل ومستقيم (أى : ١ : ٨) (أى : ٢ : ٣). وأنه "ليس مثله فى الأرض، يتقى الله ويحيد عن الشر" .

وإلى جوار بره، كانت تحيط به العظمة من كل جانب: كان "اعظم كل بنى المشرق" (أى : ١ : ٣). وكان محترماً جداً من الناس. "رأه الغلمان فأختبأوا، والشيوخ قاموا ووقفوا" "الأذن سمعت فطوبته، والعين رأت شهادته" (أى : ٢٩ : ٨، ١١). "أنقذ المسكين والمستغث واليتيم ولا معين له" "كان أباً للفقراء، وغيوناً للعمى، وأرجلاً للعرج" (أى : ٢٩ : ١٢-١٦).



ولهذا كله سمح الله بتجربة لأيوب. كانت شديدة. ولكنها كانت لازمة له لتتقده، حتى لا يكون باراً فى عينى نفسه" (أى : ٣٢ : ١).

إن الله يهمله جداً سلامة أولاده من الكبرياء المهلكة للنفس، لذلك فهو بالتجارب والضيق، أو بالآلام والأمراض، يحمى نفوسهم حتى لا يضرهم المجد المحيط بهم، أو شعورهم بحياة البر التى يحيونها.



★ مثال رابع هو يعقوب أبو الآباء :

هذا الذى أحبه الله قبل أن يولد (رو : ٩ : ١١-١٣). والذى قيل له فى بركته "كن سيداً لأخوتك، وليسجد لك بنو أمك" "ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل" (تك : ٢٧ : ٢٩). يعقوب هذا الذى ظهر له الله فى أعلى سلم منصوبة بين السماء والأرض والملائكة

صاعدة ونازلة عليها. وباركه الله وقال له: "ها أنا معك، وأحفظك حينما تذهب..".
(تك ٢٨: ١٢-١٥).

يعقوب هذا الذى "جاهد مع الله والناس وقدر" (تك ٣٢: ٢٨)، ومنحه الله البركة،
ومنحه اسماً جديداً. وقد نظر الله وجهاً لوجه (تك ٣٢: ٣٠)...

يعقوب هذا - لكى يشعر بضغفه فلا يتكبر - "ضربه الله على حق فخذه"، وخرج من
مصارحته مع الله "وهو يجمع على فخذه" (تك ٣٢: ٣٠).

✱ ✱ ✱

ولعلك تسأل : لماذا يارب تضرب يعقوب على فخذه، فيعيش كمعوق كل أيام حياته؟
وتكون الإجابة: لأن ذلك نافع له، وأفضل من أن تضربه الكبرياء فيهلك..

ونفس الوضع بالنسبة إلى بولس الرسول: أعطى شوكة فى الجسد، لكى لا يرتفع من
فرط الإعلانات". وكذلك أيوب الصديق: ضُرب بقرح ردى من باطن قدمه إلى هامته
لكى لا يكون باراً فى عينى نفسه"...

✱ ✱ ✱

إن الله يهمله بالدرجة الأولى مصير أبنائه فى الأبدية. فإن كانت الضربات التى
تصيبهم على الأرض نافعة لأبديتهم، إذ توصلهم إلى انسحاق القلب، فلا مانع منها. وفى
هذا يقول القديس بولس الرسول:

"لأنك أسر بالضغفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح.
لأنى حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوى" (٢كو ١٢: ١٠).

الضعفات والضيقات تمنع للكبرياء، وتوصل إلى تواضع القلب. وأيضاً فى هذه
الضيقات إذ يشعر الإنسان بضغفه - يلجأ إلى الله فيأخذ منه قوة. ولهذا قال القديس
بولس الرسول:

"أفتخر بالحرى فى ضعفتى، لكى تحل على قوة المسيح" (٢كو ١٢: ٩).

الباب الرابع :

الذات سبب الكبرياء

- الذات تريد أن تكبر .
- الغرور .
- تحقيق الذات !
- السيطرة والطمع .
- كلمة أنا ، ولأنا .
- كيف تتخلص من الذات ؟

الذات سبب الكبرياء

تريد أن تكبر :

يقع فى الكبرياء الإنسان الذى يهتم بذاته بطريقة خاطئة، أو أنه يحب ذاته بطريقة خاطئة. فهو يكبر فى عينى نفسه. ويحب أن يكبر فى أعين الناس. بل يحب أيضاً أن يكبر أكثر من غيره.

★ مثال للذى يكبر فى عينى نفسه .

كالشخص الذى يطيل النظر فى المرأة، يتأمل محاسن نفسه ...
أو كالذين أراهم فى القديم أن يبنوا برج بابل، وقالوا بعضهم لبعض: "هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه فى السماء، ونصنع لأنفسنا اسماً" (تك ١١ : ٤) .. صدقونى يا أخوتى ربما كان هؤلاء أقل كبرياء فى أعين أنفسهم من الذين قالوا: نصعد إلى القمر، نرفع عليه علم بلادنا. نصعد أيضاً إلى المريخ. نمهد إلى سكنى الكواكب، أو ننظم رحلات إليها. كلها أمثلة للعقل البشرى، حينما يكبر فى عينى نفسه، ويتصور تصورات أو تخيلات تليق بهذا اللون من الكبر.

✱ ✱ ✱

★ أما الذى يريد أن يكبر فى أعين الناس، وأن يمجده :

فهو مثل هيرودس الملك، الذى وهو يخاطب الناس من على عرشه، سرّ أن يمجده الناس قائلين "هذا صوت إله، لا صوت إنسان" (أع ١٢ : ٢٢). ففى الحال ضربه ملاك

الرب بسبب كبريائه، فمات وأكله الدود.

ومثال آخر هو هامان - فى عهد أحشويرش الملك الذى اضطهد مردخاى لأنه لم يسجد له مثل سائر الناس الذين يمجّدونه (إس ٣: ٣-٦).

✱ ✱ ✱

★ على أن البعض لا يكفي أن يكبر ، بل يريد أن يكبر أكثر من غيره .

مثال ذلك أبشالوم بن داود الملك، الذى أراد أن يصير أكبر من أبيه، وأن يجلس على العرش بدلاً منه. ودخل فى حرب ضده (٢صم ١٥-١٨).

★والذى يريد أن يكون أكبر من غيره، يقع فى حب الرئاسة.

وذلك ليكون أعلى من غيره قدراً. وقد حورب الآباء الرسل بهذا الأمر : من يكون الأول فيهم. فقال لهم السيد الرب "أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً" (مت ٢٠: ٢٥-٢٧).

✱ ✱ ✱

★وطبيعى أن الذى يحب أن يكون الأكبر، يكره أن يكون هناك من هو أفضل منه.

ونتيجة لهذا تنب فيه روح الغيرة والحسد:

فلما رأى شاول الملك أن الفتى داود قد نالته مديح أكثر منه، بعد أن انتصر على جليات الجبار، تملكته الغيرة والحسد، فأراد قتل داود أكثر من مرة، وطارده من مكان إلى آخر، وتغير قلبه من جهته (١صم ١٨: ٧-١٥).

أيضاً قابيل قام على أخيه هابيل وقتله. لأن الرب قبل ذبيحة هابيل ولم يقبل تقدمته هو، فتملكته الغيرة والحسد التى انتهت به إلى القتل.

كذلك أخوة يوسف الصديق: لما رأوا أنه قد صار أفضل منهم، بالأحلام التى حكاها لهم، وبالقميص الملون الذى منحه أبوه إياه. لذلك حسدوه، وازدادوا أيضاً بغضاً له. واحتالوا عليه ليميتوه. وأخيراً ياعوه كعبد (تك ٣٧).

نفس الغيرة أيضاً دبّت بين أختين شقيقتين هما ليئة وراحيل، من أجل الأفضلية فى انجاب البنين، وفى كسب محبة الزوج (تك ٢٩: ٣١-٣٥). حتى قالت راحيل: مصارعات الله قد صارعت أختي" (تك ٣٠: ٨).

✱ ✱ ✱

★ عجيب أن يشعر إيمان بكبره، لأسباب تحيط بذاته من الخارج .

مثال ذلك سليمان الملك، الذى شعر بذاته لأسباب كلها خارجة عنه، مثل قوله "بليت
لنفسى بيوتاً، غرست لنفسى كروماً. عملت لنفسى جنات وفرايدس... عملت لنفسى برك
مياه لتسقى بها المغارس المنبثة الشجر. قنيت لنفسى عبيداً وجواري.. وكانت لى أيضاً
قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا فى اورشليم قبلى..". وعجيب أنه قال بعد كل
تلك الأسباب الخارجية: "قُضِمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى فى اورشليم"
(جا: ٢٤-٩).

بينما المفروض أن تكون أسباب العظمة من الداخل، كقول المزمور :

"كل مجد ابنه الملك من داخل" (مز ٤٥: ١٣) .

على الرغم من أنها "مشملة بأطراف موشاة بالذهب، ومزينة بأنواع كثيرة". ومع ذلك
ما أكثر الذين يكبرون فى أعين أنفسهم أو فى أعين الناس بأسباب خارج الذات مثل
السلطة والغنى والمركز وما أشبه.



★ على أن البعض قد يكبر بسبب ذاته: كان يكون حكيماً فى عيني نفسه، أو باراً فى

عيني نفسه.

الحكيم فى عيني نفسه، يعتد برأيه ويفكره. ويظن باستمرار أنه على صواب، وأن
الحق فى جانبه. بينما يقول الكتاب: "على فهمك لا تعتمد" "ولا تكن حكيماً فى عيني نفسك"
(أم ٣: ٥، ٧).

والحكيم فى عيني نفسه، لا يرى أنه محتاج إلى مشورة أو أى نصيح. لأنه مكتفٍ بذاته
من جهة الفكر، وواثق بمعرفته. بل قد يصل فى ذلك إلى مقاومة الرأى الآخر، فى عناد
وتشبث برأيه.

أما البار فى عيني نفسه، فهو الذى يشعر أنه لا يخطئ أبداً. ولذلك فهو لا يقبل عتاباً.
ولا يكون مستعداً لتغيير مسلكه .

الغرور :

والبار فى عيني نفسه، والحكيم فى عيني نفسه، كلاهما يصيبهما الغرور .
والمغرور له ثقة زائدة فى نفسه. يظن فى نفسه أكثر من حقيقتها بكثير. ويعتد بنفسه.

وربما تكون له مواهب أو قدرات تتعبه، وتكون مصدراً لغروره. أو قد يظن أن له مثل هذه المواهب والقدرات.

المغرور بذاته يعتمد على نفسه . أما المتواضع فيعتمد على الله .

الواثق بنفسه يكون كثير العمل. أما المتواضع فيكون كثير الصلاة .

المغرور إذا نجح ، يفتخر بعقليته وجهده وعمله. أما المتواضع فإذا نجح، يشكر الله - لأنه لم ينجح إلا بمعونة منه.



وهذا المغرور قد لا يعمل شيئاً. ولكنه في كثير من الأحيان يسبح في أحلام اليقظة، ويتخيل فيها أنه يقوم بعظائم الأمور!!

وهو قد يقحم نفسه في أمور ربما تكون فوق مستواه، ظاناً أنه يستطيع أن يبدى فيها رأياً، أو يعمل فيها عملاً. وغالباً ما يفشل...

وإن فشل أو صدّه الناس، قد ينطوى . يتأمل في وحدته محاسن نفسه ومواهبها، بعيداً عن مجتمع لا يقدرها ولا ينتفع بها!!

تحقيق الذات :

★ الذي يريد أن يكرز ذاته يعمل على تحقيق ذاته في كل شيء .

ويقصد بعبارة (تحقيق ذاته) أنه يشعر بوجود هذه الذات وحفظ مكانتها في كل عمل تعله، حتى في الكنييسة، وفي الخدمة، يريد أن هذه الذات تظهر وتحقق وجودها. وما أكثر ما تتحطم الخدمة بظهور الذات ومحاولتها أن تبدو وأن تسيطر. ولا مانع من أن تصطم بغيرها، ويسود الانقسام والصراع في الخدمة بسبب الذات.



حتى في التعليم، قد تحاول الذات أن تثبت وجودها .

وربما في سبيل ذلك، يوجد المنهج الخاص والتعليم الخاص، والخروج عن المفهوم العام لتقديم مفهوم خاص تتميز به الذات وتظهر . وقد تحاول أن تحطم للتعليم القديم الثابت في الأذهان، لتقديم تعليماً جديداً.. وهكذا تظهر البدعة. وتدافع الذات عنها لنشيتها.

وفي الخدمة، ما أسهل أن تسعى الذات وراء المتكآت الأولى، والمنافسة عليها. فلا تكون الذات باذلة في مجال الخدمة، بل تكون الخدمة هي الوسيلة التي تظهر بها الذات،

وتتال بها تقديراً واحتراماً.

✱ ✱ ✱

✱ ومن أخطر ما تقع فيه الذات : الاستقلال عن الله .

وكان الذات تبحث عن ملكوتها هي، وليس عن ملكوت الله. وتهتم بتنفيذ مشيئتها الخاصة، لا مشيئة الله، وتحقيق رغباتها هي، لا وصايا الله. وبهذا تبعد كل البعد عن حياة الطاعة والتسليم.

ومن الأمثلة البارزة في هذا المجال يونان النبي. الذي هرب من تنفيذ أمر الله في الذهاب إلى نينوى والمناداة عليها بالهلاك. لأنه كان يدرك أنها إن تابت بمناداته، سيغفر الله لها ولا تهلك.. فتسقط كلمته في المنادة عليها. وقد حسب ذلك ضد كرامته!!

لذلك عندما رحم الله أهم نينوى، غم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ، وقال: الآن يارب خذ نفسي، لأن موتى خير من حياتي (يون ٤ : ١-٣).

✱ ✱ ✱

✱ ومن مظاهر استقلال النفس عن الله ، رغبتها في أن تحيا في حرية مطلقة، ولو أدى الأمر أن تعصى فيها كل وصايا الله!!

وهذا ما وقع فيه الكثيرون، وقادتهم الحرية الخاطئة إلى التسبب والإنحلال، وإلى الإباحية والشذوذ، والمطالبة لأنفسهم بحقوق في إباحيتهم وشذوذهم. ومن أمثلة ذلك أيضاً 'لوجوديون، الذين رأوا أن وجودهم لا يتحقق في ظل وصايا الله. فنادوا بأنه من الخير أن الله لا يوجد، لكي يوجدوا هم، أى لكي تتحقق لهم الحرية الكاملة في التمتع باللذة المنحرفة مستقلين عن الله..!

✱ ✱ ✱

والذي من أجل تحقيق ذاته، يأخذ هذا الموقف من الله، طبيعى جداً أن يأخذ نفس الموقف من أب الاعتراف .

فهو لا يريد أن يكون أب الاعتراف عانقاً لحرية. لذلك لا يطيعه إلا فيما يتفق مع غرضه هو. وإن نصحه أب الاعتراف بتدبير يراه صد فكره واتجاهه، يجادله ولو إلى حد عدم الاستجابة لإرشاده. وقد يلجأ إلى عدم استشارته مطلقاً في أى أمر يشعر بأنه سيرفضه.

وبهذا يريد أن يكون أب اعترافه مجرد جهاز تنفيذى لرغباته، يعطيها شرعية كنسية بالموافقة عليها، أن يسلك حسب هواه...

السيطرة :

★والإنسان الذى يحب ذاته بمثل هذه المحبة الخاطئة، تظهر هذه الذات مسيطرة فى معاملته .

فهو يريد أن يكون أهم من غيره . ويريد احتراماً لذاته من كل من يتعامل معه . ويكون حساساً جداً لكرامته وسمعته ونفوذ كلمته!

وبسبب ذلك ما أسهل أن يصطدم بغيره . وتقوده الدات إلى خصومات وربما إلى معارك . وتقوده التنافس إلى الحسد .

وتظهر (الأنا) Ego واضحة فى تعامله ، تقوده إلى الأنانية التى تسبب له كراهية الناس وتجنبهم للاختلاط به .

ويميل إلى العظمة وتشامخ الروح . ويود أن تكون هذه العظمة له وحده ، وتزول من غيره لتستقر عنده . ويستاء من كل مديح يوجه إلى غيره . كما لو كان إعجاب الناس وقفاً عليه وحده!

الطمع :

والمهتم بذاته يقع أيضاً فى الطمع .

وينطبق عليه قول الكتاب "كل الأنهار تجري إلى البحر ، والبحر ليس بملآن" (جا:١٧) . ذاته لا تحاول أن تكتفى فى كل المجالات . لا تكتفى غنى ولا عظمة ولا مديحاً .

أليس أن الشيطان لم يكتف بما كان فيه من مجد ، فأراد أن يرتفع فوق كل كواكب الله ، بل أن يصير مثل العلى^١ (أش:١٤ ، ١٣ ، ١٤) .

وفى طمع الإنسان المحب لذاته ، قد لا يسمح بأن يعطى فرصة لغيره أن ينال شيئاً إلى جواره . كما قيل عن رعاة لوط أنهم احتصموا مع رعاة ابراهيم ، لما كثر الخير فتنافسوا ، على المراعى . وقيلت تلك العبارة المؤلمة "ولم تحتملها الأرض أن يسكننا معا" (تك:١٣:٦) .

والذى تقوده الذات إلى الطمع ، يصعب عليه العطاء .

فيحب الأخذ أكثر من العطاء ، بعكس وصية الرب (أع:٢٠ : ٣٥) .

من أجل تمرّكه حول ذاته، يصعب عليه دفع العشور والبكور، ويصبح العطاء كأنه اقتطاع من ذاته. وفي قصة الغنى ولعازر (لو ١٦) كان لعازر يشتهي الفتات الساقط من مائدة الغنى، وذلك لا يعطيه.

وبالتالى فإن المحب لذاته - إذا أعطى - يصعب عليه أن يعطى فى الخفاء. لأن ذلك لا يمجّد ذاته فى أعين الناس .

وإن أعطى ، يكون عطاوله كله خارج ذاته ، بينما أعظم العطاء هو فى بذل الذات لأجل الغير حسب قول الرب (يو ١٥ : ١٢).



والمحب لذاته يقع فى الافتخار وفى تبرير الذات .

فهو يكثر الحديث عن نفسه وفضائلها . وبلاشك يتحدث عن أنصاف الحقائق. لأن النصف الآخر من الحقيقة - وهو ضعفات ونقائص تلك النفس - لا يذكره فى حديثه .

كلمة أنا :

كلمة (أنا) Ego والكبرياء يسيران معاً فى طريق واحد منحرف، ويقعان معاً فى هاوية واحدة، بعيداً عن محبة الله والناس .

إنها كلمة (أنا) فى سعيها إلى الظهور، وفى طلبها للكرامة، ولمزيد من الحقوق، سواء على المستوى الدنيوى، أو المستوى الدينى.



ونقصد بكلمة (أنا) كل ما يتعلق بها أو ينتسب إليها ..

كمن يقول : عائلتى، وقربتى، وفريقى، وأهلى، وعشيرتى،... إلخ

كلها تحمل معنى (الأنا) فى الانتماء إليها، وفى الافتخار بها، وفى التعصب لها. على مستوى الجماعة، كما على مستوى الفرد.

(الأنا) تريد كل شئ لها. وعلى الأقل تريد أفضل شئ لها..!



ولأسف تبدو كمرض ينشأ منذ الطفولة المبكرة!!

فعلى الرغم من وصف الأطفال بأنهم ملائكة، إلا أن (الأنا) تسود على غالبيتهم. فالطفل من صغره يتمسك بمحبة الذات التى تقوده إلى الغيرة وإلى الأنانية. فهو قد

يتضايق إن أحببت أمه أو دللت طفلاً غيره. لأنه يريد كل الحب وكل التكليل له وحده. وإن أنجب أبواه طفلاً بعده، قد يعتبره منافساً له في اهتمام الوالدين به. فهو يريد كل الاهتمام له! وإن رأى طفلاً آخر يلعب بلعبة جميلة، ربما يحاول أن يأخذها منه، أو يبكي بسبب ذلك.. إنها الذات ومشاكلها...



وبسبب ذلك فإن أسرة الطفل تحاول أن تتملقه أو تجامله، لتخفف من ضغط الذات عليه.

وتقول له: أنت طفل جميل حلوا أنت أحلى ولد. لا يوجد أبداً مثلك.. وتظل تعطيه من أصناف المديح، بل ومن الهدايا والعطايا، لكي تشبع فيه (تحقيق الذات)، وتخفف عنه حروبها ومشاكلها! أو تحاول أن تقنعه بالرضى على غيره من الأطفال. أو تعطيه ليعطيهم، فيكون العطاء عن طريقه، فتشبع ذاته وترضى...!



محبة الذات هذه تتبع الطفل في نموه. وتكبر عنده حينما يكبر ويصير شاكلاً أو رجلاً. وتصير مصدراً لأكوان من الكبرياء عنده .

والأمر يحتاج إلى حكمة كبيرة في أساليب التربية، لإتقان الطفل في أطوار نموه من كبرياء الذات وأنايتهما. وتفهيمه بأنه يمكن أن يكبر في الفضيلة، وفي النمو الروحي.. إلى أن توصله إلى تفضيل التواضع حينما يكبر في السن.. وليس هذا بالأمر السهل، ولكنه يحتاج إلى خبرة في التربية، ودراية بأساليب الإرشاد الروحي .

أما الذي في نموه في السن، يستمر في اشباع الذات بالاستحواز على كل شيء، فهو لا يزال يحتفظ ببعض أمراض الطفولة نفسياً .



وتبقى عنده مشكلة الذات: ماذا أكون؟ ومتى أكون؟ وكيف أكون؟ وكيف تكبر ذاتي؟ وكيف تفوق غيرها؟..

وتتحول ذاته إلى صنم يتعبد له!! بل قد تتبعه عبادة الذات في المجال الديني أيضاً!! فإن دخل في خدمة الكنيسة أو في خدمة المجتمع، ترى ذاته أيضاً أمامه: كيف يكبر في مجال الخدمة؟ كيف يكون له الرأي الواجب التنفيذ؟ ويكون هو الأول أو يكون هو الوحيد والباقيون أتباعاً!! كل ذلك في مجال خدمة الرب!!

بل حتى في الصلاة، تقف الذات أمامه! كيف يعجب الناس بصلاته؟! وكيف باستجابة صلاته، ينال إعجاب الناس!! إنها (الأنا) التي لا تصلى لأجل خير الناس ومنفعتهم، إنما تصير (الأنا) هدفاً، تكبر عن طريق الصلاة واستجابتها! وإن لم يستجب الله لمثل هذه الصلاة، يدخل في عتاب مع الله: كيف تخلى عن أناه!!

✱ ✱ ✱

وربما في المعاملات، يريد أن يفرض صنم هذه الأنا على غيره! فكما أنه يحب هذه الأنا، ويتعبد لها ويمدحها، يريد أيضاً أن الكل يتعبدون لها ويمدحونها ويوافقونها على كل ما تريد!! ومن يعارض رغبات ذاته، يتخذه له عدواً ويقاومه! لأنه لم يُشبع هذه (الأنا) ما تهواه من كرامة ومن كبرياء! وغالباً ما تكون (الأنا) سبب كل عداوة وانقسام واختلاف .

ويبقى أن الله ينجي الإنسان من خطورة هذه (الأنا) عليه وعلى غيره. وأيضاً على الإنسان أن يبحث عن وسائل تخلصه من أناه...

✱ ✱ ✱

وربما إنسان يستخدم هذه (الأنا) لاهوتياً أو عقائدياً، فيفتخر بما وصلت إليه ذاته من رفعة روحية.

فيقول: أنا تجددت. أنا تطهرت. أنا تقدست. أنا تبررت. أنا ضمننت الملكوت. أنا قد صار الشيطان تحت قدمي، أدوسه بكل قوة وأطرده.. وتكرر كلمة (أنا) في مثل هذا الإفتخار! وفيه كله، لا يذكر إطلاقاً عمل النعمة فيه! ولا يذكر الضعف البشري المعرض للسقوط. ولا يذكر قول الكتاب عن نبي عظيم مثل إيليا: "إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلاً!" (يع: ١٧) مع أنه "صلى صلاة أن لا تمطر السماء، فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر. ثم صلى أيضاً، فأعطت السماء مطراً، وأخرجت الأرض ثمرها" (يع: ١٧، ١٨).

للأسف يستخدم الإنسان ما تعلمه نعمة الله معه، لتفتخر بها ذاته، وليس لكي يمجد عمل النعمة فيه، مع الاعتراف بضعفه .

✱ ✱ ✱

أما الآباء الأقباء والرسل والقديسون، فقد استخدموا كلمة (أنا) في مجال الانضاع وانسحاق النفس...

ابراهيم أبو الآباء ، الذى باركه الله ، وجعله بركة ، وقال له : "وفيك تتبارك جميع قبائل الأرض" (تك ١٢ : ٣ ، ٢) ، نراه فى مجال كلمة (أنا) يقول "أنا تراب ورماد" (تك ١٨ : ٢٧) .
 ودود النبى ، الذى كانت له دالة كبيرة عند الله ، وقد صنع الله به نصراً عظيماً على جليات (اصم ١٧) ، نراه بعد ذلك لما عرضوا عليه مصاهرة الملك شاول ، يقول لهم "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك ، وأنا رجل مسكين وحقير" (اصم ١٨ : ٢٣) .. وما أكثر اعترافه فى مزاميره بضعفه . كأن يقول "ارحمنى ياربى فإنى ضعيف" (مز ٦ : ٢) .
 ويوحنا المعمدان ، مع أنه كان أعظم من ولدته النساء (مت ١١ : ١١) ، يقول للرب "أنا المحتاج أن أعتمد منك" (مت ٣ : ١٤) . ويقول للناس "يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أنا مستحقاً أن أحل سيور حذاءه" (مت ٣ : ١١) (لو ٣ : ١٦) .

وبولس الرسول العظيم ، الذى اختطف إلى السماء الثالثة (كو ٢ : ١٢) ، قال عن ظهور السيد المسيح للرسول بعد القيامة "واخر الكل ، كأنه للسقط ظهر لى أنا ، لأنى أصغر الرسل . أنا الذى لست أهلاً أن أدعى رسولاً ، لأنى أضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥ : ٨ ، ٩) .



هذا هو الاستخدام السليم لكلمة (أنا) بروح الانسحاق .

وبنفس الروح ، يرسل القديس العظيم بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس فيقول "أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً . ولكنى رُحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان" (١تى ١ : ١٣) . يقول ذلك عن نفسه فى رسالة إلى تلميذه ، بينما العادة أن يفتخر المعلمون أمام تلاميذهم ! ولكنه يستخ كلمة (أنا) بالطريقة السليمة .

ونلاحظ أنه عندما تحدث عن اختطافه إلى السماء الثالثة ، لم يقل أنا ، إنما قال "أعرف إنساناً فى المسيح يسوع" (كو ٢ : ١٢) فلم يستخدم كلمة (أنا) فى مجال التمجيد بينما استخدمها فى الإعراف بأخطائه .



فى تمجيد الذات ، اهتم الآباء بتمجيدها فى السماء لا على الأرض .

فى مجد (الأنا) على الأرض ، فى هذه الحياة الحاضرة القصيرة ، كان يخيفهم قول الرب عن هؤلاء الذين ينالون مديحاً هنا من الناس : "الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم" (مت ٦ : ٢) . وتكررت نفس العبارة فى (مت ٦ : ٥ : ١٦) . وبنفس المعنى قال أبونا ابراهيم لقنى لعازر : "يا ابنى ، اذكر أنك استوفيت خيرائك فى حياتك" (لو ١٦ : ٢٥) .

أما الذين "أجرهم عظيم فى السماء"، فهم أولئك الذين أخفوا كلمة (أنا)، وعملوا الفضيلة فى الخفاء، أمام أبيهم السماوى الذى يرى فى الخفاء، وسيجازيهم علانية (مت ٦). وأيضاً أولئك الذين استخدموا عبارة (لا أنا) وما يشابهها .

لأنا :

مثال ذلك القديس بولس الرسول الذى قال عن خدمته الناجحة: "ولكن بنعمة الله، أنا ما أنا، وبنعمته المعطاة لى لم تكن باطلة. بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى" (١كو ١٥ : ١٠). وهنا نركز على عبارة: "لا أنا، بل نعمة الله التى معى" .

ويكرر بولس الرسول نفس المعنى، فيقول "مع المسيح صلبت. فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فى" (غل ٢ : ٢٠). لا أنا الذى يعمل، بل المسيح الذى فى يعمل كل شئ. أما فقد صلبت معه. لقد صلبت كلمة (أنا) فما عادت تظهر .

✱ ✱ ✱

وهكذا كل الخدام، لا تريد أن (الأنا) تتال مجداً، بل يقولون:
"ليس لنا يارب ليس لنا. لكن لاسمك القدوس أعطِ مجداً" (مز ١١٥ : ١).

نعم، فى مجال التمجيد يقول كل منا: لا أنا، ليس لنا .

وهذا هو التدبير الذى سار عليه القديس يوحنا المعمدان. فكان يرفض كل تمجيد موجه إليه، إلى "الأنا" ويحوله إلى السيد المسيح قائلاً عبارته الخالدة :
"ينبغى أن ذاك يزيد، وأنى أنا أنقص" (يو ٣ : ٣٠).

ما أكثر ترديد المعمدان لعبارة لا أنا، أو لست أنا...

أما أنا فمجرد "صديق للعريس، يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذن فرحى هذا قد كمل" (يو ٣ : ٢٩).

✱ ✱ ✱

وعبارة (لا أنا) نقولها ليس فقط من جهة علاقتنا بالله، بل أيضاً من جهة علاقتنا ببعضنا البعض...

فمن جهة الكرامة، يقول كل منا: لا أنا، عملاً بوصية الرسول: "مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة" (رو ١٢: ١٠).

ومن جهة الرئاسة يقول أيضاً كل منا لا أنا، عملاً بوصية الرب الذي قال: "من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً" (مت ٢٠: ٢٦، ٢٧).

✱ ✱ ✱

وفي عبارة (لا أنا) نتبع وصية الرب في المتكأ الأخير .

نتركه المتكأ الأولى للكتابة والفريسيين الذين يشتبهونها (مت ٢٣: ٦). وإن عرضت علينا يقول كل منا: لا أنا. بل أخي أفضل مني وأولى. وهكذا نحيا حياة الاتضاع ...

كيف نتخلص من الذات (من الأونا)

يمكننا أن نتخلص من سيطرة الذات بالأمور الآتية :

١ - قهر الذات :

الصوم والعفة يدخلان في قهر الذات، من جهة ضبط طلبات الجسد وشهواته. وهناك قهر آخر للذات من جهة شهوات النفس.

فقد تشهت النفس حب الظهور، وأن تعلن عن ذاتها وتسعى وراء العظمة. وفي هذا كله ينبغي أن نقاومها. وسعيد هو الإنسان الذي يراقب نفسه ويمنعها كلما تشرد وراء التمتع العالمية. ويقنعها بأن التمتع بالله أفضل.

إن مالت نفسك أو مال جسدك إلى متع هذا العالم، إمنعها بشدة: لا قسوة عليهما، إنما ضمناً لأبديتك. لأن الذي يدلّ نفسه هنا يهلكها...

✱ ✱ ✱

والذي يترأخى في ضبط ذاته، تقوى ذاته عليه، وتتمرد على سلوكه الروحي. يعكس الذي يدرب ذاته ويروضها في دروب الرب.

إن الوسيلة التي تبني بها ذاتك، هي أن تقهر ذاتك وتغلبها. لأنك بقهر الذات وتغلبك عليها، تصل إلى المجد الحقيقي للذات، الذي هو غير المظاهر الخارجية من العظمة واللذة والشهرة.. كل هذه الأمور البرانية. بينما ينشد المرتل قائلاً في المزمور "كل مجد ابنة الملك من داخل" (مر ٤٥).

✱ ✱ ✱

ثق أن في قهر الذات لذة روحية، لا تعادلها كل ملاذ الجسد.

لذلك إن أردت أن تبني ذاتك، أقهرها من جهة تطلعاتها الخارجية، لكي تبنيها من الداخل. وحينئذ تجدها في الله، وتجد الله فيها. وتبصرها صاعدة نحو الأبدية.

✱ ✱ ✱

ومن هنا كان الزهد من وسائل علاج الأنا .

وفي الزهد تبني ذاتك لا في هذا العالم الحاضر - إنما في العالم الآتي. وكما كان يوسف الصديق يخرن قمحاً للسنوات المقبلة، كذلك أنت إخرن ما ينفعك يوم تقف أمام الديان العادل. وكما خزنن العذارى الحكيمات زيتاً لحين مجئ العريس (مت ٢٥). كذلك إخرن أنت زيتاً من عمل الروح القدس فيك...

أقهر ذاتك في أمور العالم، لأن العالم يبيد وشهوته معه (إيو ٢: ١٧).

✱ ✱ ✱

إن أرادت نفسك أن تنتصر على الغير، أقهرها. فالانتصار الحقيقي هو الانتصار على الذات.

أما الغير: فبدلاً من أن تنتصر عليهم، إكسبهم. لأن الكتاب يقول "رابح النفوس حكيم" (أم ١١: ٣٠)... إن الانتصار على الناس سهل. ولكن كسب الناس هو الذي يحتاج إلى مجهود، إن كنت فيه تقهر ذاتك...

★ نقطة أخرى في علاج الأنا . وهي محبة الآخرين وخدمتهم .

مَحَبَّةُ الْآخَرِينَ وَخِدْمَتُهُمْ ،

أخرج من حبس ذاتك داخل نفسك، إلى نطاق الآخرين .

يقول المزمور "أخرج من الحبس نفسي" (مز ١٤٢: ٧). وأى حبس هو أقوى من أن تحبس نفسك داخل هذه الأنا؟! أخرج منها إذن، واندمج في العالم الخارجى، مع الآخرين تحبهم وتخدمهم وتتعلقون معهم.

قطعاً ، الشخص الذى يحب ذاته ، لا تهمة محبة الآخرين .

حاول إذن أن تخرج من التركيز على الاهتمام بنفسك، إلى الاهتمام بالآخرين. وثق أنك ستجد في هذا لذة. وسوف يبادلونك حباً بحب، وتجد في محبتهم ما يشبع نفسك.

✱ ✱ ✱

انتقل من مجال الأخذ إلى مجال العطاء .

تدرب على أن تعطى الغير، تعطيتهم خدمة، تعطيتهم وقتاً، تعطيتهم حباً وجهداً ومساعدة.. وإذا نما الإنسان في تدريب العطاء، فإنه يعطى حتى نفسه. وهذا أسمى ما يصل إليه في الإنطلاق خارج للذات...

وإن كان من أخطاء (الأنا) : البخل. فالتعاط هو العطاء .

حيث يتدرب الإنسان على اليد المفتوحة باستمرار، الممدودة بالعطاء إلى الغير، في سعة، وفي رفق وحنان .. شكرهم سوف يشبعه. ومساعدتهم ستغير قلبه وتملؤه بمشاعر نبيلة، فيعطى أكثر، ويزداد في خدمة الآخرين وفي إسعادهم.

✱ ✱ ✱

ويتعود أن يتعب لأجل الآخرين .

لا يهتم براحة نفسه، إنما براحة غيره. على عكس الأنا الذي يجعل راحته على تعب الآخرين. وكلما ينمو الإنسان الروحي في الاهتمام براحة الآخرين، قد يصل إلى حياة التكريس. لأن المكرس هو الذي يجعل حياته كلها لأجل الآخرين.

✱ ✱ ✱

* نقطة أخرى في معالجة (الأنا)، هي التواضع .

التواضع :

الإنسان الذي يعيش في محبة (الأنا)، يهمله أن تكبر ذاته باستمرار، وفي المقارنة يريد أن تكون أعلى من غيره. وعلاج ذلك أن يضع أمامه قول الرسول: "مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة" (رو ١٢: ١٠).

وعن ذلك يقول الشيخ الروحاني "في كل موضع تحلّ فيه، كن صغير أخوتك وخديمهم". بل إن السيد الرب يقول "إن أراد أحد أن يكون أولاً، فليكن آخر الكل وخادماً للكل" (مر ٩: ٣٥). وهكذا يمارس فضيلة (المتكأ الأخير) .

✱ ✱ ✱

والمقصود بالمتكأ الأخير، أن يكون الأخير لا من حيث المكان، بل من حيث المكانة. فلا تحسب نفسك أهم الموجودين في المكان الذي تحلّ فيه. ولا أن رأيك هو أهم

الأراء، وقرارك هو أهم القرارات، ومركزك هو الأهم!! ولا تفكر في أنه ينبغي أن تكون أنت المطاع والمحترم بين الكل!



لا تعط نفسك كرامة وتفرضها على الآخرين .

إنما اترك الناس يكرمونك من أجل ما يرونه من تواضعك ووداعتك.. لا ترغم الناس على احترامك. فالاحترام شعور ينبع من داخل القلب. لا يفرض بالإرغام، إنما بالتقدير الشخصي..

لا ترغم إنساناً على طاعتك، ولكن لا تستطيع أن ترغمه على احترامك.



وفي معاملاتك مع الناس، كن نسيماً لا عاصفة .

كثيرون يحبون صفة العاصفة، لأنها تحمل معنى القوة. أما النسيم فيمثل الوداعة واللفظ، اللذين ينبغي أن يتصف بهما من ينكر ذاته.

وفي تواضعك لا تفضل نفسك على غيرك. على أن يكون ذلك بعمق الحب وعمق الاتضاع، وبغير رياء..



في اتضاعك ، قل أنا . من أنا؟ أنا مجرد تراب ورماد .

بل قبل أن أكون تراباً، كنت عدماً. خلق الله التراب قبلاً مني، ثم صنعني من هذا التراب... وهنا يختلف منك الاعتداد بالذات.

وفي اتضاعك أيضاً ، تصل إلى فضيلة (إدانة الذات) .

إدانة الذات :

الإنسان المصاب بالآثام، يكون باستمرار بارأ في عيني نفسه .

إذا أخطأ لا يعتذر ، لأنه يظن أنه على حق ولم يخطئ! وإذا حدث سوء تفاهم بينه وبين أحد من الناس، لا يذهب إليه ليصالحه. لأنه يأمل أن طلب الصلح لا بد أن يأتي من الطرف الآخر، باعتبار أن الخطأ قد صدر من ذلك وليس منه!

بل حتى مع الله ، قد لا يعترف بأخطائه، لأن ذاته تقنعه أنه لم يخطئ!



العلاج إذن أن يحاسب الإنسان نفسه بغير تحيز، ويدينها .

يدين ذاته فى داخل نفسه. ويدينها أمام الله وأمام أب اعتراف. ويدينها أمام الغير حينما يلزم ذلك.

يدينها فى اتضاع. ولا يجلب اللوم على غيرها، كما فعل أبونا آدم وأما حواء (تك ٣). ولا يبرر ذاته من جهة أسباب الخطأ وظروفه. فكل دواعى التبرير سببها الذات وتمسكها ببرها الذاتى...

إن الإنسان الذى لا يعكف على تمجيد ذاته وتكبيرها، بل يهدف باستمرار إلى تنقية ذاته مما يشوبها من أخطاء ونقائص.. تراه يلوم نفسه ويدينها، لأنه بهذا يمكنه تقويمها وتصحيح مسارها.

✱ ✱ ✱

فى إحدى المرات زار البابا ثاوفيلس منطقة القلاى، وسأل الأب المرشد فى ذلك الجبل عن الفضائل التى أتقنها، فأجابته:

"صدقتى يا أبى، لا يوجد أفضل من أن يأتى الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ".

هذا هو الأسلوب الروحى الذى يسعى به الإنسان إلى تقويم ذاته: يأتى بالملامة على نفسه، وليس على غيره، وليس على الظروف المحيطة. وليس على الله!! طائفاً أن الله لم يقدم له المعونة اللازمة!

✱ ✱ ✱

لبتنا ندين أنفسنا ههنا، حتى ننجو من الدينونة فى اليوم الأخير.

لأننا بإدانتنا لأنفسنا، نقرب إلى التوبة. وبالتوبة يغفر لنا الرب خطايانا. أما الذى لا يدين ذاته، بسبب اعترازه بهذه الذات، فإنه يستمر فى خطاياه، ولا يتغير إلى أفضل. ويكون تحت الدينونة. وصدق القديس الأبا أنطونيوس حينما قال:

"إن بنا أنفسنا ، رضى الليان عنا"

"إن نكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله"

"وإن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله"

✱ ✱ ✱

كذلك فإن إدانتنا لأنفسنا، تساعدنا على المصالحة بيننا وبين الناس، يكفى أن يعتذر

الشخص ويقول لأخيه "لك حق". أنا قد أخطأت في هذا الأمر"، لكي يضع بهذا حداً لغضب المساء إليه، ويتم الصلح معه. أما إذا استمر المخطئ في تبرير موقفه، فلن الخصم يشتد بالأكثر في إدانته. وما أجمل قول القديس مكاريوس الكبير:

"احكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك".

✱ ✱ ✱

★ نقطة أخرى تساعدك على علاج الذات وهى :

ضع أمامك مثال المسيح :

إن كان الإنسان الأول قد انهزم فى حرب الذات، واشتهى أن يصير مثل الله (تك ٣: ٥)، فإن السيد المسيح الذى بارك طبيعتنا فيه، صحح هذه النقطة. وكيف ذلك؟ يقول الرسول عنه إنه :

"أخلى ذاته، وأخذ شكل العبد، صائراً فى شبه الناس" (فى ٢: ٧).

✱ ✱ ✱

وعاش على الأرض فقيراً، ليس له أين يسند رأسه (لو ٩: ٥٨) بلا وظيفة رسمية فى المجتمع. وتنازل عن كرامته "ظلم". أما هو فقتل ولم يفتح فاه "وأحصى مع أئمة" (أش ٥٣: ٧، ١٢). ولم يدافع عن نفسه.

أنكر ذاته من أجلنا. ووضع ذاته لكي يرفعنا نحن. ووقف كمقرب لكى نتبرر نحن. ذاته لم يضعها أمامه، بل وضعنا نحن..

أليس هذا درساً لنا من هذا الذى عظمته لا تحد.. درساً لنا نحن المحاربين بالإثنا، بينما نحن لا شيء.

✱ ✱ ✱

السيد المسيح أخلى ذاته من المجد الحقيقى .

أما أنت ، فتخلى ذاتك من كل مجد باطل .

إن إخلاء للمسيح لذاته موضوع واسع، ليس الآن مجاله.. يمكنك أن تقرأ عنه مقالاً طويلاً فى كتبنا (تأملات فى الميلاد) من ص ٧ إلى ص ٢٨ .

✱ ✱ ✱

★ نقطة أخرى فى علاج (الأنا) وهى :

تدريب الميل الثاني :

قال السيد الرب "من سخرك ميلاً، فإذهب معه إثنتين. من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً" (مت: ٥: ٤٠، ٤١).

وبنفس الوضع تحدث الرب عن الخد الآخر، فقال "من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضاً" (مت: ٥: ٣٩).

وكانه أراد أن يقول : كن مظلوماً لا ظالماً. وكن مصلوباً لا صالِباً. لا تنتقم لنفسك. إن الذات تريد أن تأخذ حقها، وتأخذها بنفسها، وهنا على الأرض، وبسرعة على قدر الإمكان. أما تعليم الرب لنا في إنكار الذات فهو: "لا تقاوموا الشر" (مت: ٥: ٣٩).

✱ ✱ ✱

لا تجعل ذاتك تتدخل ، لتتال حقوقك أو لتنتقم .

واذكر قول الكتاب "في النعمة. أنا أجازي، يقول الرب" (رو: ١٢: ١٩). ومع أن النعمة

للرب، لكن لا تطلبها أنت منه لنفسك. بل الكتاب يقول:

"المحبة لا تطلب ما لنفسها" (١كو: ١٣: ٥).

ولماذا لا تطلب ما لنفسها ؟

لأنها بعيدة عن الذات، بعيدة عن الأنا التي تطلب..

تدريب آخر في التخلص من الذات، وهو قول الرسول :

"لأحيا لا أنا.." (غل: ٢: ٢٠).

الباب الخامس :

المجد الباطل ومحبة المديح والكرامة

- البر الذاتي .
- محبة المديح - وأنواعها .
- خطايا تنتج عن محبة المديح .
- كيف تهرب من محبة المديح ؟
- إخفاء الفضائل .
- البعد عن الرئاسات .
- المتكأ الأخير .

الكبرياء تله المجد الباطل

والبر الذاتي

المجد الباطل Vain Glory هو المجد المتعلق بأمور المادة والعالميات، وليس المجد الخاص بالروح ومركزها في الأبدية.

والمنشغل بالمجد الباطل يسره مديح الناس له، أو مديح نفسه له.

البر الذاتي :

وأخطر ما يتعب الإنسان روحياً، أن تمدحه نفسه من الداخل .

ويظن في نفسه أنه قد وصل، أو أن فيه شيئاً يستحق الإعجاب من الآخرين. حتى من غير أن يمدحه أحد من الخارج، تكبر نفسه في عينيه من الداخل. ويكون حكيماً في عيني نفسه" (أم ٢٦: ٥) أو "باراً في عيني نفسه" (أى ٣٢: ١)، وهذا ما يسمى بالبر الذاتي. وفيه "يرتقى الإنسان فوق ما ينبغي له أن يرتقى" (رو ١٢: ٣).

✱ ✱ ✱

ومديح النفس قد تكون له أسباب دنيوية أو أسباب روحية:

فالأسباب الدنيوية هي أن تمدحك ذاتك من أجل مركز عالمي وصلت إليه، أو من أجل غنى أو جاه، أو جمال جسدي، أو شهرة، أو ذكاء، أو قدرات معينة في العمل أو في الترفيه عن الآخرين، أو في الحيلة، أو الدهاء، أو القدرة على قهر الآخرين، وما إلى ذلك من أسباب.

أما عن مدح النفس لأسباب روحية :

فكان تمدحك نفسك بسبب صلواتك أو أصوامك أو مطايعتك، أو خدمتك الروحية
لآخرين، أو قدرتك على التأمل، وفهم الكتاب وحفظه واستخدامه، أو بسبب توبتك أو
نورك الروحي، أو بسبب بعض الفضائل التي تظن أنك قد وصلت إليها...



وتزداد خطورة مدح النفس، إن ارتبطت بالمقارنة أيضاً .

..فلا تظن فقط أنك بار، وإنما أكثر برأ من الآخرين. أو تظن أن خدمتك أنجح من خدمة
برك. وأن تأملاتك أعمق، ومستواك الروحي أعلى..! وبالتالي ترى باستمرار أن غيرك
ل منك...



وتزداد خطورة إن أفرنت بإحتقار الآخرين أو الإقتال من شأنهم .

أو إدانة الناس، والحديث عن مستواهم الضعيف وفهمهم الضئيل، والمقارنة بين
جارك وفشلهم.. وقد يصل الأمر إلى حد مواجهة الآخرين، وتوبيخهم على أعمالهم
أخطائهم. وربما تنسب إليهم ما ليس فيهم من الضعفات والنقائص والأخطاء. وتفرض
عليهم مستواك، أو ما تظن أنك قد وصلت إليه من مستوى ومن فهم.



أو أن تفرض رأيك على غيرك، موقناً أنه الرأي الوحيد السليم، بعكس ما يقوله
غير. وهكذا تكون "حكيماً في عيني نفسك" (أم ٣ : ٧).

ويدفعك الإحساس بالحكمة والفهم، إلى التشبث برأيك أو موقفك مهما كان خاطئاً! وإلى
جدل والمناقشة حتى إلى درجة العناد.. ومقاطعة الآخرين لكي تتكلم أنت.. ومعارضة
ل من لا يوافقك فهمه...

وربما في كل هذا تفقد صداقة الناس ومودتهم، أو أنك تفقد الروح الاجتماعية،
التعاون مع الآخرين واحترام الغير...



والإحسان الذي تمدحه نفسه، من الصعب أن يعترف بأخطائه.

ربما لأنه لا يجد لنفسه أخطاء يعترف بها! أو لأن الكبرياء الداخلية تدفعه إلى تبرير
عمله لياً كانت، أو التماس الأعذار لها...

هو لا يرى نفسه مخطئاً. ولا يقبل من غيره أن يراه مخطئاً.. وهكذا يكون "باراً في

عيني نفسه" (أى: ٣٢: ١).

ومادام هو باراً فى نظركه إلى نفسه، فبأى شئ يعترف؟!

✽ ✽ ✽

الإعتراف هو أولاً إدانة النفس من الداخل. ثم إعلان ذلك .

والمتكبر لا يدين ذاته.. لا يرى أنه قد أخطأ. وإن وُجد خطأ، ينسبه إلى الظروف المحيطة به، أو يلقى للتبعية فيه على غيره. أو يسمي أخطائه بأسماء روحية، ويحاول أن يلبسها ثياب الحملان" (مت: ٧: ١٥). ويضع وراءها نيات طيبة ومقاصد روحية، تجعلها تبدو على غير حقيقتها سليمة لا عيب فيها!

✽ ✽ ✽

وإن كان لا يعترف بخطئه، فبالتالى لا يعترف لغيره .

فى كل خصومة بينه وبين أحد من الناس، يعتبر أن الطرف الآخر هو المخطئ. والطرف الآخر هو الذى يجب أن يعترف، وهو الذى يجب أن يسعى إلى المصالحة! ومادام لا يعترف فى داخله أنه قد أخطأ، فبالتالى لا يعترف بخطأ أمام الكاهن، ولا يذهب لمصالحة الطرف الآخر قبل الذهاب إلى التناول من الأسرار المقدسة. لأنه لا يتذكر أن لأخيه شيئاً عليه" (مت: ٥: ٢٣، ٢٤).

وإن حاول أحد أن يقنعه بأنه مخطئ، يدخل فى متاهة لا تنتهى من المناقشات وقلب الحقائق. ويجد أمامه ميزاناً خاصاً تقيم به الأمور ويحكم عليها حسب مفهوم خاص غير مفهوم للآخرين!

✽ ✽ ✽

إن البار فى عيني نفسه ، يود أن يكون باراً أيضاً فى أعين الناس.

فهو إما أن يعلن عن هذا البر ويحكى عنه للآخرين، وإما أن يدافع بكل جهده عما يشين هذا البر من نظرات الناس إليه. وإما أن يأخذ مظهراً معيناً يقنع الناس ببره، مهما كانت داخلياته! وإما أن يحيط نفسه بأصدقاء ومريدين يتحدثون عنه بالصالح كل حين. ويمدحونه.. أو أن يحيط نفسه باستمرار بمن هم أقل منه سناً أو معرفة أو مركز أو درجة روحية، حتى يبدو الأكبر أمامهم فى كل وقت. ولا يعطى فرصة لأى نقد يوجه إليه. لأن كل المحيطين به يمدحونه ويمدحونه، وربما يستشيرونه فى كل شئ أو يتتلمذون عليه...

✽ ✽ ✽

أما المتواضع فهو يقارن نفسه باستمرار بمستويات أعلى منه .

وأمام هذه المستويات الأعلى، تصغر نفسه في عينيه، ويرى أنه لا شيء.. وهو يبحث باستمرار عما هو أكمل وأعلى، شاعراً أنه لم يصل بعد إلى المستوى المطلوب منه.. إنه يضع أمامه قول الرب "كونوا قديسين لأني أنا قدوس" (بطا: ١٦). وأيضاً قوله "كونوا أنتم أيضاً كاملين، كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل" (مت: ٥: ٤٨).

والمستويات العليا التي ينظر إليها، قد تكون من الأمثلة الحية أمامه. أو يجدها في تاريخ القديسين وفي شخصيات الكتاب المقدس. بل حتى في مثاليات من العلمانيين للفاضلين.. وكما قال القديس بولس الرسول "أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض" (فى: ٣: ١٣، ١٤). وكلما امتد إلى قدام، ينظر إلى الكمال للموضوع أمامه، فيقول "أيها الأخوة، أنا لست أحسب نفسي أنى قد أدركت" ولكنى أسعى لعلى أدرك" (فى: ٣).

كان أحد الرهبان كلما حارب بالمجد الباطل بسبب جهاده الروحي، يقول لنفسه: "أعلى قد بلغت إلى درجة الألبا أنطونيوس أو الألبا بولا" ١٣

✱ ✱ ✱

الإسنان المتواضع إذا حارب بالبر الذاتي، يتذكر خطاياہ ..

يتذكر ماضيه السابق وكل ضعفاته وكل سقطاته وكل خطاياہ. وحينئذ تخف عليه الحرب فلا يتكبر. إن القديس بولس الرسول الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥: ١٠)، والذى صعد إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٢، ٤) كان يقول "أنا الذى لست مستحقاً أن أدعى رسولاً، لأني أضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥: ٩). مع أن ذلك حدث فى ماضٍ قد انتهى وغفر له الله، ودخل بعده فى عهد جديد مع الرب كإتاء مختار يحمل اسمه أمام أمم وملوك" (اع: ٩: ١٥). ولكنه يذكر نفسه بذلك الماضى فيحيى فى إتضاع.. وبالمثل كان داود النبي يقول "خطيئتي أمامي في كل حين" (مز: ٥٠).

✱ ✱ ✱

إن أنته تفكر البر الذاتي، اذكر نعمة الله العاملة معك .

تذكر أن كل خير فيك، لست أنت سببه أو مصدره. إنما هي نعمة الله التي عملت فيك، وقوة الله التي سندهك. وألك بدون الله ما كنت تستطيع أن تفعل شيئاً (يو: ١٥: ٥). فلا يليق أن تأخذ عمل الله وتنسبه إلى نفسك، وتنسى عمل النعمة.

لأنك إن نسبت عمل النعمة إلى نفسك، قد تتخلى عنك النعمة فتسقط .
وذلك لكى تعرف ضعفك، ولكى تعترف بضعفك. ولكى تخاف من البر الذاتى،
وتحتسرس من الافتخار الردى. وقد تسقط فى الخطايا التى انتقدت الناس عليها، وظننت
أنك أقوى منهم فى مواجهتها.

حقاً إن البار فى عينى نفسه، يتخيل أنه قوى وأنه يستطيع!

✱ ✱ ✱

أيضاً لكى تتخلص من البر الذاتى ، انظر باستمرار إلى الأبدية .
لا تحاول أن تبنى مجدك على الأرض، فالمجد الأرضى مجد باطل. ولا تحاول أن
تقال أجرك هنا، فكله أجر زائل. إنما باستمرار اعمل من أجل أبديتك. وقل لنفسك لا أريد
هنا شيئاً...

حاول أن ترهد فى كل كرامة دنيوية وكل كرامة بين الناس. واطلب شهادة الرب لك،
لا شهادة البشر، ولا شهادة نفسك لنفسك .

ليكن كنزك فى السماء، وليس على الأرض (مت ٦ : ١٩). ولا تجعل المجد الأرضى
يفتدك المجد السمائى. وإلا تكون أنت الخاسر .

✱ ✱ ✱

اذكر أيضاً طبيعتك الضعيفة القابلة للميل والقابلة للتغير .

هذه الطبيعة القابلة أيضاً للسقوط . واعرف أنك لست أقوى من الكوياء الذين سقطوا.
فقد كتب عن الخطية أنها "طرحت كثيرين جرحى. وكل قتلها أقوىاء" (أم ٧ : ٢٦). لذلك
لذكر أنك إن تهاونت ولو قليلاً، أو إن تخلت النعمة عنك ولو قليلاً، ما أسهل أن يتغلب
العدو عليك...

✱ ✱ ✱

إن احفظ نقاوة قلبك بالاتضاع .

لأنه بالاتضاع تلصق بك النعمة (يع ٤ : ٦). فتستطيع بها أن تغلب. قل لنفسك: أنا
مازلت سائراً فى الطريق، ولم أصل إلى نهايته بعد، والعبرة كلها بالنهاية. فلاكن إذن
محترساً، ومذكراً قول الرسول:

"من يظن أنه قائم، فلينظر لئلا يسقط" (١ كو ١٠ : ١٢).

وإله السماء قادر أن يحفظك بالاتضاع ، ويعطيك النصر من عنده .

الكبرياء تلد المجد الباطل

والمجد الباطل يلد محبة المديح والكرامة

محبة المديح :

المديح شئ ، ومحبة المديح شئ آخر . وقد يمدح الإنسان ولا يخطئ، ولكنه لو أحب المديح يكون قد أخطأ .
آباؤنا الرسل مُدحوا، والقديسون والشهداء مُدحوا أيضاً . ولكن كل هؤلاء لم يخطئوا .
فليس الخطأ في أن يسمع الإنسان مديحاً، إنما الخطأ في أن يحب هذا المديح ويسرّ به حينما يسمعه .

هناك نوعان من الناس لا يهون المديح :

أولهما : نوع يهرب من المديح الذي يأتي إليه . سواء كان مديحاً من الناس، أو مديحاً من الشياطين، أو من نفسه .

والنوع الثاني يتمادى في الهروب من المديح والكرامة، حتى أنه ينسب لنفسه عيوباً كثيرة، وحتى يُظهر عن نفسه جهالات ونقائص تحط من قدره . ولو أدى الأمر أن يُقال فيه ما ليس فيه . وهذا النوع توجد عنه قصص كثيرة في سير الرهبان والراهبات .

الذين يحبون المديح

الذين يحبون المديح درجات متفاوتة في الخطأ .

النوع الأول :

إنسان يأتيه المديح دون أن يسعى إليه. وعندما يسمع المديح، يسرّ به ويبتهج، على الرغم من أنه لم يسعَ إليه. وهذا الصنف من محبى المديح على درجات وأنواع :

أ - إنسان يسرّ بالمديح، ويسمعه فى صمت، وهو قابع فى مكانه: صامتاً ومسوراً فى داخله، دون أن يشعر به أحد.

ب - إنسان آخر يسمع المديح، ويتسبب فى الإستزاده منه. أى يظل يقول بعض عبارات تجعل الذى يمدحه يزيد فى مديحه. كأن يجره من موضوع المديح إلى موضع آخر يمدح منه، أو نقطة أخرى فى نفس الموضوع تستحق المديح. أو يلجأ إلى أية وسيلة تجعل مادحه يزيد المديح.

ج - هناك إنسان يحب المديح وهو مسرور. ويتظاهر بعدم السرور بالمديح أو يرفضه، مع أنه مسرور من الداخل. ويظل يتمنع فيزيد الآخر فى مدحه. أو ينكر عن نفسه نقائص وهو لا يقصد أن يعيبها أو يشينها. بل فى قرارة نفسه يريد أن يسمع المزيد من المديح.

النوع الثانى :

أصعب من النوع السابق قليلاً: إنسان لم يأت به المديح، ولكنه يشتهى أن يسمعه. وفى إشتهائه يسلك أحد طريقين :

أ - يشتهى المديح، ويظل صامتاً حتى يصله، متحلاً أسباب يسمع بها المديح. كأن يبدأ موضوعاً معيناً، يشمل عملاً قد عمله يستحق فيه مديحاً. أو يجر الكلام خطوة خطوة، حتى يصل إلى النقطة التى لابد أن يسرّ بها الناس ويمتدحونها، ويمدحونه بسببها.

ب - أو أنه يشتهى المديح، فيعمل أعمالاً صالحة أمام الناس، لكى ينظروهم فيمدحوه. كما قال الرب عن الذين استوفوا أجرهم على الأرض (مت ٦).

النوع الثالث :

وهو أصعب من النوعين السابقين. وفيه إنسان يحب المديح ويشتهيه. لكن المديح لم يأت به بعد، على الرغم من أنه ينتظره ويتحلى له أسباباً...

فماذا يكون رد فعله على انتظاره المديح بلا نتيجة؟

إنه يصل إلى درجة أخرى. فيها يكره من لا يمدحه ويعتبره عدواً، ويكون بينهما سوء تفاهم. ذلك لأنه لم يلاحظ بعد ما فيه من صفات فاضلة تستحق المديح، وما قام به من أعمال توجب له تقدير الناس...

نعم إن هذا الإنسان لم يضره في شيء حتى يصير عدواً. إنما يكفي أنه لم يمدحه ببعض الكلام الطيب. لم يقابله مقابلة لطيفة، ولم يقدم له احتراماً زائداً، ولم يكرمه إكراماً من نوع خاص! مثل هذا الإنسان الذي يكره من لا يمدحه، ماذا يفعل إذن بالذى ينتقده؟! إن كان الساکت فقط عن مدحه، أصبح موضع كراهيته، فكم إذن يكون شعوره من جهة ناقدیه؟!

النوع الرابع :

هناك نوع آخر يشتهى المديح، ويسرّ عندما يسمعه، ويكره من لا يمدحه. ولكنه لا يكتفى بذلك. بل هو يمدح نفسه إذا لم يجد أحداً يمدحه. فيتكلم عن أعماله الفاضلة التي عملها وتستحق المديح. وفي نفس الوقت يخفي خطاياها الشخصية. هذا الإنسان هو الذى يتحدث كثيراً بالخير عن نفسه .

النوع الخامس :

إنه أصعب من ذلك النوع السابق الذى يمدح نفسه . ذلك لأن مديح النفس من صنفين: واحد منهما -الذى ذكرناه- وهو الذى يمدح نفسه بما فيه. فيظل يتكلم عن أفعاله المجيدة التي عملها، وما توجد فيه من صفات حسنة. أما الصنف الثانى - الذى نذكره حالياً - فهو حالة إنسان يمدح نفسه بما ليس فيه. وينسب إلى نفسه فضائل ليست عنده، بل يدعيها ويتخيلها.

أو يذكر صفات حسنة عنده، ولكنه يبالغ في الحديث عنها ويكبرها... أو أنه ينسب فضيلة غيره إلى نفسه! فإن كان مشتركاً في عمل، قد تم نجاحه بمجهود مجموعة من الناس.. فإنه حينما يحكى عن هذا العمل، يركّز على نفسه فقط كما لو كان هو وحده السبب في نجاح العمل، وليس مجرد مشترك فيه، لكى يكون المديح له وحده. متجاهلاً كل الذين اشتركوا في العمل وساهموا في نجاحه، وكأنهم لم يكن لهم وجود ولا

مجهود!!

بل قد يحدث فى بعض الأوقات ما هو أسوأ من هذا: أن ينسب إلى زملائه فى العمل كمية كبيرة من العيوب، ويتهممهم بالتقصير أو الضعف، ويخفى حقهم ودورهم. كأن يقول عن واحد منهم - على غير حق - أنه لم يستطع أن يتكلم، وكان متلعثماً حتى تضايق الناس منه.. إلى أن تتدخل هو وقال الرد الصحيح. أى أنه كان بطل الموقف بينما أخطأ غيره!!
مثل هذا الإنسان لم يمدح ذاته فقط، بل أضاف إلى امتداح نفسه، أنه ذم الآخرين وشهر بهم. وبني كرامته على إمتهان الآخرين!



وعن التواضع الذى هو عكس هذا النوع من مديح النفس:

أنكر قصة راهب فاضل كان ينكر ذاته جداً. فحينما كان يعمل فى خدمة الدير عملاً حسناً، ويدرك أنه لابد سينال مديحاً بسببه، كان يشرك معه راهباً آخر فى جزء ضئيل جداً من العمل. أو فى نهاية العمل يطلب من أحد الرهبان أن يساعده. فإن مُدح على ذلك العمل بعد إتمامه، يقول "بارك الله أبانا فلان الذى تم العمل على يديه".. وهكذا ينسب إليه الفضل، حتى يُبعد المديح عن نفسه.

هناك مثل آخر واضح فى لعبة كرة القدم. فلو كان كل لاعب فى الفريق يبحث عن مدح نفسه، سيفشل الجميع. لأن كلاً منهم يريد أن يكون الهدف بواسطة وحده! ولكن بروح الفريق يلعب الجميع. وقد يسير أحدهم بالكرة حتى يصل إلى قرب المرمى، ثم يمرر الكرة لغيره فيكسب زميله الهدف ويمتدحونه. المهم هو إنتصار الفريق وليس فرداً معيناً منه.

فإن كان هذا فى الروح الرياضية، فكذلك الأكثر تكون الحياة الروحية.

إن الإنسان الذى يسعى إلى مدح ذاته، متجاهلاً باقى الناس والظروف المحيطة، وقد يتجاهل عمل نعمة الله معه، إنما يمدح نفسه بما لا يستحق ..

النوع السادس :

وهو يمثل أردأ نوع من محبى المديح. إذ قد تصل محبة المديح بشخص إلى الدرجة التى فيها يحب أن يكون المديح له وحده. ويتضايق إذا مُدح شخص آخر غيره. أو يغتاط إن شاركه أحد فى المديح. فهو يريد أن يُمدح وحده وليس غير. وإن مُدح آخر يعار ويحسده، ويحقد عليه ويتكلم عنه بالسوء .

الخطايا التي تنتج عن محبة المديح والكرامة

ما أكثر الخطايا التي تنتج عن محبة المديح والكرامة. ننكر من بينها:

١ - للرياء :

محب المديح قد يصير إنساناً مرئياً، لا يعطى صورة حقيقية عن نفسه. فهو يخفى النقط السوداء التي فيه، ويظهر فقط النقط البيضاء التي تجلب له المديح. وإخفاء للنقط السوداء يتدرج فيه إلى نواح كثيرة. وكذلك إظهار للنقط البيضاء يتدرج فيه إلى نقط خطيرة. وبهذا يقع في عيوب لا تحصى.



٢ - الغضب وعدم الاحتمال :

مادام محب المديح يخفى عيوبه، فبالنظر لا يقبل أن يوجه إليه أى عيب. فيكون إنساناً يكره الانتقاد. وإذا انتقده أحد، فإنه لا يحتمل. وربما لا يقف فقط عند حدّ عدم الاحتمال، بل قد يتطور به الأمر إلى الغضب والنرفزة والثورة إلى آخر هذا الطريق.

فكيف ينقده شخص ويقول عنه كلمة سيئة؟ وكيف يذكر له عيباً معيناً؟ لهذا فإنه يثور ويضج، ويتعب من الداخل ومن الخارج. كما يتعب معه الآخرين أيضاً. وكل هذا بسبب محبته للمديح والكرامة.

وهنا يجب أن نعلم أن علاج أنواع كثيرة من الغضب، هو ألا يكون الإنسان محباً للمديح ولا للكرامة. لأن كثيراً من غضبنا يكون مصدره هو محبة المديح، إذ لا يحتمل

الإنسان كلمة إهانة أو نقد أو أية إساءة .



٣ - الكراهية :

محب المديح قد يكره من لا يمدحه. ويكره أيضاً بالأكثر من ينتقده. كما يكره من يمدح غيره أمامه. لأنه يريد المديح له وحده!



٤ - الحسد :

محبة المديح والكرامة هي من الأسباب الأساسية للحسد. فالحاسد يريد أن يأخذ مركز غيره ومكانته عند الناس. ولا يريد أن يكون غيره أفضل منه. فلهذا يحسد كل من يراه موضع التقدير والإعجاب!



٥ - النقد والإدانة والتشنيع والسب للغير :

يقع محب المديح في هذه الأخطاء. ذلك لأنه يحب أن يكون جميع الناس أقل منه. لذلك فهو يشوه أعمال الغير، لكي يكون هو وحده الذي بلا عيب. ولهذا فإنه يقع في إدانة الآخرين، وفي التشهير بهم. كما يقع في السب، وما إلى ذلك من انتقاص حقوق الآخرين .



٦ - وبذلك يخسر محبة الناس :

يخسر محبة الذين ينتقدهم، ومحبة أصدقائهم وأقاربهم. ويخسر محبة من لا يعجبه هذا الأسلوب في تشويه الآخرين .



٧ - هو أيضاً يحب للممتلكات الأولى :

ولأنه يحب العظمة، فإنه يتنازع مع الناس على الممتلكات الأولى، ويدخل في خصومات وفي مشاكل مع من يجلس في الممتلكات الأولى، كما لو كان ذلك الشخص يفتصب حقاً من حقوقه، أو لا يعترف بمكانته ولألويته!

إنه يريد باستمرار أن يكون هو الأول والمتقدم والبارز والظاهر، والمختص بالاحترام والهيبة. وكل من يناهسه في هذا، لابد أن يسئ إليه، ويتكلم عنه ردياً.



٨ - ومحبة المديح تنفعه إلى الكذب والإدعاء :

لئن كان الإدعاء يوصله إلى مركز مرموق بين الناس، فلا مانع عنده أن يكذب ويدعى ما ليس فيه من مواهب وصفات. وربما يخلق قصصاً وأحداثاً لإثبات ذلك.



٩ - وقد يصل به الأمر إلى تغيير أساس :

يتمكن بها من أن ينزع بها الظاهرين من مراكزهم، لكي يبقى هو وحده في الصورة، بلا مناس وبلا شريك في العظمة وفي إعجاب الناس.



١٠ - ومحبة المديح تؤدي إلى أكثر من هذا :

قد تؤدي بمحب المديح إلى اشتهاه موت الآخرين لكي يأخذ مكانهم، أو على الأكل يشتهي فشلهم وعزلهم، لكي ينال موضعهم. فإن كان وكيلًا، وله رئيس، فإنه يتطلع إلى منصب هذا الرئيس، ويشتهي وظيفته بأية وسيلة! ويطلب أن يزاح من مكانه، لكي يجلس هو على كرسيه. ويتخيل خيالات توصله إلى ذلك، كأن تقدم شكوى ضد هذا الرئيس، ويحقق معه، وتثبت إدانته ويعزل، ويصبح الجو ممهداً أمامه هو، ويخلو له المكان.

وربما لا يسمح له ضميره أن يقول كلمة سوء عن رئيسه. ولكنه ينتظر بفارغ صبر أن تُقال تلك الكلمة من غيره، فيفرح بها ويسر، ولا يدافع عنه مع معرفته الأكيدة بأنه بريء. ولكنه لا يشهد بشهادة في صالحه!

فلننظر كم من الخطايا قد وقع فيها مثل هذا الشخص، لفساد قلبه!



١١ - ومحبة المديح والكرامة، تجعل الإنسان ليس فقط لا يحتمل التأديب ولا التوبيخ.

بل لا يحتمل مجرد كلمة نصيح !

فكيف ينصحه غيره؟ هل هذا الغير أفضل منه، أو يفهم أكثر منه؟! بينما هو العارف والفاهم والعالم، والناصح والموجه والمرشد!

بل قد يتطور الأمر معه، فلا يحتمل إنساناً ينصح آخر أمامه. لأن النصيح والإرشاد هما له فقط! هو الذي ينصح. وهكذا يتضايق دون أن يدرك أحد لماذا تضايق! إنه يغلى من الداخل. وإذا ما سئل عن سبب ضيقه، لا يستطيع أن يقول السبب .



١٢ - وبذلك يصبح مشكلة لنفسه، ومشكلة للآخرين .

وربما إذا سئل غيره فى وجوده، أو احترم الناس غيره فى وجوده، لدرجة شعر بها أنه كان الأحق بهذا الاحترام، أو أن الاحترام الذى قد وُجّه لغيره كان أكثر مما وُجّه إليه، يتضايق ويتعب فى الداخل.. ولو من أجل سبب بسيط. كأن يدخل إنسان، ويسلم على غيره باشتياق أكثر أو باحترام أكثر! فهذا الإنسان المحب للمديح يصبح متعباً. فهو لا يحتمل الناس. كما أن الناس أيضاً فى مثل هذه الحالة لا يحتملونه...



١٣ - محبة المديح والكرامة تجعل الإنسان فى موضع متردد غير ثابت .

لأنه لا يسير على مبدأ واحد، وليست له خطة واضحة. وإنما إن كان هذا الأمر يسبب له المديح فإنه يفعله. وإن كان عكسه يأتى بالمديح، فإنه يفعل العكس! إنه يتلون مع الناس كيفما كانت صورهم وأساليبهم واتجاهاتهم: مع الوقور يكون وقوراً ومترناً. ومع المهزار يكون مهزراً!!

"ولكل شئ تحت السماوات وقت". والوقت عنده هو مجال المديح: مع محب الكلام يكلمه كثيراً لكى يُمدح على قدرته على الكلام. ومع الذى يحب الصمت، يصمت هو أيضاً لكى يُمدح على صمته. إن كان الدفاع عن الحق يجلب له المديح، فإنه يدافع عنه. لا حباً فى الحق، وإنما حباً فى المديح! وإن كان الدفاع سيغضب البعض منه، فإنه لا يقول الحق لئلا يفضيهم. وبذلك يخسر مديحهم له!!

إنه يريد المديح وكفى، بأية طريقة وبأية وسيلة. ولا مانع من التلون مع الناس، لكى يصل إلى مديحهم له!

يلبس لكل حالة لبوسها ويتخذ أمام كل إنسان صورة وشكلاً وتصرفاً ليكسب رضاه ومديحه: أمام إنسان يحب الإلتضاع، يجلس بوقار فى ألتضاع، ويعمل الأعمال التى يُمدح عليها كمتضع. ومع المتكبر يكون فى صورة من العظمة التى يحبها.



١٤ - هو إنسان ملون، لا يثبت على وضع، لكى ينال المديح.

يعيش فى شقاء وتعامسة. يفقد سلامه الداخلى: يشتاق إلى الكرامة. فإن لم تأت، يتعب ويشقى. وإن آتته يفرح ويسر. ولكنه يفرح وقتياً، ويلزمه الشقاء: إما لخوفه من ضياع تلك الكرامة، أو لإشتياقه إلى كرامة أفضل. ويعيش فى تعب، لأن الكرامة الأفضل لم

تصله بعد.. وسلسلة التعب النفسى معه تتوالى ولا تنتهى .

✱ ✱ ✱

١٥ - محبة المديح يقع فى الغطرسة والكبرياء :

وهذه تقوده إلى باقى الشرور . الكبرياء تدفعه إلى محبة المديح. وإن نال هذا المديح يزيد مقدار الكبرياء عنده. ويتحول إلى الغطرسة .

✱ ✱ ✱

١٦ - وأخيراً فإن محب المديح يخسر حياته الروحية خسراً كاملاً .

لأن كل الفضائل التى يجهد ذاته فى عملها، تشوه تشويهاً شاملاً إذ يدخلها حب المديح فيفسدها، لو يكون حب المديح هو هدفها، وليس حب الخير ! فلا تصبح له فضيلة على الإطلاق، لأن كل فضائله قد تشوهت بسبب فساد الهدف والدافع إليها.

✱ ✱ ✱

١٧ - هذا الإنسان - مهما تعب ومهما عمل، يقف أمام الله صفر اليدين .

ولا جزاء له عند الله، لأنه أخذ أجرته على الأرض. إذ يقول له الرب فى اليوم الأخير إنك استوفيت خيرتك على الأرض مديحاً وكرامة وعظمة. ولا تستحق شيئاً عندى فى السماء (مت ٦: ٢، ٥، ١٦). إنك - لست من أجل الرب - عملت الفضائل بل من أجل كرامة تتألفها من الناس، وقد نلتها وانتهى الأمر. فضائلك كانت من أجل ذاتك لكى ترتفع هذه الذات أمام الآخرين، وقد حصلت على ما تريد. فماذا بعد؟!

وهكذا يخسر هذا الإنسان الملكوت الأبدى والعشرة مع الله وقديسيه. وبسبب نزاعه مع الناس فى محبته للكرامة، يخسر الناس أيضاً، لأنهم لا يحبون المتغطرس والمتكبر، ويشمئزون من سعيه وراء المديح. فيتعرض بهذا إلى ازدرائهم واحتقارهم، كما يمتدح نفسه أمامهم.

✱ ✱ ✱

وصدق ما لسحق حينما قال :

من سعى وراء الكرامة، هرب منه. ومن هرب منها بمعرفة، سعت إليه.
إن كان الأمر هكذا، فكيف ينجو الإنسان إذن من محبة المديح والكرامة؟

الهروب من المديح والكرامة

يمكن الهرب منهما بإخفاء الفضائل والبعد عن الرئاسة

إخفاء الفضائل :

طالما فضائلك ظاهرة أمام الناس، فأنت عرضة للمديح.. فإن أردت أن تهرب من مديحهم، عليك بقدر إمكانك أن تخفى فضائلك وأعمالك الحسنة. ليس معنى هذا أنك لا تعمل شيئاً حسناً أمام الناس. وإنما لا تعمل أمامهم بهدف أن تتل مديحهم. فإن كان العمل ضرورياً ولا يمكنك إخفاءه عن الناس، فعلى الأقل لا يكون هدفك وقصدك هو محبة المديح، بل عمل الخير ذاته.



وقد تعرض القديس أوغسطينوس لهذه المسألة في تفسيره للعبارة على الجبل : يقول الرب "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات" (مت ٦ : ١). ويقول أيضاً "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات" (مت ٥ : ١٦). فهل يوجد تناقض بين القولين؟ وكيف نوفق بينهما؟

يقول القديس أوغسطينوس فى هذا الموضوع "ليس هناك تناقض. لأن العيب ليس فى أن ينظر الناس أعمالكم الحسنة. إنما العيب هو أن تعملوا الأعمال الحسنة لكي ينظروكم. فينبغى عليك أن تعمل الخير سواء نظرك الناس أو لم ينظروك. لا يكن هدفك أن يراك

الناس وأنت تعمل الخير، ولا أن يمدحوك. بل إعمل العمل الصالح، لا لكي تتمجد أنت به، بل لكي يتمجد الله لكي يمجدوا أباكم الذي في السموات".

يقول البعض إنهم يعملون الصلاح لكي يكونوا قُدوة أمام الناس.

ولكن علينا أن نفهم أن للقُدوة مواضع، وأناس مفروض فيهم بحكم موضعهم أن يكونوا قُدوة، مثل رجال الإكليروس والقادة والمسؤولين والرسل والأنبياء والرعاة. فهؤلاء إن لم يكونوا قُدوة، سيعثرون الآخرين.

أما الإنسان المتواضع، فإنه لا يرى في نفسه شيئاً يُقَدَّى به الناس.

ويحاول أن يهرب من مواقف القُدوة بحجة أنه خاطئ وضعيف. وعلى عكس هذا يُظهر نقائصه وضعفاته. ومع ذلك قد يصبح قُدوة باتضاعه..



وكما حاربه الفكر أن يكون قُدوة، يقول لنفسه: لا أستطيع أن أكون مرانياً، أظهر بغير حقيقتي. ويصرخ أمام الله قاتلاً: أنت تعرف يارب ما بداخل القبور المبيضة من عظام نتنة. إن كنت أنت برحمتك قد سترتني، وأخفيت عيوبى عن الآخرين، هل استغل أنا هذا الستر، لأمثل دور القُدوة؟! بينما أنا إنسان خاطئ بعيد عن حياة البر!!

أما الذى يريد أن يصير قُدوة، فلكي يظهر أمام الناس حسناً يجوز أن يقع في الكبرياء والرياء. فيجب أن نرضى الله لا الناس.



فلا يكن هدفنا أن نكون قُدوة، حتى لو صرنا قُدوة بتدبير من الله.

هكذا كان الآباء القديسون يتركون تدبير أمر معين في الفضيلة إذا اشتهر عنهم ويعملون غيره، إذ كانوا يهربون جداً من المديح. ولكن ليس معنى هذا أن تترك كل تدبير حسن تصير فيه لنلا يأتيك المديح بسببه، بل أثبت في كل تدريب صالح من أجل نموك الروحي، وليس لكي ينظرك الناس.

البعد عن الرئاسات ٢

★ الإنسان المتواضع لا يسعى وراء المناصب والرئاسات. بل في حكمة يهرب منها. وقد نبغ في ذلك كثير من آباء الرهبنة ومنهم القديس بينوفايوس الذى عرفنا قصته من يوحنا كاسيان مؤسس الرهبنة في فرنسا.

كان القديس بينوفوريوس رئيساً على دير يضم أكثر من مائتي راهباً في منطقة البرلس. وكان متضعضاً جداً ومهاباً، وله مكانة عند الكثيرين.

إذ كانوا يحبونه بسبب قداسته وحياته الفاضلة، ولمواهبه العظيمة التي منحها الله إياها، وأيضاً بسبب كهنوته، ولأنه شيخ وقور .

جلس هذا القديس ذات يوم إلى نفسه وقال: ماذا تكون نتيجة هذا الوضع الذي أنا فيه؟ كل يوم مديح وكرامة واحترام وتوقير!! إنني أخاف أن يقول لي الرب في اليوم الأخير "إنك قد أستوفيت خيرتك على الأرض" (لو ١٦: ٢٥). فأين مني الطريق الضيق والكرب الذي أوصى به الرب، وقال إنه المؤدى إلى الحياة (مت ٧: ١٤). وأين مني قول الكتاب: "إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع ١٤: ٢٢)؟ وهوذا أنا رجل متمتع باحترام وتوقير وكرامة ورئاسة!

لذلك هرب القديس بينوفوريوس ذات يوم من الدير دون أن يشعر به أحد.

وتكرر في زى علماني، وسار جنوباً حتى وصل إلى أحد أديرة القديس باخوميوس الكبير في إسنا. وطرق الباب طالباً أن يقبلوه في الدير. فنظروا إليه متعجبين من أمر هذا الشيخ الذي أتى ليترب! وقالوا له "هل أتيت بعد أن شبت من العالم، وشبع العالم منك؟! أتريد أن تأخذ مظهر القداسة في أواخر أيامك؟ إنك لا تصلح، فأرحل عنا".

فألح القديس بينوفوريوس عليهم فرفضوا. وقالوا له "أنت رجل شيخ، ولا تحتل الرهبة وجهاداتها". فظل يلح عليهم وهم يرفضونه. ووقف عند الباب مدة على الرغم من رفضهم، دون أكل أو شرب. فلما رأوا احتماله وصبره، أدخلوه الدير على شرط ألا يرسم راهباً، ويكون في زى العلمانيين يخدم في الدير. وأسندوا إليه مساعدة الراهب الشاب المسئول عن حديقة الدير، ليكون كصبي عنده. فلم يمانع. وكان الشاب يوجه إليه أوامر يعمل بها، فكان مطيعاً له وخاضعاً.

وتحول القديس الذي كان يحترمه الناس ويطيعونه إلى تلميذ. وكانت هذه أمنيته أن تتغير حياته، ويكون خاضعاً لغيره بدلاً من خضوع الغير له.

وكان معلمه الشاب شديداً عليه جداً. يريد أن يربي الشيخ تربية صحيحة، لأن الرهبة ليست كسلًا! وصار القديس يطيعه طاعة كاملة، وينفذ أوامره بكل دقة، لا يجادل ولا يناقش. وسار على هذا المبدأ مدة وسر به الشاب.

وأيضاً كان يقوم فى ساعة متأخرة من الليل - والراهبان نيام - ويعمل الأعمال التى يشمئز منها الآخرون لقذارئها. فإذا ما استيقظوا فى الصباح، يجدون كل شئ قد تم دون أن يعرفوا من الفاعل، فيبتهجون ويماركون الرب من أجل ذلك. أما هو فكان مسروراً بهذا العمل. وظل على هذا الطقس ثلاث سنوات وهو يقول "أشكرك يارب من أجل عطايك ونعمك العظيمة، إذ خلصتني من الاحترام والتوقير، ونقلتني إلى حياة الطاعة والخضوع".

حدث بعد ذلك أن أتى لزيارة هذا الدير راهب من أديرة البرلس .

ورأى القديس بينوفوريوس يحمل السباخ ويضعه حول الشجر. فشك في الأمر ولم يصدق أنه هو! وأخيراً سمعه يرثل المزامير بصوته المعهود، وعرفه وسجد له، وكشف أمره للرهبان. فأخذه بمجد عظيم وأعادوه إلى دير.

وبعد ذلك هرب أيضاً إلى بيت لحم، وعمل خادماً فى قلاية يوحنا كاسيان.

وتصادف أن ذهب راهب آخر إلى زيارة الأراضي المقدسة، فرآه وعرفه. وأعادوه مرة ثانية باحترام إلى دير. وزاره يوحنا كاسيان عند مجيئه إلى مصر، وكتب عنه فى مؤلفاته أنه مثال حى للهرب من الرئاسة...

فالذى يريد أن يخلص من مديح الناس والكرامة، عليه أن يهرب من محبة الرئاسة والمناصب.. لأنه إن نجح فى تلك المناصب، تشعره بأنه قد صار موضعاً للكرامة. وإن فشل فيها، وقع فى دينونة عظيمة.



★ إن أحلام الرئاسة تعب داخلى :

لأنه أحياناً يخلو الإنسان إلى نفسه. وفى أحلام اليقظة يتصور أنه فى مركز هام، وأنه يعمل ويعمل.. وتدور فى ذهنه مشروعات كبيرة وأمور خطيرة. ويظن أنه لو أعطى السلطان، لسوف يعمل ما لم يستطع غيره أن يعمل!

وهذه تخيلات المجد الباطل، وكبرياته موجودة فى الداخل تشعر الإنسان بأنه يستطيع الشئ الكثير. وقد يسمح الله أن تُسند إلى هذا الشخص مسئولية، فيفشل فيها لكى يعرف مدى ضعفه.



ذهب أحد الشيوخ ليزور راهباً شاباً فى قلايته الخاصة. وعندما هم بقرع الباب، سمع صوتاً فى الداخل، فانتظر قليلاً حتى لا يعطل الراهب الشاب. فسمعه يعظ من الداخل.

فانتظره حتى انتهى من العظة وصرف الموعوظين قائلاً "أمضوا بسلام". ثم قرع الباب، وفتح الراهب الشاب، ووجئ بالشيخ أمامه. فحجل وفكر ما عسى أن يقول عنه الشيخ إذا كان قد سمعه يعظ بمفرده دون موعوظين! فقال "إني آسف يا أبا، لئلا تكون قد جئت من زمن وتعطلت على الباب". فابتسم الشيخ وقال له "جئت يا بنى وأنت تصرف الموعوظين". وعرف الشيخ أن هذا الراهب محارب بالمجد الباطل، إذ يتصور أنه قد صار معلماً وواعظاً...

فأحذر أن تتخيل أنك قد صرت رئيساً أو قائداً أو مشيراً. قل لنفسك إنك لم تصل إلى هذا المستوى بعد. ويكفى أن تكون أميناً للوضع الذى أنت فيه.



★ إن الرئاسات ضارة لغير الناضجين :

قال القديس أروسيوس أحد خلفاء القديس باخوميوس الكبير :

"إن الرئاسة مضرة للأشخاص الذين لم ينضجوا بعد". وضرب مثلاً لذلك فقال: "إذا أحضرت لبنة لم تحترق بعد بالنار وألقيتها فى الماء، فإتتها تذب. أما إذا احترقت بالنار، فإن ألقيت فى الماء، فإنها تبقى وتشتد".

كذلك الشخص الذى يصل إلى الرئاسة قبل أن ينضج، وقبلما يمحص بالنار، أى باختبارات الحياة، وقبلما تزول منه محبة المجد الباطل، فإنه معرض للهلاك. كذلك مساكين هم الناس الذين يخضعون لرئيس محب للمجد الباطل. فإنه يضيق نفسه، ويضيع الناس معه، بسبب المجد الذى يطلبه منهم.

لماذا يهرب المتواضع

من حب الرئاسة والرعاية؟

إنه يهرب من الرئاسة حرصاً على خلاص نفسه، وهروباً من العظمة والكبرياء،
حسبما وعظ القديس يوحنا الأسبوطي:

سئل هذا القديس: "هل يليق بالإنسان أن يطلب رتبة وسلطاناً، بقصد تقويم المعوجين
وإبطال الشرور؟". فأجاب:

كلا، لأنه إن كان الإنسان - وهو بعيد عن الدرجة - يريد أن يكون عظيماً، فماذا
يفعل عندما يصل إلى الرئاسة والعظمة ذاتها؟!

فالذي وهو في ضلالة شأنه لم يعرف الإلتضاع، ماذا يفعل وهو في العظمة؟! وإن سعى
إلى الارتفاع - وهو بعيد عن المناصب - فأى انتفاخ يكون له عندما ينال تلك المناصب؟!
إذ حينما لم يكن لديه سبب للعظمة، كان يطيش بها في ضميره، فكم يكون بالحرى
عندما ينال سبباً للافتخار؟!



إن كنت لا تشتهي الإلتضاع، فلا تطلب درجة الرعاية. ولا تشته درجة الكهنوت لكي
تعتنى بالناس. وأعلم أن الله يعتنى بشعبه أكثر منك. أشته أن تكون حملاً في القطيع
يرعاك غيرك، لا أن تكون راعياً مسئولاً عن رعية يطلب الله دمها منك.

احترس من شهوة التسلط. واذكر أنك مهما صرت اليوم مكرماً بالعظمة، فغداً ستكون مثل سائر الناس محبوساً في القبر.



يهرب المتواضع من الرئاسة والرعاية، شاعراً بأنه أضعف من القيام بها .

قال القديس يوحنا الأسبوطي أيضاً: "إن كنت الآن لا تقدر أن تربح نفسك، فكيف تقدر أن تربح نفوساً كثيرة؟!.. إن كنت في الوقت الذي ليس عليك فيه أثقال، لم تستطع أن تحيي داتك، فكيف تقدر أن تخلص شعباً كبيراً من شر هذا العالم؟! إن كنت الآن بلا مسؤوليات كثيرة، ولم تقدر أن تخلص هذه النفس الواحدة التي هي نفسك، فكيف تقدر على نفوس الناس؟!"

وبنفس منطق القديس يوحنا الأسبوطي، أقول لكل من يشتغل الرعاية ليخلص نفوس الآخرين: اهتم يا أخى بخلاص نفسك أولاً. فإن لم تستطع، فلن تقدر على تخلص غيرك مهما أخذت من مناصب..

نفسك التي تعرف عنها كل شيء: تعرف جميع أسرارها، وتاريخها كله، وضعفاتها، وأسباب ما فيها من ضعفات وعيوب وأمراض روحية.. إذا لم تستطع أن تخلص هذه النفس المعروفة جداً لديك، فكيف تقدر على خلاص نفوس الناس الذين تجلس معهم فترات قليلة، ولا تعرف عنهم إلا القليل جداً؟!

ونفسك التي إذا وبختها، تقبل منك التوبيخ واللوم والزرر، ومع ذلك لم تقوَ على ردعها! فكيف تقدر على نفوس إن وبختها تغضب منك؟!

نفسك التي تتق بك، والتي هي مستعدة أن تسمع لك، لست قادراً عليها، فكيف تعمل مع الناس الذين قد لا يسمعون منك. وإن سمعوا ربما لا يتقون بما نقول!! فاهتم أولاً بخلاص نفسك، لأن تخلص الغير ليس أمراً سهلاً..



الذى يهرب من الرئاسة والمناصب، يحب المتكأ الأخير .

لأنه يشعر أن هذا هو وضعه الطبيعي، وهذا هو استحقاقه. إذ قال القديسون "اعتبر نفسك أقل من الكل وآخر الكل، لكي تستريح. قال القديس برصنوقيوس: "لا تحسب نفسك في شيء من الأمور، ولا يحسبك أحد شيئاً، وأنت تتنيج (أى تستريح)..."

فالشخص الذى لا يحب المديح والكرامة، يهرب من الرئاسة، ويهرب من المتكآت

الأولى، ويشتكى أن يكون خادماً لغيره، لا أن يخدمه غيره. يشتكى أن يتلذذ على المرشدين وينتفع بأقوالهم، لا أن يكون مرشداً لآخرين.

قال الشيخ الروحاني "في أي مكان وجدت فيه، كن صغير أخوتك وخدمهم".

✱ ✱ ✱

في مرة طلب مني أحد الأباء الكهنة الجدد بعد رسامته - أن أقول له كلمة أو نصيحة، فقلت له "كن انشأ وسط أخوتك، وأحاً وسط أولادك". فالذي ينزل درجة يرتفع درجات.. وهذا هو الذي يستريح في أي منصب يوضع فيه. أما إن كان يريد أن يتمتع بكل كرامة هذا المنصب، ويملاً كرسيه أو ينتفع، فهذا إنسان مسكين أسقطته المناصب..

أما أنت فكان آخر الكل "صغير أخوتك وخدمهم" في كل مكان تحل فيه. وإن كان السيد المسيح قد غسل أرجل تلاميذه" (يو ١٣)، ولم يستح أن يدعوهم أخوة له (عب ٢:

١١)، بينما هو المعلم والسيد، فهل تكون أنت رئيساً على أحد؟!

✱ ✱ ✱

الإنسان المتواضع - إن صار رئيساً - يعتبر نفسه رئيساً فقط على العمل وليس

على الناس. ويعتبر رؤوسيه زملاء له...

إنه يهرب من الرئاسة والكراس، ومن السلطة والتسلط. أما إن أمسكه الله بإرادته التي لا تقاوم، وجعله رئيساً أو راعياً، فإنه عندئذ يطلب منه قوة يعمل بها، لأنه بنفسه لا يستطيع أن يعمل شيئاً (يو ١٥: ٥). والذي يثق بقدرته الخاصة على تخليص الآخرين، لاند أن يكون مغروراً.

✱ ✱ ✱

إنه لا يرفض الرئاسة إن أتت إليه، دون سعي منه إليها. فليس الضرر في الرئاسة، إنما الضرر في محبة الرئاسة وفي الارتفاع بسببها.

ليس الضرر أن تبقى رئيساً. ولكن الضرر هو أن تتسلط على غيرك. فقد يوجد رئيس وصاحب المتكأ الأول، وفي نفس الوقت يكون إنساناً متضعاً. يعامل رؤوسيه برفق كأنه واحد منهم. فالرئيس والمرووس سواء عند الله. بل قد تكون للمرووس منزلة أكبر حسب برّه.

✱ ✱ ✱

والرئيس المتواضع هو الذي يتفاهم مع رؤوسيه بروح المحبة والبساطة شاعراً أن السلطة إنما تمنح للرؤساء من أجل إدارة العمل، وليس من أجل الكرامة الشخصية. وهكذا

أيضاً درجات الكهنوت مهما علت، هي للتدبير والرعاية والخدمة، وليست للرفعة والتسامخ. وعلى ذلك فإن كل سلطة لا يجوز أن تتحرف عن معناها الأصلي كمجرد وسيلة لتدبير العمل، لتصبح وسيلة إلى تكبير الذات وإظهارها..!

يحكى عن القديس الأنبا باخوميوس أب الشركة: إنه كان يسير مرة مع مجموعة من الرهبان، وكل واحد يحمل حاجياته. فتقدم أحد الرهبان لكي يحمل حاجيات القديس باخوميوس، فرفض ذلك وقال له: إذا كان المسيح له المجد دعا نفسه أخاً لتلاميذه، فهل استخدمكم أنا في حمل حاجياتي؟! لا يصير هذا الأمر أندأ. من أجل هذا فإن بعض الأديرة كائنة في انحلال، لأن صغارهم مستعدون لكبارهم!"

✱ ✱ ✱

والقديس بولس الرسول يقول عن نفسه "إن حاجاتي وحاجات الذين معي، خدمتها هاتان اليدان" (أع ٢٠: ٣٤).

إن الرئيس المتواضع هو الذي يحترم الكل، ويعامل الكل بلياقة. حقاً ما أعظم محبة وتواضع الذين يعاملون من هم أقل منهم باحترام وتوقير..

إنك بسهولة تحترم الشخص الأكبر منك. فهذا واجب وضرورة، وأنت مرغم على ذلك ومضطر أن تحترمه. لكن من يحترم من هو أقل منه، يكون متضعاً.

الذي يحترم من هم أصغر منه في المنصب، أو العلم، أو السن، أو في المقام، ويحفظ حقوقهم ويشعرهم بشخصياتهم، فهو إنسان متواضع يستحق محبة وتقدير الكل. وأعلم أن كرامتك ليست في أن يخضع الناس لك بحكم القانون. إنما الاحترام الحقيقي، هو تقدير وتوقير ينبع من القلب، لمن هو مستحق لذلك. ولا يكون من الظاهر فقط.

✱ ✱ ✱

★ الرئيس المتواضع يكون رئيساً على ذاته أولاً .

فهو يضبط نفسه أولاً، ويحسن تدبيرها، قبل أن يتولى تدبير الغير . قال الشيخ الروحاني، وهو ينصح الرهبان الصغار ألا يشتهوا رئاسة مجمع الرهبان: "إن حوربت بهذا الفكر، فقل لنفسك: إن مجمعي هو مجمع أفكارى التى أقامنى الله عليها رئيساً، لكى أدبر أهل بيتى حسناً".

فكن إذن رئيساً على أفكارك ومشاعرك، واضبطها حسناً. فلا تطيش شرقاً أو غرباً. كن رئيساً على حواسك، على نظرك وسمعك. كن رئيساً على شهوات قلبك واضبطها..

وإن تمكنت من أن تكون رئيساً على نفسك وتضبطها، فأنت الشخص الذى قد تصلح أن تكون رئيساً.

وإذا كنت لم تعرف أن تحكم نفسك، ولا لسانك ولا فكرك، ولا قلبك من الداخل، فكيف تصلح أن تكون رئيساً على غيرك؟! إن لم تكن أميناً على القليل، لا يمكن أن تكون أميناً على الكثير (مت ٢٥: ٢١).



★ يمكنك أيضاً أن تهرب من محبة الرئاسة والكرامة، إن كنت تزهد فى الأمجاد الخارجية.

لأن كل ما يتعلق بالوظائف والمناصب هو عرض خارجي لا يتعلق بذاتك فى الداخل. فالكرامة التى يقدمونها الناس لك، هى فى الواقع كرامة يقدمونها للمنصب الذى أنت فيه، وللوظيفة التى تشغلها، وليس لك شخصياً. بحيث إن ابتعدت عنك الوظيفة، ابتعدت عنك كرامتها. ولكن المزمور يقول "كل مجد ابنة الملك من داخل" (مز ٤٥) على الرغم من أنها "مشتمة بأطراف موشاة بالذهب، ومزينة بأنواع كثيرة".

مجدك إذن فى شخصيتك، لا فى وظيفتك أو رئاستك.

مجدك فى جوهرك: فى روحياتك، فى طبيعتك، فى عقلك، فى حكمتك، فى كل ما يوجد داخل قلبك من الفضائل والصفات الطيبة.

إن عرفت هذا تزهد فى المناصب والوظائف. وتقول مع السيد الرب: "مجداً من الناس، لست أقبل" (يو ٥: ٤١)، مريداً المجد الذى يكللك به الله، وليس المجد الذى يمنحك الناس إياه. نعم، مجدك هو فى حكم الله عليك، وليس فى حكم الناس.

كيف تهرب

من محبة المديح والكرامة

إن هروبك من محبة المديح والكرامة ومن محبة الرئاسة يستدعى الآتى :

١ - ينبغي أن تعرف أن المجد الذى تأخذه من الناس هو مجد زائف .

وربما يكون عن جهل. لأن الذين يمدحونك لا يعرفون حقيقتك. لأنهم يحكمون حسب الظاهر. لا يقرأون أفكارك، ولا يعرفون مشاعرك وإحساساتك الداخلية، ولا خطاياك الخفية وسقطاتك.

وبعض الناس قد يمدح على سبيل المجاملة، أو بسبب التشجيع، والبعض يمدح بسبب أدبه الخاص، أو بسبب التملق، أو لغرض معين فى نفسه. ومدح الناس قد يضر الكثيرين ويضلّلهم، ويبعدهم عن معرفة النفس، وعن تقويمها.

والمسكين الذى يحب المديح يهمله أن يمدح كيفما كان الأمر، ويلتذّ له أن يصدق كل ما يقال فيه خير، سواء عن حق أو عن باطل!

✱ ✱ ✱

٢ - أما أنت فاعرف أن مدح الناس لا يوصلك إلى ملكوت الله .

لأن الله هو فاحص القلوب والكلى (رؤ ٢: ٢٣)، وهو العارف الخبايا والأسرار. وفى حكمه عليك، لا يعتمد على كلام الناس عنك.

لذلك ينبغي لك أن تصادق من يوجهك ويوبخك. أما إذا مدحك الناس، فتذكر خطاياك

ونفانصك، واعترافاتك التى تخجلك، والأحطاء البشعة التى وقعت فيها فى حياتك. وبذلك يحف عليك ألم المديح.



٣ - قل لنفسك : أنا مازلت سائراً فى الطريق، ولا أعرف كيف سأنتهى؟

والكتاب يقول "انظروا إلى نهاية سيرتهم" (عب ١٣: ٧). فكثيرون بدأوا بالروح، وكمّلوا بالجسد" (غل ٣: ٣). والكتاب يقول أيضاً "من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" (١كو ١٠: ١٢). وما أكثر حروب الشيطان، وما أشد حيله وخداع مكره، فاحفظنى يارب، لأن "الخطية طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوىاء" (أم ٧: ٢٦)، وأنا لا أحسب نفسى أقوى من الذين سقطوا...



٤ - للهروب من المديح ، سواء مديح الناس، أو مديح نفسك لك، انظر إلى المستويات التى هى أعلى منك بكثير. فتصغر نفسك فى عينيك.

إنك إن نظرت إلى الخطاة والضعفاء فى مستواهم الروحى، أو إلى من هم أقل منك فضيلة وبراً، ربما بالمقارنة تجد أنك "بار فى عينى نفسك" (أى ٣٢: ١). وإن نظرت إلى من هم أقل منك فهماً وعلماً ربما بالمقارنة تصبح "حكيماً فى عينى نفسك" (أم ٣: ٧).

إن أولاد الله صاروا متواضعين، لأنهم كانوا باستمرار ينظرون إلى الكمال المطلوب منهم، حسب قول الرب "كونوا أنتم كاملين، كما أن أبلكم الذى فى السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨). وأيضاً إلى قول الرب "كونوا قديسين، لأنى أنا قدوس" (بط ١: ١٦).

وينظرتهم إلى القداسة والكمال، كانوا يرون أنهم "فى الموازين إلى فوق" (مز ٦٢: ٩). فيقول كل منهم لنفسه "وزّنت بالموازين فوُجئت ناقصاً" (د ٥١: ٢٧).

كانوا يصلون إلى درجات عظيمة فى الصوم والصلاة والنسك وإنكار الذات وفى كل فضيلة يجاهدون للوصول إليها، كانوا فى نظر أنفسهم ضعفاء ومساكين، لأن المستوى العالى الذى كانوا يتطلعون إليه، مازال بعيداً عنهم. وهناك درجات لم يصلوا إليها إذا مدحتك نفسك على فضيلة معينة قد وصلت إليها، فتذكر ما قد وصل إليه الآباء فى هذه الفضيلة بالذات، حينئذ تدرك أنك لا شئ..



إذا مدحتك نفسك مثلاً لمواظبتك على صلاة الأجيبة، تذكر أنك تصلى بعض المزامير.

وهناك آباء كانوا يصلون كل المزامير. ومنهم من كان يقضى الليل كله فى الصلاة. ومن كان يمارس الصلاة الدائمة. ومن كان يصلب فكره فى الصلاة حتى ما يخطر عليه فكر آخر كالتدريب الذى تدرب عليه القديس مكاريوس الاسكندرانى. وتذكر أيضاً الصلاة بخشوع، والصلاة بدموع، والصلاة بحرارة وحب وإيمان.. حينئذ تجد أنك مجرد مبتدئ فى عمل الصلاة. وربما لم تصل بعد إلى درجة مبتدئ؟ وبالمثل قارن نفسك بالدرجات العليا لباقي الفضائل ..



فهل يحاربك المجد الباطل، لأنك مدقق فى دفع العشور؟ فهل أنت أيضاً تدفع البكور؟ وإن كنت كذلك، فاعرف أن المسيحية ارتفعت فوق هذا المبدأ فى العطاء، إذ قال الرب "من سألك فاعطه" (مت ٥: ٤٢). وقال أيضاً "إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل مالك، وأعط الفقراء، فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى" (مت ١٩: ٢١). وإن وصلت إلى هذا، فأمامك قصة لأحد القديسين كان متتاهياً فى عمل الرحمة: فباع كل ما يملك وأعطى الفقراء. وإن لم يبقَ له شئ ليعطيه، باع نفسه عبداً، وأعطى ثمن نفسه للفقراء! أقول لك هذا، لا لتفعل مثله، فهذا غير ممكن الآن. وإنما لكى تتضع ...



٥ - لكى تهرب من الكرامة، اعرف المعنى الحقيقى للمتكأ الأخير .

فليس المتكأ الأخير أن تجلس فى المكان الأخير. فهناك من يتصرف هكذا لكى يقال عنه إنه متضع. وقد يتخذ المتكأ الأخير من الظاهر، بينما محبة المجد الباطل تقتله من الداخل. فالمتكأ الأخير حقاً، هو أن تشعر فى أعماقك أنك حقاً فى المتكأ الأخير، من جهة المكانة، وليس من جهة المكان. قال أحد الرهبان للقديس تيموثاوس "يا أبى، إنى أرى فكرى مع الله دائماً" فأجابه القديس "الأفضل لك يا ابنى: أن ترى نفسك تحت كل الخليفة".



قيل عن إثنين من الرهبان الشبان إنهما دخلا إلى مائدة الدير. وكانت ذلك الحين مقسمة إلى مواعد للشيوخ وأخرى للشبان. فدعا الشيوخ واحداً منهما أن يجلس معهم فجلس. وأما الآخر فذهب إلى مائدة الشبان. وعند الإنصراف قال هذا الأخير لزميله كيف تجرأت - وأنت شاب - أن تجلس مع الشيوخ؟ فأجابه "إنى لو جلست على مائدة الشبان، ربما كانوا يقدموننى على أنفسهم فى كل شئ، لأننى أقدم منهم. ولكننى عندما جلست على

مائدة الشيوخ، كنت أشعر بضائقي وعدم استحقاقي، وبأنى لا استحق الكلام. وجلست فى استحياء مطرقاً كل الوقت. وكنت فى المنكأ الأخير".



إذن فحتى لو أجلسك للناس فى المنكأ الأول، قل لنفسك: إن كل هؤلاء الناس أفضل منى. إن وقتت مثلاً تدرس الأطفال فى مدارس الأحد، اعتبر أنهم ملائكة أفضل منك. واطلب من الله أن تكون فى بساطتهم وتقاوتهم وكرامتهم عند الله...

كان أحد مدرسى مدارس الأحد إذا وقع فى مشكلة، يطلب من أطفال فصله أن يصلوا من أجله فى ضيقه. وكان يقول: إننى جرّبت صلواتهم فى مشاكل حياتى. وكنت أشعر إنها قوية ولها مفعول كبير، أكثر من صلواتى الخاصة.



٦ - وإن أردت الهروب من محبة المديح، إهرب من محبة الرؤى والمعجزات.

ثلاً يعرف الشياطين عنك هذا، فيضلوك بروى كاذبة من عندهم. ويقول الرسول "إن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور" (٢كو ١١: ١٤). ظهر الشيطان مرة لأحد القديسين وقال له "أنا جبرائيل الملاك وقد أرسلنى الله إليك". فردّ عليه القديس "لعلك أرسلت إلى غيرى وأخطأت الطريق. أما أنا، فأبى إنسان خاطئ لا أستحق أن يظهر لى ملاك". قال مار اسحق "إن الذى يرى خطاياهم، أفضل ممن يرى ملائكة".



حقاً إن الرؤى لا تخلص نفسك فى اليوم الأخير، فلا تطلبها. إنما معرفتك بخطاياك، فهى التى تقودك إلى التوبة وخلص نفسك.

يدخل فى هذا المجال أيضاً من يسعون إلى التكلم بالسنة، لا لتبشير الغرباء عن لغتهم، إنما بسبب الإدعاء إنهم قد وصلوا إلى الملء!! والبعض منهم يقول لغيره: تعال لكى أمنحك الروح والملء، فتتكلم بالسنة!!!



٧ - إن أردت أن تهرب من المديح، ينبغى أن تخفى أعمالك القاضلة عن الناس.

لأنك إن كنت تعمل الخير من أجل الله، وليس من أجل كرامة من الناس، فماذا يهمك إن كان الناس يرون هذا الخير منك أو لا يرونه. بل إن إظهار فضائلك لهم، قد يفقدك أجرك عند الله، إذ تكون قد استوفيت خيرائك على الأرض (مت ٦).

فى إحدى المرات، تقابل بعض رهبان شيهيت مع الأم ساره، وكشفوا لها أفكارهم.

فَقَالَتْ لَهُمْ: بِالْحَقِيقَةِ إِنَّكُمْ إِسْقِطِيُونَ. الَّذِي لَكُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ تَخْفُونَهُ. وَمَا لَيْسَ فِيكُمْ مِنَ
النَّقَائِصِ، تَنْسُبُونَهُ إِلَى أَنْفُسِكُمْ...

✱ ✱ ✱

وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى، كَانَ يَعِيشُ فِي بَرِيَّةٍ شَبِيهِتِ رَاهِبِ سُورَى الْأَصْلِ. هَذَا جَاءَ إِلَى
الْقَدِيسِ مَكَارِيُوسَ الْكَبِيرِ وَقَالَ لَهُ "لِي سَوَالٌ يَا أَبِي: عِنْدَمَا كُنْتُ فِي سُورِيَّةَ، كُنْتُ أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَصُومَ كَثِيرًا، وَأَطْوَى الْأَيَّامَ صُومًا. أَمَّا الْآنَ فِي مِصْرَ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكْمَلَ الْيَوْمَ
صُومًا. فَلِمَاذَا؟". وَحَيْثُ أَنَّ الْأُبَيْرَةَ فِي سُورِيَّةَ كَانَتْ فِي الْمَدَنِ فِي وَسْطِ النَّاسِ، لِذَلِكَ رَدَّ
عَلَيْهِ الْقَدِيسُ مَكَارِيُوسَ قَائِلًا "لَقَدْ كُنْتُ تَطْوِي الْأَيَّامَ صُومًا، لِأَنَّكَ كُنْتَ تَتَغَذَّى عَلَى الْمَجْدِ
الْبَاطِلِ، الَّذِي هُوَ مَدِيحُ النَّاسِ لَكَ أَثْنَاءَ الصُّومِ وَالْإِنْقِطَاعِ عَنِ الطَّعَامِ. أَمَّا فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا
يَرَاكَ أَحَدٌ، وَلِذَلِكَ تَجُوعُ بِسُرْعَةٍ!"

✱ ✱ ✱

لِذَلِكَ قَالَ الْقَدِيسُونَ: إِنْ الْفَضَائِلُ إِذَا عُرِفَتْ، تَبِيدُ وَتَنْتَهِي. وَبِسَبَبِ هَذَا، كَانُوا يَخْفُونَ
فَضَائِلَهُمْ وَمَعْرِفَتَهُمْ وَحُكْمَتَهُمْ .

أَمَّا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَ فَضَائِلُكَ وَحُكْمَتُكَ، فَلَتَكُنْ مَشِيئَتَهُ. وَلَكِنْ لَا يَكُنْ ذَلِكَ مِنْكَ
أَنْتَ. فَحَازِرْ أَنْ تَفْتَخِرَ بِنَفْسِكَ، لَوْ أَنَّ تَجَلِبُ لِنَفْسِكَ صَيِّتًا حَسَنًا .

الباب السادس :

علاقة الارضاع بالمضائل والمزايب

- النعمة .
- التوبة والاعتراف .
- الشفقة على المخطئين .
- الإيمان والبساطة .
- التعليم .
- الصلاة .
- احترام الآخرين .
- الانتهاز والتوبيخ والمعاقبة .

هناك ثلاث فضائل لابد أن تدخل فى كل فضيلة، كما يدخل الخيط فى حبات السحبة، وبدونها لا تعتبر الفضيلة فضيلة. هذه الثلاث هى الحكمة، والمحبة، والتواضع. فكل فضيلة لابد أن تُمارس بحكمة. وبدون حكمة قد تتحول إلى اسم آخر غير الفضيلة، أو تتشوه صورتها. وكل فضيلة لابد أن يدخل فيها عنصر المحبة: محبة الله، ومحبة الخير، وأحياناً محبة الناس. وبدون المحبة تفقد الفضيلة قيمتها.

كذلك لابد أن تُمارس كل فضيلة فى تواضع قلب، وإلا صارت طعماً للمجد الباطل كما قال القديسون. ونود فى موضوعنا هذا، أن نتعرض لعلاقة التواضع ببعض الفضائل كمثال، وأيضاً لعلاقته بالموهب. ولنبدأ بعلاقة التواضع بالنعمة.

النعمة :

يقول الكتاب "يقاوم الله المستكبرين. أما المتواضعون فيعطيه نعمه" (يع: ٤: ٦). النعمة تمنح الموهب. ولكن المتكبر يفتخر بالموهب، ويرتفع قلبه بها. لذلك يأتمن الرب المتواضعين على نعمته وعلى مواهبه، لأنهم يقولون باستمرار "ليس لنا يارب ليس لنا. لكن لاسمك القدوس أعط مجداً" (مز ١١٥: ١). وهناك كلمة جميلة قالها مار اسحق وهى : "إذا منحك الله موهبة، فاطلب منه أن يعطيك تواضعاً ليحميها".

ذلك لأن التواضع يحمى الموهب من الافتخار والمجد الباطل..

لهذا نحن نعجب من الذين يطلبون من الله أن يمنحهم موهبة التكلم بالأسنة، بينما لا يوجد غرباء لهم لغة مجهولة تحتاج إلى موهبة الأسنة لتبشيرهم. وهكذا يستخدمون الأسنة للمجد الباطل، والإدعاء بأنهم وصلوا إلى "ملء الروح"!!

ما أخطر المواهب على الذين لم يصلوا إلى الاتضاع بعد. إنهم يفرحون بتلك المواهب بسبب (الذات) وارتفاعها! وهنا نتذكر إن السبعين الذين أرسلهم الرب للتبشير، ومنحهم موهبة إخراج الشياطين "رجعوا بفرح قائلين: يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك". فوبخهم الرب قائلاً "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم. بل افرحوا بالحرى أن اسماءكم قد كُتبت في السموات" (لو ١٠: ١٧، ٢٠).



ونفس الوضع حينما تساعد النعمة إنساناً على اكتساب فضيلة:

إن كان متواضعاً، ينسب الفضل لله وليس لنفسه. ويقول كما قال القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (١كو ١٥: ١٠). ويخشى أن يفتخر أو يتكبر، فتسحب النعمة عملها منه فيسقط. بل هو بالأكثر ينكر ذاته، ويحاول أن يخفى فضائله: لا على الناس فقط، بل حتى على نفسه. ولا يتأمل ما هو فيه من فضيلة. بل يحاول أن ينساها. ويتحول شعوره إلى الشكر، لا إلى الفخر...

أما الفضيلة عند المتكبر، فهي عرضة للضياع. ولا تكون فضيلة حقيقية. بل لا يتبر بها، كما حدث في قصة الفريسي والعشار (لو ١٨: ٩-١٤).

ذلك الفريسي وقف في الهيكل مفتخراً بفضائله، حتى أمام الله! فقال "أشكرك يارب أنى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار. أنا أصوم مرتين فى الأسبوع، وأعشر كل ما أقتنيه" (لو ١٠: ١١، ١٢). هذا الفريسي لم يذكر عمل النعمة معه. ولم ينفعه صومه ولا عشوره، ولا بعده عن بعض الخطايا. لذلك لم يخرج من الهيكل مبرراً (لو ١٠: ١٤).

ننتقل إلى نقطة أخرى. وهى علاقة التواضع بالتوبة :

التوبة :

المتواضع هو الذى يصل إلى التوبة. أما المتكبر فلا يقدر .

المتكبر لا يشعر أن له عيوباً تحتاج إلى إصلاح. أو أنه واقع فى خطايا تحتاج إلى توبة. ذلك لأنه "بار فى عينى نفسه". والذى يكشف له ضعفاته وأخطائه وينصحه بالتوبة، لا يقبل ذلك منه، بل يعتبره عدواً...! فكيف يتوب هذا المتكبر، وهو لا يعرف عن نفسه



أيضاً المتكبر يظن أنه أكبر من أن يخطئ، فلا يحترس . فيسقط .

ويسبب أدعائه القوة، قد يعرض نفسه إلى مواقع الزلل، فى غير مبالاة ولا حرص، فيضربه الشيطان فى مقتل. وهكذا قال الكتاب عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوياء" (ام ٧: ٢٦). والمقصود بكلمة (أقوياء) هنا: من يظنون فى أنفسهم أنهم أقوياء... وقد ذكر مار اسحق أن العجرفة تسبب السقوط فقال إن "المتعجرف بالفضلة يسقط فى الخطية، والمتعجرف بالعلم والمعرفة يسقط فى البدعة والهرطقة"..

والكتاب يقول "قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح" (ام ١٦: ١٨).



نقطة أخرى وهى أنه : حتى لو اعترف المتكبر بأنه خاطئ، وسعى إلى التوبة، فإنه يعتمد على قوته وإرادته وتدابيره الروحية.

يظن أنه قادر على ضبطه لنفسه. ثم يكتشف عملياً أن نفسه ليست بالقدره التى تستطيع أن تقاوم كل حين العدو، وأنها لا تقدر أن "تطفى جميع سهام الشرير الملهبة" (أف: ١٦). وعلى الرغم من ذلك يتشبث بإدعاء القدرة والصمود!



أما المتواضع فيعترف بأنه خاطئ وأنه ضعيف، وأنه محتاج إلى قوة من فوق تساعد على التوبة. ويردد تلك العبارة العميقة:

"توبنى يارب فأتوب" (أر ٣١: ١٨).

المتواضع لا يعتمد على نفسه فى التوبة. بل من أعماقه يردد قول المزمور: "إنضح على بزوفاك فأطهر. أغسلنى فأبيض أكثر من الثلج" "قلباً نقياً إخلق فىّ يا الله، وروحاً مستقيماً جده فى أحشائى" (مز ٥١: ٧، ١٠).

ويقول كما فى صلاة الساعة الثالثة "تقنى من دنس الجسد والروح".

وحينما ينعم الله عليه بالتوبة، لا ينسب ذلك إلى جهاده الروحى، بل إلى نعمة الله التى أنقذته من الخطية. فيشكر ولا يفتخر.



والمتواضع - إذ يشعر بضعفه - يحترس من أبسط الحروب الروحية.

يحترس من أقل عثرة، ومن الحروب التي تحارب المبتدئين. ويردد ما قاله القديس الأنبا أنطونيوس - في اتضاعه - للشيطان "أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم!"
وإذ يتوب المتواضع، لا ينسى خطاياہ السابقة وضعفاته. بل ينسحق قلبه بسببها، وتمتلئ عيناه بالدموع. كما حدث مع داود في توبته (مز ٦).

✱ ✱ ✱

إن هناك علاقة متبادلة بين التوبة واتضاع القلب .

التواضع يقود إلى التوبة. والتوبة تقود إلى الإلتضاع .

إنها تقود التائب إلى القلب المتخشع والمتواضع الذي لا يردله الله (مز ٥٠).

ولنأخذ داود كمثال في توبته واتضاعه وانسحاقه ودموعه، حيث يقول للرب في مز اميره "لصقت بالتراب نفسي، فأحني ككلمتك" (مز ١١٩: ٢٥) "ضللت مثل الخروف الضال، فاضلّب عبدك" (مز ١١٩: ١٧٦) "خير لى أنك أذللتنى، حتى أتعلم حقوقك" (مز ١١٩: ٧١). ويقول أيضاً "تعبت فى تنهدى. أعوم كل ليلة سريرى، ويدموى أبلّ فراشى" "ارحمنى يارب فإنى ضعيف" (مز ٦).

نقطة أخرى تتعلق بالإلتضاع . وهى الإعتراف وكشف الأفكار .

الإعتراف :

تواضع الإنسان يساعده على الاعتراف بخطاياہ، وكشف أفكاره وحروبه.

أما المنكبر فلا يكشف حروبه وضعفاته. ولذلك تبقى بدون علاج.

المتواضع فى اعترافه يذل نفسه. ويرى أن هذا نافع له حتى لا يرجع إلى الخطأ مرة أخرى. أو يهرب من ذلك بحجة أنه لا يريد أن يكون عثرة. أو يمنعه الخجل.

الشيطان يبعد الخجل عن الإنسان أثناء إرتكاب الخطية. ويضع أمامه الخجل فى وقت الاعتراف. أما المتواضع فينتصر على خجله باتضاعه .

ومعرفة المتواضع بضعفاته وسقطاته تقوده إلى نقطة أخرى وهى :

الشفقة على المخطئين :

إنه يشفق على الخطاة ويقابلهم بحنو، لأنه عارف بضعف البشرية وقوة حروب الشيطان. ويضع أمامه قول القديس بولس الرسول:
"أذكروا المقيدون، كأنتم مقيدون معهم. واذكروا المذلّين كأنتم أذلّ أيضاً في الجسد" (عب ١٣: ٣).

ويذكر قول الرسول أيضاً "ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضاً" (غل ٦: ١).
المتواضع إن رأى خاطئاً، يقول في نفسه "كلنا تحت الضعف". ويذكر أنه قد قيل عن إيليا النبي "إيليا كان إنساناً تحت الألام مثلنا" (يع ٥: ١٧)، مع أنه بصلاته أغلق السماء فلم تمطر، ثم صلي فأمطرت.



المتواضع يستر على الخطاة، لشعوره أنه محتاج إلى الستر مثلهم.

إنه يرحمهم في سقوطهم، حسب قول الآباء "من يرحم، باب الرحمة مفتوح أمامه" وكما يقول الرب "طوبى للرحماء، فإنهم يُرحمون" (مت ٥: ٧). ويقول في قلبه "أرحم غيري لكي يرحمني الله. وأنا مثلهم خاطئ محتاج إلى الرحمة. وما يزرعه الإنسان، إياه يحصد. والرب يقول "بالكيل الذي به تكيلون، يكال لكم" (مت ٧: ٢).



المتواضع في رحمته على الخطاة والضعفاء، لا يفرز المستحق من غير مستحق..
إذ يقول: لو كانت الرحمة للمستحقين فقط، فأنا غير مستحق.

والرب إلهنا الحنون، قد قيل عنه إنه "يشرق شمس على الأشرار والصالحين. ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت ٥: ٤٥). لذلك فالمتواضع لا يتشامخ على أحد، ولا يحتد ولا يدين. بل يعامل الكل بشفقة وحنان وحب. حتى الذين يؤذونه، يرحمهم أيضاً. ينظر إلى احتياجهم، وليس إلى انتقام نفسه لنفسه.

أما المتكبر فهو غير ذلك. قد ينظر إلى الخطاة في استمزاز وتعالٍ كما تنظر قمة الجبل إلى المستقع في أسفل الوادي. وكأن هذا المتكبر لم يخطئ ولن يخطئ!! لذلك فهو يدين الخطاة ويزدرى بهم. وقد يشهر بهم أيضاً .

الإيمان والبساطة :

★ المتواضع له بساطة القلب التى تقبل من الله كل شيء، دون مجادلة ودون شك.
مثل بساطة الأطفال الذين يتلقون قواعد الإيمان، فيقبلونها دون مجادلة. ولهذا قال الرب
"إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ١٨ : ٣).
على أن كثيراً من الناس كلما تنمو عقولهم، تقف عقولهم صد بساطة الإيمان، ولا
يقبلون إلا ما تستطيع عقولهم أن تستوعبه عن الله وعن حكمته ووصاياه! بينما عقولهم
محدودة، والله غير محدود. ولا يستطيع المحدود أن يستوعب غير المحدود.

✽ ✽ ✽

★ وهكذا فإن بعض الفلاسفة اتحدروا إلى الإلحاد، إذ أنهم فى كبرياء المعرفة اعتزوا
بعقولهم، ورفضوا الله الذى لا يروونه ولا يلمسونه.

يُروى عن أحد الفلاسفة أنه مرّ فى طريقه على أحد الحقول، ورأى فيه فلاحاً راکعاً
يصلّى. فوقف يتأمله فى تعجب. وقال فى نفسه "أنا مستعد أن أتنازل عن نصف فلسفتى،
إذ مُنحت بساطة هذا الفلاح الذى بكل ثقة يتكلم فى صلاته مع كائن لا يراه!!"

ونرى فى هذه القصة مثلاً عن تواضع البساطة التى تقود إلى الإيمان، إلى جوار
"المعرفة التى تنفخ" (١ كو ٨ : ١)، وتقود إلى الكبرياء الذى ينكر وجود الله! عجيب هذا
الأمر جداً: أن العقل وهو هبة من الله للإنسان، يستخدمه الإنسان لينكر الله الذى وهبه
إياه. وإذ بالفيلسوف الذى قد يكون أكبر الناس عقلاً، يتحول فى كبرياء العقل إلى الحهل
بالله. وصدق المرنم حينما قال فى المزمور "قال الجاهل فى قلبه ليس إله" (مر ١٤ : ١).

✽ ✽ ✽

★ فى كبرياء العقل أيضاً ينكر المعجزة .

ينكرها لأنه لم يفهمها، فيدعى أن المعجزة صد العقل!

و الواقع أن المعجزة ليست ضد العقل، إنما هى مستوى أعلى من العقل. يقبلها إيمان
المتواضع، ويرفضها العقل المتكبر . ولهذا فإن المتواضعين يطلبون من الله المعجزة وقد
يهبهم إياها إن كانت توافق مشيئته. بينما المتكبر لا يطلب المعجزة. وإن حدثت أمامه،
يحاول أن يرجعها إلى أسباب طبيعية، أو يقابلها بتعجب دون أن يرجعها إلى الله..

✽ ✽ ✽

★ ومن المعجزات التى ينكرها العقل المتكبر : الخلق والقيامة .

بينما كل المؤمنين بالله فى العالم أجمع يؤمنون بالخلق من العدم، ويؤمنون بالقيامة من الموت. ويصدقون - فى تضاع وبساطة - ما قالته كتب الوحي الإلهى عنهما. فى إنكار الخلق، قال الغنوسيون إن المادة أزلية، بينما لا يوجد أزلى إلا الله وحده...

وماذا أيضاً عن الحياة؟ لا يمكن أن تكون الحياة الأرضية أزلية. لأنه مرةً وقت كانت فيه الأرض قطعة ملتبة، حينما انفصلت عن المجموعة الشمسية. وكانت حرارتها لا تسمح بوجود حياة لبشر أو حيوان أو إنسان. فمن أين إذن أتت الحياة؟ لأشك من الله. وهنا يتفق العقل مع الإيمان. ولكن المتكبرين يرفضون قبول الله، لأن عقولهم ترفض أن تتنازل عن كبريائها، وتريد أن تستوعب فكرة وجود الله..!

وغالبية الفلاسفة ترفض عقولهم فكرة القيامة بسبب الكبرياء التى ترفض كل ما لا تفهمه! ألسنا بالنسبة إلى كثير من المخترعات الحديثة: نقبلها دون أن نفهمها؟! ولا يفهمها إلا المتخصصون فى العلم الخاص بها..!

✱ ✱ ✱

الرؤى أيضاً والظهورات الروحية، يراها المتواضعون ببساطة قلوبهم ...

يقبلونها، ويفرحون بها، بل وينتظرونها ويتهللون برؤيتها. بينما المتكبرون قد لا يرون لأن قلوبهم غير مستعدة، أو لأن الكبرياء تعوق الإيمان. أو لأنهم حتى إن رأوا نوراً إلهياً، يحاولون أن يرفضوا مصدره الإلهى، زاعمين تخمينات لا يسندها العقل ولا الواقع، مثل الليزر والأطباق الطائرة!! وتسألهم عن مصدر ذلك الليزر وتلك الأطباق الطائرة، وعلاقتها بتلك الرؤى، فلا يجيبون.. مجرد الرفض هو الأساس فى تكديرهم، ويخونهم العقل، وينقصهم الإيمان، بسبب الكبرياء ...

✱ ✱ ✱

★ نفس الوضع بالنسبة إلى الكتب المقدسة: يقبلها المتواضعون بإيمان وفرح. بينما

الكبرياء تفقد البعض إلى النقد الكتابى **Biblical Criticism**.

يجعلون عقولهم مشرفة على الكتاب المقدس. تحلله وتتفده، وتقبل فقط ما تقبله عقولهم، وترفض الباقي. وأيضاً تضع الكتاب المقدس خاضعاً لأهواء الناس، يرفضون منه ما لا يوافق أهواءهم. مثل المؤيدين للشواذ جنسياً أو الخائفين منهم، أو المشجعين للشذوذ الجنى Homosexuality، هؤلاء يرفضون آيات الكتاب التى تدين هذا الشذوذ.

ليس لهم التواضع الذى يقبل كلام الله ويطيعه. بل فى كبرياء لا يقبلون ما لا

يستطيعون طاعته بسبب شهوات قلوبهم! وهناك ما ترفضه عقولهم، لا لأنه ضد العقل.
وإنما لأن عقولهم ليست حرة، بل هي مقيدة بقيود أهوائهم وشهواتهم.

✱ ✱ ✱

★ والمتكبرون لهم أيضاً أسلوبهم فى ترجمة الكتاب المقدس وفى تفسيره .
فالبعض قد يترجم الكتاب ترجمة توافق معتقده، فيحرف فيه ويغير . مثلاً فعل شهود
يهوه فى ترجمتهم التى أسموها (ترجمة العالم الجديد للكتاب):

New World Translation of The Scripture

ففيها آيات كثيرة محرفة فى مدلولها وألفاظها لتثبت ما ينادون به من بدع وهرطقات.
ويستخدمون هذه الترجمة فى كتبهم ويضلون بها الناس.

والمتكبرون أيضاً يفسرون حسب هواهم وفهمهم ونوع عقلياتهم، ولو أدى الأمر أن
ينشئوا مذهباً جديداً. ولهذا السبب كثرت المذاهب فى بلاد الغرب، وتعددت طوائفهم.

أما المتواضعون فليسوا كذلك. إنهم يقبلون الكتاب كما هو، ولا يخلطونه بنوعية
عقولهم فى الترجمة أو التفسير . ويعتمدون فى معناه ومفهومه على ما وصل إليهم من
التقليد Tradition ومن أقوال الآباء وتفسيراتهم .

كل هذا يقودنا إلى نقطة أخرى هى علاقة التواضع بالتعليم .

التعليم :

★ ونود أن نطرق هذه النقطة من ناحيتين هما :

تعليم الإنسان لغيره، وقبول الإنسان للتعليم من غيره .

فالمتكبر يحب أن يأخذ صفة المعلم، ويرى فى نفسه الكفاءة أن يعلم غيره. أما
المتواضع فإنه يفضل باستمرار أن يتعلم، لكى ينال معرفة، أو لكى يزداد فى المعرفة.
وهو مستعد أن يتلقى العلم ويقبله، حتى لو أتاه فى صورة توبيخ، أو إن أتاه معن هو
أصغر منه. بل هو بنفسه يطلب العلم.

✱ ✱ ✱

وأمامنا قصص من سير القديسين فى قبول التعليم وفى طلبه:

★ القديس الأنبا أنطونيوس فى بدء رهبنته، كان يجلس على حافة القرية يتعلم الفضيلة
من النساءك هناك. وفى أحد الأيام أتت امرأة لكى تستحم فى النهر، وبدأت تخلع ملابسها

أمامه. فقال لها "يا امرأة، أما تستحين أن تتعري أمامي وأنا راهب؟" فقالت له في استهزاء "من قال إنك راهب؟ لو كنت راهباً، لدخلت إلى البرية الجوانية. لأن هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان". فاستمع الأنبا أنطونيوس إلى إجابتها في اتضاع شديد، واعتبر أنها رسالة من الله إليه على فمها. وفعلًا ترك المكان ودخل إلى البرية الجوانية.

✱ ✱ ✱

والقديس أنبا مقار الكبير، أخذ نصيحة من صبي راعى بقر .

والقديس الأنبا موسى الأسود، سأل زكريا الصبي كلمة منفعة. فلما قال له الصبي "أنت عمود البرية ومنارتها وتطلب مني؟" أجابه القديس "أنا واثق يا ابني، بالروح الذى فيك، أن عندك كلاماً ينقصنى معرفته".

والبابا ثاوفيلس ، الثالث والعشرون فى عداد البطاركة، كان يذهب أحياناً إلى البرية ليطلب كلمة منفعة من أحد المتوحدين مثل الأنبا أرسانيوس والأنبا بفنوتيوس. حتى حينما كان يعتذر البعض منهم عن لقائه، كان يمضى منتعلاً

✱ ✱ ✱

★ والمتكبر "حكيم فى عينى نفسه" يتباهى بمعرفته. لذلك لا يطلب المعرفة من غيره! وفى كبريائه، لا يجد أحداً أكثر منه معرفة حتى يطلب منه مزيداً من العلم. بعكس المتواضع الذى لا مانع عنده من أن يسأل. ولا مانع من أن يقول عن أحد الأمور "لا أعرف". وهو يستمع إلى كلام غيره ليستفيد. أما المتكبر فإنه يقاطع غيره إذا تكلم، لكى يثبت رأيه هو وكلمته. وهو كثير الجدل والنقاش.

✱ ✱ ✱

★ المتواضع يضع أمامه قول الرسول: لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتى، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم، لأننا فى أشياء كثيرة نخطئ جميعاً" (يع ٣: ١، ٢).

لذلك فهو يحترس جداً فى مسائل التعليم لئلا يخطئ. ولا مانع لديه من أن يستشير ليتأكد، أو يرجع إلى المصادر الرئيسية ليرى أن تعليمه موافق لعقيدة الكنيسة وأقوال الآباء، وبخاصة لو كان بصدد فكر جديد.

✱ ✱ ✱

أما المتكبر فبكل جرأة يقدم تعليمًا جديدًا. وقد يقع بذلك فى بدعة .

إنه يفرح بأن يطرق أموراً عويصة قد تكون فوق مستواه "ويرتئى فوق ما ينبغى" (رو ١٢: ١٣). ويبدى الرأى كأنه عقيدة جديدة محاولاً إثباتها! وإن عارضته الكنيسة

يتشبت بفكره، وتمنعه كبرياؤه من التنازل عما علم به. وهكذا يقع في الهرطقة. وقد حدث ذلك مع ترتليانوس، وأوريجانوس، وأريوس، ونسطور. وفي هذا المجال أتذكر أنني كتبت بضع مقالات بعنوان :

"البدعة كالكبرياء . كل قتلاها أقوياء" .

لذلك ما أجمل قول السيد الرب "أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال" (مت ١١ : ٢٥).

نعم، إن المتواضعين هم الذين ينالون حكمة من فوق، لأنهم يطلبونها. أما المتكبرون فتخفى عنهم الحكمة الإلهية، لأنهم مكتفون بحكمتهم البشرية. وهكذا رفض الله حكمة هذا العالم المغرور بحكمته (١كو ١ : ٢٠). وأصبحت كثير من فلسفات العالم تقود إلى الشك واللبلة .

علاقة التواضع بالصلاة

حاجته إلى الصلاة :

الإنسان المتواضع هو إنسان شاعر بضعفه وباحتياجه إلى قوة تسنده، لذلك فهو دائماً يصلي، طالباً هذه القوة.

إنه يتذكر دائماً قول الرب "بدوني لا تقدر أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥ : ٥). لذلك فهو دائماً يتطلع إلى الله، ويقول له: أنت معيني يارب، منك استمد المشورة والقوة التي بها أعمل عملاً. بل منك استمد حتى مجرد الرغبة في عمل الخير. أليس الرسول يقول "الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة" (في ٢ : ١٣). إذن إعمل في يارب لكي أريد...

وأحياناً يارب أريد "الإرادة حاضرة عندي. ولكن أن أفعل الحسني، فلست أجد. لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده. بل الشر الذي لست أريده، إياه أفعل!" (رو ٧ : ١٨، ١٩). حياتي الروحية هي بين يديك: أنت تعطيني الرغبة، وتعطيني القوة للعمل.

وأنت أيضاً تعطينى الاستمرارية فى عمل ما يرضيك، وعدم النكسة فى الرجوع إلى الوراء، لو فى الفتور...



أما المتكبر ، فهو واثق بنفسه وبقدرته، لذلك فهو لا يطلب. إنه نادراً ما يصلى، لأنه لا يشعر بالاحتياج إلى الصلاة!! إنه يعتمد على ذراعه البشرى وليس على ذراع الله! حتى إن كان خادماً فى الكنيسة، يندر أن يصلى لأجل ذلك لأنه "حكيم فى عينى نفسه". يعرف جيداً ما سوف يقول، ويفهم ما يريد أن يقوله. ناسياً قول الكتاب "توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد" "لا تكن حكيماً فى عينى نفسك" (أم ٣: ٥، ٧).

المتكبر يشعر بقوته الذاتية، فلا يصلى طالباً قوة. تكفيه قوته!

لهذا كتبت مرة فى مذكرتى الخاصة هذه العبارة :

قال الشيطان لله: "أترك لى الأقوياء، فإنى كفيل بهم. أما الضعفاء فإذا يشعرون بضعفهم، يطلبون القوة منك، فتعطيهم ، فلا أقدر عليهم".

نعم المتواضع الشاعر بضعفه، إما يحارب العدو بقوة الله التى يحصل عليها بالصلاة، وبها ينتصر. فيسبح الله ويقول "قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً" (مز ١١٨: ١٤).

طريقة الصلاة :

المتواضع أيضاً يتميز بالخشوع فى صلاته.. إنه يشعر بضآلته، وهو يكلم ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ ١٩: ١٦) خالق السموات والأرض.

وهكذا يقول له: من أنا يارب حتى أتحدث إليك؟! ومن أنا حتى تميل بإذنك وتسمعنى؟! إن كان إبراهيم أبو الآباء والأنبياء - حينما تحدث إليك - قال "عزمت أن أكرم المولى، وأنا تراب ورماد" (تك ١٨: ٢٧)، فماذا أقول أنا؟! أنا الذى لست شيئاً...

من أنا حتى أكلمك، أنت الذى يقف أمامك الملائكة ورؤساء الملائكة، للشاروبيم والسارافيم. "ألوف ألوف وقوف قدامك، وربوات ربوات يقدمون لك الخدمة". كيف أحشر نفسى وسط طغمات القديسين وأتحدث إليك؟!



المتواضع يبدأ صلاته بالسجود والركوع، ويتمجيد الله.

وإن وقف يصلى ، يرفع يديه إلى فوق، ويحفظ حواسه جيداً حتى لا تتشغل بشئ أثناء صلاته، مما يتعارض مع مهابته لله.

إن سفر الرؤيا يرينا صورة عجيبة من المهابة والخشوع. فيها يخر الأربعة والعشرون قسيساً قدام الجالس على العرش، ويسجدون للحى إلى أبد الأبد. ويطرحون أكابيلهم قائلين: أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة.. (رؤ: ١٠، ١١). فإن كان أولئك السماويون لابسو الأكابيل التى من ذهب يقطعون هكذا فى خشوعهم أمام الله، فكم خشوع يجب علينا نحن الأرضيين!!



حقاً، إنه تنازل من الله أن يقبلنا مصلين، وأن ينصب إلينا ونحن نصلى. لذلك فالمتواضع يقول فى صلاته: "تدخل طلبتى إلى حضرتك" (مز ١١٩)...

مجرد دخول صلواتنا إلى حضرة الله، أمر لا نستحقه. ففى اتضاع قلب، نطلب من الله أن يقبل صلواتنا، وأن يسمعنا.. لأنه ليست كل الصلوات مقبولة. كصلاة الفريسي التى كانت بكبرياء قلب، وكصلوات أولئك الذين قال لهم الرب فى سفر أشعياء النبى "حين تبسطنون أيديكم، أستر وجهى عنكم. وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ممتدة" (إش: ١: ١٥).

عَدَمُ الْإِسْتِحْقَاقِ :

والإنسان المتواضع، يذكر فى صلاته أنه غير مستحق، معترفاً بخطاياهم. كما فى صلاة الاستعداد التى يصليها الأب الكاهن قبل القداس:

ويقول فيها : أيها الرب العارف قلب كل أحد، القدوس المستريح فى قديسيه. الذى بلا خطية وحده، القادر على مغفرة الخطايا.. أنت يارب تعلم أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب. وليس لى وجه أن أقرب وأفتح فاه أمام مجدك الأقدس.

ثم يقول "هل ككثرة رأفاتك اغفر لى أنا الخاطئ. وامنحنى أن أجد نعمة فى هذه الساعة. وارسل لى قوة من العلاء، لى ابتدئ وأهيب وأكمل خدمتك المقدسة كما يرضيك".

ثم يقول أيضاً "أنت دعوتنا نحن عبيدك الأذلاء غير المستحقين لتكون خداماً لمذبحك المقدس.. أعط يارب أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطايائى وجهالات شعبك..".

إنها صلاة كلها اتضاع. لئبتنا نتأمل معها تواضع القديسين فى صلواتهم.

وهذا موضوع طويل، لست أرى هذا المقال يتسع له. بل ليتنا أيضاً نقأمل التواضع فى باقى صلوات القدس الإلهى، وفى صلوات الأجبىة... لنرى لىس فقط للعلاقة بىن التواضع والصلاة، بل بالحرى التواضع فى الصلاة...

التواضع فى الطلب

إذا وصل الإنسان إلى التواضع فى عمقه، لا يجد شيئاً يطلبه...

يقول للرب: ماذا أطلب، وأنت لم تدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك. أنت يارب ترعائى، فلا يعوزنى شئ... (مز ٢٣: ١). كل ما قد أعطيتنى حتى الآن هو كثير على. أعطيتنى فوق ما أطلب، وفوق ما استحق، بحيث أشعر بفيض منك، لا ينقصه شئ يزاد عليه.

ثم أتنى يارب لا أعرف ما هو الصالح لى لأطلبه..

أنت الذى تعرف ما أحتاج أنا إليه. تعرف ما ينفعنى إليه، وتعطينى إياه دون أن أطلب. جراءة منى أن أذكرك بما يحسن فى عينك أن تعمله لأجلى، حسب وفرة حنان أبوتك. كل ما أطلبه هو أن تغفر لى خطاياى، كذلك أطلب ملكوتك فى حياتى، كما سبق أن علمتنا "لا تهتموا بما للغد" "أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تتراد لكم" (مت ٦: ٣٤، ٣٣).

كذلك أنا يارب فى خجل أن أطلب، على الرغم مما أقرفته من خطايا!

استحى من الطلب، وقد خالفت الكثير من وصاياك، وقصرت فى واجباتى من نحوك. ولم تعد لى دالة أطلب بها شيئاً. الخجل يغطى وجهى، وتذكّر خطاياى يعقد لسانى عن الطلب. أنت تعرف يارب كل شئ.

وأيضاً كيف أطلب شيئاً جديداً، وأنا لم أشكر على عطايك السابقة؟!

أقول "باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى ليبارك أسمه القدوس. باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل احساناته" (مز ١٠٣: ١، ٢). أنت يارب قد أعطيتنى الكثير والكثير، ولم أشكر بعد على كل ما غرقتنى به من كرمك. فليتنى أحيا حياة الشكر لا الطلب. أقول مع المزمور فى المزمور: "بماذا أكافئ الرب عن كل ما أعطانيه؟! كأس الخلاص آخذ،

وياسم الرب أدعو.. قدام كل شعبه" (مز ١١٦).

✱ ✱ ✱

إن وضعنا أمامنا كل هذا، يستحيل على المتواضع أن يطلب العظام!

إن كان ما معه كثيراً عليه، فكيف يُعقل أن يطلب عظام الأمور؟! لهذا فإن المتواضع لا يطلب المواهب العالية. لا يطلب أن يصنع القوات والعجائب، ولا أن يتكلم بالسنة (١كو ١٢). يقول لنفسه: إن كنت لم أسلك في المستوى الطبيعي العادي الذي يليق بأولاد الله، فكيف أطلب من الله ما هو فوق الطبيعة؟! وهل أنا أستطيع أن أحتمل تلك المواهب، أم تقودني إلى الكبرياء والمجد الباطل، إن حدثت وثلث شيئاً منها..!

لذلك فالمتواضع "لا يرتنى فوق ما ينبغي أن يرتنى" (رو ١٢: ٣). ولا يطلب نصيباً من الإيمان غير ما قسمه الرب له... لاشك أن الشخص الذي في صلّاته يطلب العظام والمواهب الفائقة، هذا يوجد في قلبه شيء من حب العظمة، شعر بذلك أو لم يشعر!

يطلب الصلاة لأجله :

والمتواضع أيضاً - إذ يشعر بضعف صلواته، وقلة دلالته عند الله - فهو لا يكف

عن طلب صلوات الناس من أجله، وشفاعة القديسين..

إن القديس بولس العظيم، كان يقول "صلوا لأجلنا" (١تس ٥: ٢٥) (عب ١٣: ١٨). بل حتى في خدمته ومن جهة عظمته، نراه يقول في رسالته إلى أهل أفسس "مصلين بكل صلاة وطلب، كل وقت في الروح.. لأجل جميع القديسين ولأجلي، لكي يُعطى لي كلام عند الافتتاح فمي، لأعلم جهراً بسرّ الإنجيل" (أف ٦: ١٨، ١٩). لأن كان القديس بولس الذي اختطف إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٤).. يطلب في تواضعه الصلاة من أجله، فماذا نفعل نحن الضعفاء؟! ألسنا نسند ضعفنا بطلب الصلاة لأجلنا، من أخوتنا الأحياء معنا على الأرض، ومن الذين انتقلوا.. بغير غرور أن صلواتنا فيها الكفاية!

✱ ✱ ✱

نقطة أخيرة أقولها في خجل: إن المتكبر قد يدعى أنه ليس لديه وقت للصلاة!

كما لو كان غير محتاج إلى الصلاة! أو أنه في صلّاته يعطى وقتاً لله!! أما المتواضع فيصلي لأنه محتاج إلى الله في كل شيء، وفي كل وقت. ويرى الصلاة عوناً له، وأيضاً بركة له، إذ يتكلم مع الله، ويقف في حضرته...

التواضع واحترام الآخرين

الإنسان المتواضع يحترم غيره، كبيراً كان أم صغيراً. أما المتكبر فإنه يتعالى على من هو أصغر منه، ولا يحترم الكبار سواء فى الكلام أو التصرف.

مثال المسيح

إن ربنا يسوع المسيح، رب المجد، فى كل عظمته وفى لاهوته غير المحدود، يقدم لنا مثالاً فى ذهابه ليعتمد من يوحنا. ولما قال له يوحنا "أنا المحتاج أن أعتمد منك"، نراه يجيبه بعبارة كلها اتضاع "اسمح الآن" (مت ٣: ١٤، ١٥).

ما أعجب هذا السيد، يقول لأحد عبده: اسمح الآن!!

✱ ✱ ✱

وفى احترام الآخرين، نراه خاضعاً للناموس فى كل شئ: عندما شفى الرجل الأبرص، قال له: "إذهب أر نفسك للكهنة، وقدم القرбан الذى أمر به موسى شهادة لهم" (مت ٨: ٤). عجيب أن رئيس الكهنة الأعظم يقول له "اذهب أر نفسك للكهنة!!". إنه يعطى لكل ذى حق حقه.. كذلك عندما دعا شاول الطرسوسى، أرسله إلى حنايا (أع ٩). ولما قبل إليه كرنيليوس الأممى، أرسله إلى بطرس الرسول.

✱ ✱ ✱

بل الأعجب من هذا كله، أنه حينما جاء يهوذا الخائن ليسلمه بقبلة، قال له "يا صاحب لماذا جئت؟" (مت ٢٦: ٥٠).

يقول للخائن "يا صاحب"، لأنه لا يريد أن يخدش شعوره!!

نفس الوضع فى تعامله مع المرأة السامرية: لم يوبخها على خطاياها، ولم يحدثها عن التوبة والندم، بل كلمها إيجابياً عن الماء الحى، وعن السجود لله بالروح والحق. ولما بدأ يمس حياتها الخاصة، قال لها "كان لك خمسة أزواج" (يو٤: ١٨). وفى الواقع لم يكونوا أزواجاً لها، ولكنه تحاشى الوصف الجارح لعلاقتها بهم، حرصاً على شعورها. وحتى هذه العبارة بدأها بقوله لها "حسناً قلتُ" وختمها بقوله "هذا قلتُ بالصدق" .

بنفس هذا الأسلوب الرقيق، لم يخدش شعور المرأة "المضبوطة فى ذات الفعل" بل أنقذها من الذين يطلبون رجماً ولما مشوا، قال لها "ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضاً" (يو٨: ٢-١١).



وفى احترامه للأئمة، كان خاضعاً لأمه مريم ونيوسف (لو٢: ٥١).

ولما طلبت منه إجراء معجزة فى عرس قانا الجليل - مع أن ساعته لم تكن قد أتت بعد - (يو٢: ٤)، استجاب لطلبتها، ونفذ لها ما أرادت.

وفى احترامه لتلاميذه، ولو أنى لا أريد لاهوتياً أن استخدم هنا كلمة احترام، ولكن عذرى أن اللغة عاجزة عن التعبير، نراه يقول لهم:

"لا أعود أسميكم عبيداً.. لكنى قد سميتكم أعباءً" (يو١٥: ١٥).

بل أكثر من هذا سماهم أخوة لها. وقال للمجدلية بعد القيامة "اذهبي إلى أخوتى وقولى لهم..". (يو٢٠: ١٧). إنه لم يستح أن يدعوهم أخوة (عب٢: ١١) بل أكثر من هذا أيضاً، قال عنهم للأب "المجد الذى أعطيتنى، قد أعطيتهم" (يو١٧: ٢٢). وأعطاهم احتراماً فى نظر الناس بالمواعظ التى منحهم إياها..

إحترام الكبار :

الإنسان المتواضع يتكلم عن كل شخص باحترام، ويتصف باللطف فى حديثه مع كل أحد، وبخاصة مع كبار السن. كما يقول القديس بولس الرسول لتيموثاوس الأسقف:

لا تتهر شيخاً، بل عظه كأب، والأحداث كأخوة، والعجائز كأمهات" (١تى٥: ١).

مع أن القديس تيموثاوس كان أسقفاً، وكل هؤلاء يعتبرون أبناء له من جهة كهنوتية، ولكنه يجب أن يعاملهم باحترام معين كأباء وأمهات وأخوة. والقديس بولس الرسول نفسه

اتبع نفس هذا الأسلوب، فقال فى رسالته إلى روميه "سلموا على روقس المختار فى الرب، وعلى أمه أمى" (رو ١٦: ١٣).

ليس فقط فى احترام كبار السن، كآباء وأمهات، بل حتى فى التعامل مع الصغار "الأحداث كأخوة، والحداث كأخوات (١تى ٥: ١).



واحترام الشيوخ والآباء، نجده واضحاً جداً فى "بستان الرهبان".

وكذلك فى جميع سير القديسين: فالقديس بولس البسيط حينما كان يتكلم عن معلمه الأنبا أنطونيوس، كان يقول "أبى القديس الأنبا أنطونيوس". ولما أحضروا إليه شخصاً عليه شيطان ليخرجه منه، قال للشيطان: "أبى القديس الأنبا أنطونيوس يقول لك أخرج منه. بصلاة أبى القديس أخرج منه". تعبير جميل..



يذكرنا هذا بقصة عن القديس يوحنا القصير حينما أرسله أبوه الروحى القديس الأنبا بموا ليحضر له ضبعة من مكان معين. فذهب إلى هناك ولم يخف. ولما رأى للضبعة، جرى وراءها، وقال لها: أبى القديس الأنبا بموا يقول لك تعالى...

وما أكثر ما كان أحد الرهبان يقع فى ضيقة، فيقول للرب "بصلاة أبى، يارب ثجنى".. حقاً إن الاستشفاع بالقديسين فيه لون من الاتضاع..



إن أول وصية فى العلاقات البشرية هى: أكرم أباك وأمك (خر ٢٠: ١٢).

سواء الروحانيين منهم أو الجسديين. ومن مظاهر هذا الإكرام، الاحترام.

قال القديس الأنبا بيجيمى السائح: فى بدء رهنبتى، قضيت سنوات مع آباء شيوخ أبرار، لم أرفع عينى لأرى وجه واحد منهم.

كان الرهبان عندهم هذا اللون من الحياء، الذى يدل على أدب فى التعامل فما كان أحدهم يملأ عينيه من وجه إنسان، كما ينصح الشيخ الروحانى.



ومن احترام الكبار، ذلك المبدأ الرهبانى الذى يقول:

إذا جلست وسط الشيوخ فكن صامتاً. وإن سألك عن شئ، فقل لا أعرف.

يقصد: لا أعرف المعرفة التى أستطيع أن أتكلم بها أمام الكبار. فإن جلسنا مع الكبار،

فإنما لكي نتعلم، وليس أن نتكلم.

ونرى أمثلة لهذا الأمر: اليهو في قصة أيوب الصديق:

أصحاب أيوب الصديق تبادلوا الكلام معه في ٢٨ إصحاحاً من سفر أيوب. وكان معهم رابع هو اليهو، ظل صامتاً طوال ذلك الوقت كله. ولما حانت الفرصة له أن يتكلم، قال: "أنا صغير في الأيام، وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفت وخشيت أن أهدى لكم رأيي. قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة" (أي ٣٢: ٦، ٧).

حقاً، كان الصغير لا يتكلم في حضرة الكبار، إنما ينصت ويتعلم. يأخذ من الكبار خبرة الأيام، وحكمة التجارب التي مرت عليهم.. ويحترم سنهم..

* * *

وكان هذا الأمر في الرتب الكهنوتية: في وجود أحد الأباء الأساقفة، لا يستطيع كاهن أو شماس أن يلبس القوتية لخدمة المذبح، إن لم يقدمها للأب الأسقف ليرسمها له.. وإن احتاج أسقف إلى تحليل، وقال لأحد الأباء القسوس "حاللي"، يرد عليه قائلاً "من فك الجل يا سيدنا"..

من احترام الكهنوت الذي تعلمه لنا الكنيسة، أن نقول للأب الكاهن يا أبانا، ونقول للأب الأسقف يا سيدنا. ونقبل يد كل منهما. وقديماً، وفي الريف، كان الشخص يقبل يد أبيه، ويد أمه، ويد جده، ويطلب بركتهم. إنه لون من احترام الكبار.

* * *

في الانضاع، يوجد احترام الأبوة، واحترام الكبار، واحترام الكهنوت.

يقول الكتاب "الخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام، (رو ١٣: ٧). إن داود النبي كان يحترم شاول الملك احتراماً فائقاً، على الرغم من أن شاول قد فارقه روح الرب، وبعثته روح ردي من قبل الرب" (١صم ١٦: ٤). وكان داود يقول "حاشالي أن أمد يدي إلى مسيح الرب. إنه مسيح الرب هو" (١صم ٢٤: ٦). وكان يخاطبه بعبارة أبى، وسيدى (١صم ٢٤: ١٠، ١١).

والقوانين الكنسية تقول: إن كان من يقول لأخيه يا أحمق يستحق نار جهنم (مت ٥:

٢٢) لكم بالأكثر من يقول كلمة سوء على أسقفه، الذي يوضع يده ينال الروح القدس.

ويعطينا الكتاب المقدس مثلاً عن احترام (مسيح الرب):

★ وفي احترام الكبار تذكر المحسوسين من الرب كما فعلت أليجايل .

كان داود قد قرر قتل زوجها نابال الكرملى بسبب بخله وتعبيره لداود. فأخذت أليجايل هدية من الأطعمة التى كان يحتاجها داود ورجاله وحملتها إليه "ولما رأت أليجايل داود، أسرعت ونزلت عن الحمار، وسقطت أمام داود على وجهها، وسجدت إلى الأرض. وخاطبت داود بعبارة سيدى، وعن نفسها بكلمة أمتك. وقدمت له الهدية قائلة له "والآن هذه البركة التى أتت بها جاريتك إلى سيدى، فلتعطى للفقراء الساكنين وراء سيدى" (اصم ٢٥: ٢٣-٢٧).

ولما كانت فى موقف تشعره فيه بخطأ إتيانه للدماء وانتقام يده لنفسه، مزجت ذلك بالمديح والاحترام اللائقين، وقالت له: "إن سيدى يحارب حروب الرب، ولم يوجد فيك شر كل أيامك.. ويكون عندما يصنع الرب لسيدى حسب كل ما تكلم به من الخير من أجلك، ويقيمك رئيساً على إسرائيل، أنه لا تكون لك هذه مصدمة ومعثرة قلب لسيدى، أنك قد سفتك دماً عفواً، أو أن سيدى قد انتقم لنفسه. وإذا أحسن الرب إلى سيدى، فاذكر أمتك" (اصم ٢٥: ٢٨-٣١).

وأحدث هذا الحديث المتضع أثره فى نفس داود، وأزال غضبه، فقال لها "مبارك عقلك ومباركة أنت، ولأنك منعتنى اليوم عن إتيان الدماء، وانتقام يدي لنفسى" وصرفها بسلام.



ويظهر احترامنا للكبار أيضاً فى حديثنا عن الرسل والقديسين .

فلا نقول: كما يقول بولس أو بطرس أو أثناسيوس. إنما نقول القديس بولس الرسول، والقديس بطرس الرسول، والقديس أثناسيوس الرسولى.

بل قد يتناول البعض، ويتحدث عن الرب "يسوع" باسمه المجرد!! بينما نحن فى قراءة الانجيل نقول "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكتنا كلنا، ربنا يسوع المسيح الذى له المجد الدائم إلى الأبد أمين.

ونقول القديسين مارجرس، ومارمينا. وكلمة (مار) معناها سيد. ونقول سيدى الملك جوارجيوس. وسيدتنا وملكتنا كلنا العذراء الطاهرة مريم...



ليتنا نتعود الاحترام فى حديثنا عن الآباء القديسين، متذكرين قول الرب "من يكرمكم يكرمنى". ولا نتعود نطق اسمائهم مجردة، كما يفعل علماء الغرب فى حديثهم عن الآباء،

يقولون جهاد أثاسيوس، وتاملات أوغسطينوس، ورسائل أنطونيوس، وحرومات كيرلس.. كل ذلك بدون ألقاب!!



★ ومن جهة احترام الكبار، احترام الأنبياء:

★ إن أليشع النبي كان يحترم مطعمه إيليا النبي. ولما رآه صاعداً في مركبة نارية إلى السماء، قال "يا أبى، يا أبى، يا مركبة إسرائيل وفرسانها" (٢مل ٢: ١٢).

★ نذكر حديث قائد الخمسين الثالث مع إيليا النبي، بعد أن أمر إيليا، ففزلت نار من السماء وأكلت قائد الخمسين الأول وقائد الخمسين الثانى، لأنهما تكلمتا مع النبي العظيم بكبرياء، بعبارة: يا رجل الله، الملك يقول لك انزل (٢مل ١: ٩، ١١).

★ أما رئيس الخمسين الثالث، فإنه - فى تواضع - صعد إلى حيث كان إيليا، وجثا على ركبتيه أمام إيليا، وتضرع إليه وقال له: يا رجل الله، لتكرم نفسى وأنفس عبيدك هؤلاء الخمسين فى عينيك. هوذا قد نزلت نار من السماء وأكلت رئيسى الخمسينين الأولين وخمسينيهما. والآن لتكرم نفسى فى عينيك" (٢مل ٥: ١٣، ١٤).

وأمر ملاك الرب إيليا أن ينزل معه. ولم يمت رئيس الخمسين الثالث لإتضاعه.

والشخص المتواضع كما يحترم الله وقديسيه، يحترم كل ما يتعلق بالله.

يحترم بيت الله، وهيكل الله، ومذبح الله. فيدخل بيت الله فى مخافة. ويقول للرب كما فى المزمور "أما أنا فبكثرة رحمته أدخل إلى بيته، واسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" (مز ٥). ويحترم الكتاب المقدس ويقبله، ولا يضع شيئاً فوقه فى مكتبته. ويحترم اسم الله ولا ينطق به باطلاً (خر ٢٠: ٧). ويحترم رجال الله وخدامه.



إننا نحترم الرهبان وندعوهم آباء، حتى ولو لم يكونوا كهنة.

ونحترم الراهبات وندعوهم أمهات. ونلتبس بركة هؤلاء وأولئك. ونحترم مواضعهم المقدسة وأديرتهم. ونحترم رفاتهم ونضمخها بالأطياب.

ومن احترامنا لهم، نذكرهم فى الذكصولوجيات والألحان، ونطلب صلواتهم وشفاعتهم فينا. ونقيم لهم التذكارات والأعياد.



والمتواضع يتطور من احترام الآباء والقديسين إلى احترام كل الكبار.

فيحترم التلميذ مدرسه واستاذه، ويحترم الموظف رئيسه، ويحترم الجميع قوانين الدولة وانظمتها. ويذكرون قول الكتاب "اخفضوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب" (١بط٢: ١٣). "اكرموا الجميع.. اكرموا الملك" (١بط٢: ١٧). "أيها الأحداث اخفضوا للقيسوخ" (١بط٥: ٥).



*** ومن جهة احترام الصادة :**

نذكر قول الملاك لهاجر وهي هاربة من سيدتها 'يا هاجر جارية ساراي، ارجعي إلى مولاتك، واخفضي تحت يديها" (تك١٦: ٨، ٩).

إحترام الأبوة والأمومة

*** أول احترام نقدمه هو احترام الأبوة والأمومة بكل تفاصيلها ...**
والأبوة تشمل أبوة الله لنا، وأيضاً أبوة البشر لنا بما في ذلك الأبوة الجسدية والروحية، ومن هم في مركز الأب. وكذلك أبوة السن.

إحترام أبوة الله :

الله - تبارك اسمه - ندعوه "أبنا الذي في السموات" في كل صلواتنا اليومية (مت٦: ٩). وفي العهد القديم قال له اشعيا النبي "أنت يا رب أبونا.." (أش٦٤: ٨). واحترامنا له هو لون من الخشوع أمام عزته الإلهية. وهو - بالنسبة إلينا - لا يدخل في باب التواضع، بل في مجال العبادة. ويعتبر التواضع هو من جانب الله الذي يقبل صلواتنا، والذي من تواضعه شرانا بأن ندعى أبناء له (١يو٣: ١).



*** واحترامنا لله يدعونا إلى احترام كتابه المقدس .**

هذا الذي قبل قراءته في الكنيسة، يقول الأب الكاهن للرب "أجعلنا مستحقين أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة بطبائبات قدوسيك". ويصيح الشماس "قفوا بخوف من الله لسماع الإنجيل المقدس"...

★ واحترامنا للكتاب المقدس يدعونا إلى الإيمان به كله، مع للعمل به.

لا نكون مثل الذين يقبلون أسفاراً من الكتاب ويرفضون أسفاراً أخرى ... أو الذين يقيمون أنفسهم رقباء على الكتاب لا يطيعون منه إلا ما يوافق هواهم! ولا يقابلون كلمات الرسل بنفس الاحترام اللائق بمن ينطق الروح على ألسنتهم!

في إحدى المرات زارني في الدير أحد رؤساء الكنائس الكبرى. وفي حوارنا معاً حول مشكلة قبول كهنوت المرأة، سردت عليه آيات من رسائل القديس بولس الرسول. فقال لي "ولكن هذا ما يقوله بولس" .. فقلت له وهل ما يقوله القديس بولس موحى به من الله أم لا؟ فصمت لحظة ثم قال "نعم موحى به". فقلت إذن لماذا لا نقبله؟ لأن كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم.. (٢تي ٣: ١٦).

★ واحترام الكتاب المقدس يعني أيضاً عدم ترجمته ترجمة محرفة .

كما يفعل شهود يهوه لكي يثبتوا ما ينادون به من عقائد لا تقبلها الغالبية العظمى من المسيحيين... أو تفسير الكتاب حسب الهوى الخاص وضد الحق الإلهي.

في كل هذه الأمثلة يختفى الكتاب ويختفى الوحي، وتظهر الذات البشرية .



★ واحترامنا لله يدعونا أن نطيع وصاياه، وأن نعيش في مخافة الله.

نهاية هذا الذي يقف أمامه الملائكة ورؤساء الملائكة في هيئة ووقار .

لهاب أيضاً هيكله المقدس، فلا ندخله بأحذيتنا حسب وصية الله لعبده موسى (خر ٣: ٥). بل نسجد أمام هذا الهيكل، ونقبل المذبح المقدس في خشوع وتوقير. كذلك نصلي إلى الله في مهابة، ولا نفعل كالذين يصلون على موائدهم وهم جلوس!

إحترام الأبوة الجسدية ٢

★ احترام الأبوة الجسدية (والأمومة أيضاً) تشمل وصية للرب القائلة "أكرم أباك

وأُمك" (خر ٢٠: ١٢)، وتشمل الخضوع لتعليم الآباء وتأديبهم (عب ١٢: ٧، ٨). انظروا كيف كان أبونا اسحق خاضعاً لأبيه، وقد وضعه على المذبح وربطه ووضعته على المذبح لكي يقدمه محرقة للرب (تك ٢٢) .. واحترام الأبوة الجسدية يشمل أيضاً كل الأقارب الذين هم في مركز الأب أيضاً، كالعم والخال والجد...

وتشمل أيضاً احترام الكبار فى السن الذين هم فى مستوى الأب كقول الكتاب: "أمام الأسبيب تقوم، وتحترم وجه الشيخ" (لا ١٩٧: ٣٣).

احترام الأبوة الروحية :

★ أما الأبوة للروحية فتشمل احترام رجال الكهنوت والمرشدين الروحيين .

نحترم الكهنة فى الكنيسة والآباء الأساقفة والمطارنة لأنهم آباء فى الكنيسة، ولأجل كهنوتهم. ولأنهم وكلاء لله (تى ١: ٧) ووكلاء سرائر الله (١ كو ٤: ١) ولأجل مركزهم، كما ورد فى سفر ملاخى أن الكاهن رسول رب الجنود، ومن فمه يطلبون الشريعة، ونحترمهم أيضاً لأجل سنهم، وخدمتهم للأسرار الإلهية، وأنتمان الرب لهم على خدمة التعليم (١تى ٥: ١٧). وكما يقول الكتاب "أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً..". (عب ١٣: ١٧).

إن احترام رجال الكهنوت يدخل ضمن احترام الرب نفسه، لأنهم رجال الله، وهم سفراؤه ووكلاؤه. وعندهم قال "من يكرمكم يكرمى".



أما عدم احترام الكهنوت والتطاول على كل رتبة، فيدل على كبرياء فى القلب، وعلى أن من ينتقد هؤلاء، إنما "يرتضى فوق ما ينبغى أن يرتضى" (رو ١٢: ٣). فقد يحدث أن فتى صغيراً، أو خادماً مبتدئاً، قد قرأ كتاباً أو كتابين، وربما لم يستطع أن يضمن مفهومها كما ينبغى، يبدأ فى انتقاد بعض الآباء الكهنة، أو الآباء الأساقفة، كأنه يفهم ما لا يفهمون. ويقول هذا خطأ وهذا لا يجوز!! وليس فى فكره فقط يسرى هذا المفهوم، بل يشهر بهم علناً أمام الناس!!



★ يظهر احترام الكهنوت أيضاً بعضهم لبعض .

كل رتبة تحترم الرتب التى تعلوها، أو التى هى أكبر منها سناً، أو أقدم منها فى السيامة. ومنضرب مثلاً لاحترام أحد الآباء الأساقفة للبابا البطريرك.

حدث فى أيام محمد على الكبير حاكم مصر، أنه كان على ابنته (زهرة) شيطان يصصرها ويتعبها. ونصحه البعض أن يحولها على البابا البطريرك (وكان وقتذاك الأنبا بطرس الجاولى) لكى يصلى عليها ويشفيها. فلما أوصولها إليه، قال فى اتضاع ليست لى

هذه الموهبة. وطلب من الأنبا صرابامون أبو طرحة أسقف المنوفية أن يصلى لها إذ له هذه الموهبة. وحاول القديس الأنبا صرابامون أن يعتقى من هذا الأمر فلم يستطع. فقال لقداسة البطريرك "اعطنى صليبك يا سيدنا لكى أرشمها به وأنا أصلى، لكى تشفى". .. فعل ذلك حتى فى شفائها ينسب ذلك إلى صليب البابا، وليس إلى صلاته هو .. ما أعجب ذلك الاتضاع!



★ واحترام الكهنوت يعنى أيضاً احترام المجامع المقدسة، وما أصدرته من قرارات. تلك المجامع - المسكونية والأقليمية والمكانية التى كان يجتمع فيها مجموعة من الآباء الأساقفة، ويصدرون قوانين تلتزم بها الكنيسة الجامعة. وبذلك القوانين أمكن تنظيم الكنيسة من الداخل. بل أمكن أيضاً وضع قواعد الإيمان السليم، وإرساء التقاليد الثابتة التى سارت عليها الكنيسة من جيل إلى جيل..

إحترام الأمومة :

★ أما عن احترام الأمومة فتشمل الأم بالجسد، والقديسة العذراء، والكنيسة. يحترم الإنسان أمه التى ولدته وأرضعته وربته، وكانت أشبينته فى المعمودية. ويحترم القديسة للعذراء مريم، فهى أمنا وملكتنا كلها .

هذه التى استقبلتها القديسة الیصابات (الأكبر سنا)، بكل اتضاع وتوقير، قائلة "من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلى" (لو ١: ٤٣). وهى التى كانت أمأ روحية للرسول. وعنها قال الرب وهو على الصليب لتلميذه القديس يوحنا الرسول "هذه أمك" (يو ١٩: ٢٧). هذه التى جميع الأجيال تطوبها (لو ١: ٤٨). وهى التى تطوبها الكنيسة قائلة لها فى تسابيحها "علوت يا مريم فوق الشاروبيم، وسموت يا مريم فوق السرافيم".



★ وفى احترام الأمومة، نحترم الكنيسة التى ولدتنا فى جرن المعمودية . ولدتنا فى الإيمان وفى التعليم والتوبة، وفى الأسرار المقدسة. التى لولاها ما كنا مسيحيين. وإنما صرنا هكذا بكرازتها وجهادها.

إننا نحترم الكنيسة ونحترم عقيدتها وإيمانها، ونحترم مجامعها وآباءها، وقديسيها وتعاليمهم، ونحترم تاريخها وطقوسها، ونقف بكل اتضاع أمام تقاليدها، وندافع عنها،

ونفخر بالانتماء إليها. ونذكر جهاد الكنيسة حتى حفظت لنا الإيمان سليماً، وقدمت في سبيل ذلك ألقاً من الشهداء..



ونقف بكل اتضاع أمام تعليم آبائنا .

نعتبرهم مراجع لنا في الإيمان وفي التفسير، وفي التأملات الروحية. ولا نعتبر كتاباتهم مجرد آراء كما تفعل بعض الطوائف.

وفي احترامنا لأباء الكنيسة نحترم أبطال الإيمان معلمي البيعة، ونحترم الشهداء الذين سفكوا دماءهم لأجل الإيمان، ونحترم الرعاة وآباء البرية. ونشفع بكل هؤلاء في قداساتنا وصلواتنا، ونقيم لهم الأعياد، ونضع الشموع أمام أيقوناتهم، ونقدس رفاتهم.

إنه ميزة في اتضاع الكنيسة الأرثوذكسية في توقيرها لأبائنا .

* وفي احترام الزوج، نذكر أن سارة كانت تدعو زوجها إبراهيم: سيدي (تك ١٨: ١٢). كذلك قول الكتاب "ليها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة" (أف ٥: ٢٢، ٢٣).

احترام الصغار :

إن احترام الكبار واجب، تدرّب للكثيرون عليه .

أما احترام الكبير للصغير، فهو تواضع من الكبير، ونيل منه .

إن الله - تبارك اسمه - هو المثل الأعلى في التواضع، ولقوتنا في كل تصرف. وفي هذه النقطة بلذات، لا نقول إنه يحترم عبده، مخلوقاته.. فربما هذا التعبير غير مقبول لاهوتياً. وإنما نقول: إنه في معاملته لهم، يحتفظ لهم بكرامتهم، ويرفع من قدرهم، ويعطيهم احتراماً في نظر الآخرين. ولا يدعوهم عبيداً بل أصدقاء" (يو ١٥: ١٥).

ولا يتخطى وكلاءه، كما قال للأبرص بعد أن شفاه "اذهب أر نفسك للكاهن" (مت ٨: ٤).



وعجيب أن الله - في بعض الأحيان - يعرض قراراته على بعض عبده أو وكلاءه، قبل تنفيذها. ويأخذ رأيهم وينفذه!

* مثال ذلك قبل أن يحرق سادوم، قال "هل أخفى عن عبيدي إبراهيم ما أنا فاعله؟"

(تك ١٨: ١٧). وعرض الأمر عليه. ورضى أن يقول له إبراهيم: أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً! أتهلك البار مع الأثيم؟ فيكون البار كالأثيم! حاشاً (تك ١٨: ٢٥). وفي اتضاع شديد، يدخل الرب في حوار مع إبراهيم، ويقبل فكره نقطة نقطة، إلى أن يصل إلى المستوى الذي إن وُجد فيه عشرة أبرار في المدينة، لا يهلك المدينة من أجل العشرة (تك ١٨: ٣٢).

★ مثال آخر إته لما عبد بنو إسرائيل العجل الذهبي، وأراد الرب افتاءهم، نراه يكلم موسى أولاً، ويقول له "أتركني لأقضي هذا الشعب..". (خر ٣٢: ١٠). كما لو كان موسى ممسكاً به. فلا يفعل، إن لم يتركه موسى يفعل!!

ورفض موسى أن يترك الرب يفنى الشعب، وشرح وجهة نظره. وقال له في جراءة أو في دالة "إرجع يارب عن حمو غضبك، واندم على الشر" (خر ٣٢: ١٢). والعجيب هنا في تواضع الرب أنه استجاب لموسى فيما طلبه. وهكذا يقول الكتاب "رجع الرب عن حمو غضبه، وندم على الشر" (خر ٣٢: ١٤).

★ الله أيضاً في إكرامه لداود النبي - حتى بعد موته - لما أخطأ إليه سليمان بن داود خطية كبيرة، ولوقع عليه عقوبة، لم يشأ أن تكون تلك العقوبة في أيام سليمان، وإنما بعده، قائلاً "من أجل داود عبدي..". (١ مل ١١: ١٢، ١٣).



★ ونجد في قصة الابن الضال (لوقا ١٥) مثلاً آخر من تواضع الأب السماوي:

أتاه الابن نادماً ومنسحقاً، يقول له "أخطأت إلى السموات وقدامك، ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً..". ولكن الأب في حنوه، وحرصه على أن يحفظ كرامة ابنه، منعه في حنوه أن يكمل اتساقه بعبارة "اجعلني كأحد أجرائك" التي كان قد عزم أن يقولها (لوقا ١٥: ١٩، ٢١). بل بالأكثر أكرمه ورفع شأنه جداً في توبته، وأمر أن يذبحوا له العجل المسمن، وأن يضعوا خاتماً في يده..

وأيضاً الابن الكبير لما رفض أن يحضر الوليمة التي صنعت لأخيه، لم يهمله الأب، بل خرج إليه ليصالحه. ولما استط هذا الابن في الكلام وتطاول على أبيه قائلاً "ها أنا أخدمك سنين هذا عندها، ولم تعطني قط جدياً لأفرح مع أصدقائي. ولما جاء ابنك هذا الذي صرف معيشتك على الزواني، ذهبت له العجل المسمن!..". لم يرد الأب على تطاول ابنه وغضبه، بل قال له في اتضاع: "يا ابني، أنت معي، وكل مالي فهو لك. ولكن كان

يلبغى أن نفرح ونسرّ لأن أخاك هذا كان ضالاً فوجد، وكان ميتاً فعاش" (لو ١٥: ٢٨-٣٢).

✱ ✱ ✱

✱ نلمح اتضاع الكبار أيضاً في سير الآباء وأقوالهم :

نرى ذلك في اتضاع القديس أوغسطينوس في صلاته لأجل شعبه.

إذ يقول "أطلب إليك يارب من أجل سادتي عبيدك". فيعتبرهم سادته!

ويقول: "أنا بالنسبة إليهم راع لهم. ولكنني أمامك - معهم - خروف في قطيعك:

ترعاني وترعاهم".. وهكذا - على هذا النمط - فإن بعض الآباء الأساقفة في اتضاعهم، يقول كل منهم عن نفسه "خادم إبيارشية (كذا)..".

✱ ويقول الآباء في بستان الرهبان: "ليكن كل إنسان كبيراً في عينيك" "أطلب بركة كل

أحد" "اجعل كل أحد يباركك".

✱ ✱ ✱

✱ ومن أمثلة للكبار الذين يرفعون من قدر أبنائهم: القديس بولس الرسول :

✱ ويظهر هذا في رسالته إلى فليمون من أجل عبده أنسيموس .

فعلى الرغم من أن فليمون كان أحد تلاميذه، إلا أنه كان يكلمه برجاء وباحترام. ومع

أن أنسيموس كان عبداً، إلا أن بولس الرسول يذكره بتوقير شديد، فيقول لفليمون:

"أطلب إليك لأجل ابني أنسيموس الذي ولدته في قيودي.. الذي هو أحشائي. الذي كنت

أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضاً عنك في قيود الانجيل. ولكن بدون رأيك لم أرد

أن أفعل شيئاً" "لا كعبد في ما بعد، بل أفضل من عبد: أخاً محبوباً، ولاسيما إلى". ثم يقول

لفليمون أيضاً "إن كنت تحسبني شريكاً، فأقبله نظيرى. ثم إن كان ظلمك بشئ، أو لك عليه

دين، فأحسب ذلك على.. أنا أوفى.. أرح أحشائي في الرب" (فل ١٠-٢٠).

إنه أدب عجيب في التخاطب يصدر من رسول قديس ومعلم كبير لتلميذه: يقول له "إن

كنت تحسبني شريكاً" ويرجوه قائلاً "ثم أرد أن أفعل شيئاً بدون رأيك". ويقول عن العبد

"أقبله نظيرى" "لا كعبد بل أخاً محبوباً" ويقول عنه "ابني" "أحشائي". أليس هذا درساً لنا في

احترام الصغار؟!

✱ ✱ ✱

✱ وبنفس الأسلوب في توقير تلاميذه، يكتب في آخر رسالته إلى رومية:

فيقول عن أكيليا وبريسكلا "الذين لست أنا وحدى أشكرهما، بل أيضاً جميع كنائس الأمم". ويقول "سلموا على أندرونيكوس ويونياس" "الذين هما مشهوران بين الرسل، وقد كانا في المسيح قبلي" (رو ١٦: ٧). بينما كثيرون جداً من المسيحيين لا يعرفون عنهما شيئاً ويقول أيضاً "سلموا على روفس المختار في الرب، وعلى أمه أمي" (رو ١٦: ١٣). وفي إرسال سلامه يسجل تعب العاملين معه في الخدمة. ومن أولئك يذكر تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب" و"برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب" (رو ١٦: ١٢). بل في المقدمة وقيل الكل يذكر فيبي حادمة الكنيسة التي في كنخريا كي تقبلوها في الرب كما يحق للقيسين" (رو ١٦: ١). إنه يمتدح تلاميذه ويرفع ذكرهم. ويقول مثلاً "سلموا على أبلس المزكي في المسيح" (رو ١٦: ١٠). و"ابينتوس حبيبي الذي هو باكورة أخائي للمسيح" (رو ١٦: ٥).

بعد كل ما ذكرناه من التواضع في معاملة الصغار ، نسأل :

هل يمكن للمتضع أن

ينتهر ويوبخ ويعاقب؟

★ نعم ، يمكن هذا ، فإن القديس بولس هذا، قد وبخ وعاقب .

وبخ أهل غلاطية مثلاً وقال لهم "أمكذاً أنتم أغبياء. ابعد ما ابتدأتم بالروح، تكملون بالجسد؟" (غل ٣: ٣). وقال لتلميذه تيموثاوس الأسقف: "وبخ. انتهر. عظ، بكل أناسة وتعليم" (٢تى ٤: ٢). وقد عاقب خاطئ كورنثوس وأمر "أن يسلم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب" (١كو ٥: ٥). وأمر أهل كورنثوس قائلاً "اعزلوا الخبيث من بينكم" (١كو ٥: ١٣).

والقديس بولس وبخ القديس بطرس أيضاً قائلاً له "إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا" (غل ٢: ١٤).

ومع كل ذلك، كان القديس بولس متواضعاً. ويكفي قوله عن ظهورات السيد المسيح

بعد القيامة وآخر الكل، كأنه للسقط ظهر لى أنا، لأنى أصغر الرسل، أنا الذى لست أهلاً لأن أدعى رسولاً، لأنى أضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥: ٨، ٩).

✱ ✱ ✱

والقديس يوحنا المعمدان وبخ الفريسيين والصدوقيين الآتين إلى معموديته.

وقال لهم يا أولاد الأفاعى، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى. فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة. ولا تفكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً.. (مت ١٣: ٧، ٨). ولا ينكر أحد تواضع القديس يوحنا المعمدان.

✱ وإيليا النبي وبخ آخاب الملك لسيره وراء البعلع (١مل ١٨: ١٨).

وعاقب أنبياء البعل والسواري (١مل ١٨: ٤٠)، كما عاقب قائدى الخمسين الأول والخمسين الثانى (١مل ٢: ١٠، ١٢).

✱ ويعقوب أبو الآباء وبخ ابنه قائلاً "سمعون ولاوى أخوان. آلات ظلم سيوفهما. فى مجلسهما لا تدخل نفسى. بمجمعهما لا تتحد كرامتى.." (تك ٤٨: ٥، ٦).

وكثير من الأنبياء وبخوا أفراداً وجماعات، بل أرسلهم الله ليوبخوا.

✱ ✱ ✱

✱ بل السيد المسيح نفسه انتهر ويوخ، وهو الوبيع المتواضع القلب (مت ١١: ٢٩).

وبخ المدن التى صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تنب (مت ١١: ٢٠). وقال "ويل لك يا كوزين. ويل لك يا بيت صيدا.. وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء، ستهبطين إلى الهاوية.." (مت ١١: ٢١-٢٣). وبخ الكتبة والفريسيين المرائين (مت ٢٣).. وبخ تلميذه بطرس الرسول قائلاً له "اذهب عنى يا شيطان، أنت معثرة لى. لأنت لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (مت ١٦: ٢٣).

وانتهر تلميذه يعقوب ويوحنا لما طلبا منه أن تنزل نار وتحرق إحدى مدن السامرة. وقال لهما "لستما تعلمان من أى روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص" (لو ٩: ٥٥).

✱ ✱ ✱

✱ والأمثلة كثيرة، ولكن فلنناقش موضوع التوبيخ ومدى تمثيه مع التواضع.

أولاً: ممن يصدر؟ وهل الذى يوبخ وينتهر له سلطان أن يوبخ؟

هل كل إنسان له سلطان الرب في التوبيخ؟! أو له سلطان القديس يوحنا المعمدان، أو القديس بولس الرسول، أو القديس تيموثاوس الأسقف.

وهل هذا التوبيخ أو الانتهاز هو في حدود مسئوليتهم. مثلما في مسئولية الأب أن يوبخ ابنه ويؤدبه، كما قال الكتاب "أى ابن لا يؤدبه أبوه؟" (عب ١٢: ٧). أو هل له مسئولية المعلم في تأديب تلاميذه؟ أو مسئولية كل صاحب منصب في تأديب مروضيه أو توبيخهم، حتى لا يدفعهم التهلون إلى الاستهتار.

وما أعمق قول الآباء في البستان "أدبوا الأحداث قبل أن يؤدبوكم".

✱ ✱ ✱

ثانياً : ما هو الأسلوب الذى يتبعه المتواضع فى التوبيخ وفى التأديب؟

البعض يوبخ فى شدة وفى قسوة، وفى غير احترام للناس، ويظن أن فى ذلك فضيلة، ناسياً كيف كان القديس بولس الرسول يوبخ، هذا الذى قال لتلميذه تيموثاوس "وعظ وبخ انتهر". إنه يقول لشيوخ أفسس "ثلاث سنين.. لم أفر عن أنذر بدموع كل أحد" (أع ٢٠: ٣١). كان ينذر بدموع - فى تواضع وحب - وليس فى تسلط.

يقول أيضاً "أطلب إليكم بدعاة المسيح وحلمه، أنا نفسى بولس، الذى هو فى الحضرة ذليل، وأما فى الغيبة فمتجاسر عليكم" (١كو ١٠: ١). لاحظوا أنه يقول عن نفسه "فى الحضرة ذليل". لذلك يتشجع بالكتابة، ويحسب نفسه أنه متجاسر عليهم!! هذا هو أسلوب الشخص المتواضع حينما يوبخ، لا بروح تعالى، ولا بقسوة الأسلوب، ولا بالصوت العالى المتسلط.. وإنما بأسلوب الذى يحسن بالخشبة فى عينه، حينما يخرج القذى من عين أخيه...

✱ ✱ ✱

إنه أسلوب من يطلب حق الله من نفسه أولاً، قبل أن يطلب حق الله من الآخرين. فيوبخ فى وداعة المسيح وحلمه.

إنى أعجب لهؤلاء الذين لا يرون السيد المسيح إلا ممسكاً بالسوط! ولا يسمعونه إلا فى عبارة "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون". كما لو كانت حياة المسيح هى هذه فقط!!

إن السيد المسيح عامل الكتبة والفريسيين بكل لطف وبكل احتمال، دون أن يرد عليهم،

بل كان يزورهم. ويكل وداعة وحلم يحاورهم محاولاً اقناعهم. أما صبة الولايات عليهم، فكان في الأسبوع الأخير بالذات، حينما أراد أن يمهد الطريق لإلغاء تلك القيادات قبل صلبه، حتى لا تسيطر على الكنيسة الجديدة التي سيؤسسها بدمه. لذلك كشف رياءهم في الأسبوع الأخير، بعد طول صبر.. وليس هم فقط بل أيضاً الصدوقيين والناموسيين (مت ٢٢) والكهنة (مت ٢١).

فهل أنت في نفس موقف المسيح؟ وهل لك سلطانه؟ وهل لك وداعته وحلمه؟ أم أنك توبخ في غير اتضاع؟!...

الباب السابع :

الوداعة

- أهمية الوداعة .
- وداعة الله .
- صفات الإنسان الوديع .
- كيف تفتنى أو تفقد ؟
- الوداعة لا تتعارض مع الشجاعة
- * أمثلة كثيرة
- * الغضب المقدس .
- * قوة الشخصية .
- * الدفاع عن الحق .
- * الإنقاذ .
- * هل يمكن أن يدين ؟

الوداعة

أهمية الوداعة ١

فضيلة الوداعة من أهم الفضائل المسيحية. يكفي قول السيد الرب: "تعلموا منى لأنى وبيع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت ١١: ٢٩). كان يقدر أن يقول تعلموا منى سائر الكمالات المسيحية. لكنه ركّز على الوداعة والتواضع بالذات، وذكر نتيجة أنها أنكم "تجدون راحة لنفوسكم". فالإنسان الوديع يعيش في هدوء وراحة، بينما من يفقد الوداعة يعيش في صراعات وتعب... والسيد المسيح في عظته على الجبل، وضع التواضع والوداعة في مقدمة للتطويات. فقال "طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات.. طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض" (مت ٥: ٣، ٥). فهم يرثون هذه الأرض التي نعيش عليها، إن كانوا محبوبين من جميع الناس. كما أنهم في العالم الآخر، يرثون "أرض الأحياء" التي ذكرها داود النبي في المزمور (مز ٢٧: ١٣) حينما قال "أؤمن أنى أعاين خيرات الرب في أرض الأحياء"

وقال أيضاً "الرب يرفع الودعاء"، ويذل الخطاة إلى الأرض" (مز ١٤٧: ٦).



والقديس بولس الرسول يضع الوداعة ضمن ثمار الروح (غل ٥: ٢٣). فالإنسان الذي يسلك بالروح، من الطبيعي أن يكون وديعاً..

والذى يكون مسكناً للروح القدس، لا بد أن يكون وديعاً وهادئاً. وهكذا يقول القديس بطرس الرسول "...زينة الروح الوديع الهادئ، الذى هو عند الله كثير الثمن" (١بط ٣: ٤). وقال "يسمع الودعاء فيفرحون" (مز ٣٤: ٢).



ومن اهتمام الكنيسة بالوداعة، أنها تتصحنا بها فى كل صباح: فتضع لنا فى مقدمة صلاة باكر جزءاً من رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس يقول فيه "اسألکم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم إليها بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، محتملين بعضکم بعضاً فى المحبة.." (أف ٤: ١، ٢). ولاشك أن طول الأناة والاحتمال هما من صفات الوداعة أيضاً. التى تتصحنا بها الكنيسة فى كل صباح، لتسير بها طول النهار.



وفى شرح أهمية الوداعة فى الحياة الروحية، يقول القديس يعقوب الرسول : "من هو حكيم وعالم بينکم، فلير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة وحكمة" (يع ٣: ١٣). وشرح كيف أن "الحكمة النازلة من فوق، هى طاهرة ثم مسالمة مترفة مذعنة، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة" (يع ٣: ١٧). وهذه من صفات الوداعة. الوداعة إذن مرتبطة بالحكمة، والحكمة مرتبطة بالوداعة. وهذه هى "وداعة الحكمة".



حتى فى إصلاح الآخرين، يكون ذلك فى وداعة . وفى هذا يقول القديس بولس الرسول "أيها الأخوة إن انسبق إنسان فأخذ فى زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة. ناظراً إلى نفسك لنلا تجرب أنت أيضاً. إحملوا بعضکم أثقال بعض" (غل ٦: ١، ٢). إذن فى إصلاح شخص أخطأ، لا يكون ذلك بالعنف ولا بالشتيمة والتشهير، إنما بروح الوداعة. فهذا هو أسلوب الروحانيين.



وقد كانت الوداعة هى صورة المسيحيين منذ البدء. حتى إنه قيل عن روحيات المسيحيين فى العصر الرسولى: إنه حينما كان أحد الوثنيين يقابل زميلاً له، ويجده بشوشاً هادئاً.. يقول له "لعلك قابلت مسيحياً فى الطريق"!! ويقصد بذلك أن لقاءه مع أحد المسيحيين فى وداعته، يكون قد طبع الوداعة على وجهه بالتأثير.

ويقول القديس بطرس الرسول في الحديث عن الإيمان:

"مستعدين في كل حين، لإجابة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بدعوة وخوف" (ابط ١٥: ٣). وأما وقد تكلمنا عن أهمية الدعاة، فنقول إن الله هو مثالها الأول.

وداعة الله :

إن الله وديع في تعامله. يعطي الفرصة للعاملين معه، أن يكلموه بكل حرية، ويعبروا عن رأيهم - مهما كان يبدو مخالفاً - بكل جرة وبغير خوف!

من تواضع الرب كلم أبانا ابراهيم من جهة سادوم قبل أن يهلكها. وإذا يا ابراهيم يتكلم مع الله بجرأة عجيبة، ويقول له "أفتهلك البار مع الأئيم، فيكون البار كالأئيم. حاشا لك. أديار الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟" (تك ١٨: ٢٣-٢٥).

* * *

لولا وداعة الله الذي يقبل مثل هذا الكلام دون أن يقضب، ما كان ابراهيم يتكلم مع الله بمثل هذا الأسلوب!!

أحياناً لا يجروء موظف أن يكلم رئيسه هكذا، ولو كان هذا الرئيس مديراً لإدارة صغيرة..! أن يقول له: حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر، أو أن يلج له في كلامه أنه بذلك "لا يصنع عدلاً"!!

إن الله في وداعته طويل البال في الحوار .

كثيرون من رجال السلطة لا يقبلون أن يناقشهم أحد في قراراتهم. وإن قبلوا، لا يستطيعون أن يطول النقاش، وأن يستمروا في التنازلات. بل أنهم يضعون للحوار حدوداً. أما الله فوداعته بغير حد.

* * *

★ مثال آخر لوداعة الله، حديثه مع عبده موسى، بعد عبادة الشعب للعجل الذهبي. حيث أراد الله أن يفنى ذلك الشعب الخائن .

يقول الرب في وداعته - لعبده موسى "أتركني" لأفنى هذا الشعب (خر ٣٢: ١٠). ولكن موسى يقول للرب في جرأة "ارجع يارب عن حمو غضبك، واندم على الشر .. اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل..". وذكره بأنه قد يقول المصريون "أخرجهم بخبث، ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض" (تك ٣٢: ١٢، ١٣).

العجيب أن الرب في وداعته قبل كلام موسى، وندم على الشر (خر ٣٢: ١٤).

✱ ✱ ✱

في وداعة الرب مع ابراهيم قبل أن يناقشه في قراره. أما في وداعته مع موسى، فقد فعل ما هو أكثر: أن يلغى قراره!!

قد يوجد إنسان، بشر من تراب: إن طلبت منه أن يلغى قراره، يثور ويعتبر هذا الطلب ضد كرامته، ولا يقبل الرجوع عن قرار أصدره أو ينوى إصداره. أما الرب فواسع الصدر، ويقبل النقاش ويقبل الرجوع. وأكثر من هذا، يقبل الكلمات الشديدة في كلام عبده معه. مثل عبارات حاشا، ولا يصنع عدلاً، وأخرجهم بخبث ليهلكهم..
لولا أن الله وديع وطيب، ما كان يقبل كل هذا...

✱ ✱ ✱

★ أمثلة أخرى يقبل فيها الرب عبارة (لماذا) عن أحكامه وأعماله:

يقول له ارميا النبي "أبرّ أنت يارب من أن أخاصمك. لكن أكلّمك من جهة أحكامك: لماذا تتجح طريق الأشرار. إطمأن كل الغادرين غدرًا" (ار ١٢: ١). ما أكثر الرؤساء والحكام، الذين لا يجرؤ أحد أن يكلمهم من جهة أحكامهم، وأن يقول لهم لماذا؟ ولكن الله الوديع ليس كذلك...

ويقبل أيضاً أن يقول له عبده داود معاتباً "يارب لماذا تنقف بعيداً؟ لماذا تختفى في أزمنة الضيق؟" (مز ١٠: ١). يقول هذا للراعي الصالح، الذي لم يعوزه شيء (مز ٢٣: ١).

✱ ✱ ✱

★ بل لولا وداعة الله، ما كان يسمح للشيطان أن يناقشه وأن يطلب منه، في قصة أيوب الصديق.

وداعة من الله أنه بينما بنو الله يمثلون أمامه، يسمح أن يجيئ الشيطان في وسطهم (اي ١: ٦). ووداعة منه أيضاً أنه بينما يقول الله عن أيوب إنه رجل كامل ومستقيم.. يتدخل الشيطان محتجاً على ذلك فيقول "هل مجاناً يتقى أيوب الله؟ أليس أنك سيجت حوله وحول بيته.. وباركت أعمال يديه.. ولكن أبسط يدك الآن، ومن كل ما له، فإنه في وجهك يجذف عليك" (اي ١: ٩-١١).

والعجيب أنه - في وداعة الله - يقبل هذا الكلام من الشيطان، ويسمح له بأن يجرب أيوب قائلاً له "هوذا كل ماله في يدك" (اي ١: ١٢).

وبعد أن ينجح أيوب في التجربة، يسمح الله مرة أخرى للشيطان أن يقف أمامه مع بنى الله. ويبدى الرب إعجابه بأيوب قائلاً "وإلى الآن هو متمسك بكماله". وإذا بالشيطان يتناول ويقول لله "ابسط الآن يدك، ومسّ عظمه ولحمه، فإنه فى وجهك يجدف عليك!" (أى: ٢: ٥). والعجيب أنه فى وداعة الله يقبل من الشيطان ما قاله فى غير خجل! بل ويقول له أيضاً "ها هو فى يدك، ولكن احفظ نفسه" (أى: ٢: ٦).



مثل آخر فى الوداعة أن السيد المسيح يقبل أن يجربه الشيطان . واستغل الشيطان هذه الوداعة ، فقال للسيد عن كل ممالك الأرض ومجدها "أعطيك هذه جميعها، إن خررت وسجدت لى" (مت: ٤: ٩) .
إن الوديع يسمح أن يكلمه البعض بما يريد بكل جرأة. ولكن لا يجوز أن تستغل وداعة الوديع، لكى يتناول البعض عليه بغير حياء.

صفات الإنسان الوديع

١ - من صفات الإنسان الوديع إنه طيب وهادئ ومسالم :

إنه هادئ فى صوته، لا يصيح ولا يحدث شغباً.. وهادئ أيضاً فى معاملاته: لا يخاصم، ولا يقطع صلته بإنسان، ولا يحتد على أحد.

قيل عن السيد المسيح فى العهدين القديم والحديث إنه "لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفى" (مت: ١٢: ١٩، ٢٠) (أش: ٤٢: ٢، ٣).

إنه لا يقطع رجاء إنسان: فلا يطفى الفتيلة المدخنة، ربما تمرّ عليها ريح بعد حين، فتشعلها.



قيل فى لقائه مع إيليا النبى لما كان هارباً من الملكة إيزابل، إنه "إذا بريح عظيمة قد شقت الجبال وكسرت الصخور .. ولم يكن الرب فى الريح. وبعد الريح زلزلة، ولم يكن

الرب في الزلزلة. وبعد الزلزلة نار، ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف.. (١مل ١٩: ١١، ١٢). وكان الرب يتكلم..



٢ - هكذا هو صوت الله في وداعته، الصوت المنخفض الخفيف .

والإنسان الوديع إنسان هادئ، لا يرفع صوته أزيد مما يجب، ولا يعلو صوته أكثر مما تحتمل الحالة في الكلام. صوته هادئ غير صاخب. بعكس العنفاء الذين في كلامهم صخب. يتكلمون بصوت عالٍ وبحدة، وعنف.. أحياناً صوتهم يرفع..



٣ - والوديع : كما أن صوته منخفض، كذلك نظره منخفض أيضاً .

لا يحدق في أحد، ولا يحملق في أحد. تطبق عليه عبارة "لا يملأ عينيه من وجه إنسان". ومادام لا يملأ عينيه من وجه إنسان، فهو يحتفظ بمعاملات طيبة مع الكل، لأنه لا يفحص مشاعر الناس بنظراته، ولا يحاول أن يعرف ما بداخلهم. لأن محاولة معرفة الدواخل تعكر المعاملات.

أما غير الوديع فإتبه يكلم غيره، وينظر إلى عينيه أثناء كلامه ليرى هل هو صادق أم لا؟ وهل نظراته عكس كلامه؟ وهل ملامحه عكس كلامه؟ وهل هو يبتطن غير ما يظهر؟ وهل.. وهل..؟ مما يجعله يشك فيه...

٤ - أما الوديع فيكون في سلام مع الناس، لأنه لا يفحص ملامحهم وتصرفاتهم. إن تعامل مع أحد لا يتناول به الفحص والتحقيق. ولا يتناول كل ما يعمله هذا الشخص بتحليل وتدقيق، ويصدر أحكاماً عليه!

وإن جلس مع أناس يأكلون، لا ينظر إليهم ماذا يأكلون وكيف؟ وأي صنف يأكلونه؟ وما الذي يحبونه أكثر من غيره؟ وهل يأكلون بسرعة أو بشهوة أو بنهم؟ ولا يراقبهم أثناء الأكل، كما لو كان يحصى كم لقمة يأكلونها.



٥ - إنه هادئ لا يفحص أعمال الناس ولا يراقبهم. ولذلك فهو لا يقع كثيراً في إدانة الآخرين. يقول في داخله "ما شأنى بذلك؟".

فإدانة الآخرين تأتي غالباً من فحص الآخرين ومراقبتهم. أما الوديع فيقول في نفسه "وأنا مالى؟ خلينى في حالى". نعم ما شأنى بكل هؤلاء؟ وما دخلى بتصرفاتهم؟ إن كان

السيد المسيح قد قال في إحدى المرات "من أئامنى قاضياً أو مقسماً؟" (لو ١٢ : ١٤) ... لماذا أقول أنا عن نفسى؟ ولماذا أتدخل فى أمور لست مسؤولاً عنها؟ ولماذا أقحم نفسى فى أمور ليست من شأنى؟ وهكذا يحتفظ بسلامه الداخلى.



٦ - والإنسان الوديع يكون دائماً بشوشاً مبتسماً، لا يهجم فى وجه أحد. لا يقطب جبينه ولا نظراته، ولا يتجهم. ولا يستقر عليه أبداً روح الغضب أو الضيق. له ابتسامة حلوة محببة إلى الناس، وملامح مريحة لكل من يتأملها. ولا تسمح له طبيعته الهائلة أن يزجر ويوبخ، وأن يشتد ويحتد. بل هو بطبيعته إنسان هادئ. وكلامه لين ولطيف، وبخاصة إن كان من الخدام أو من رجال الدين.

إن قوانين الكنيسة وتعاليم الآباء تطلب من رجال الدين أن يكونوا بشوشين، يتصفون بالحلم والسماحة غير مخاصمين (١تى ٣ : ٣). وكذلك سير الآباء تقدم لنا أمثلة كثيرة للوجه السمع المحب والمحبوب. فرجل الدين الذى فى ملامحه سلام، يمكنه أن يمنح الناس سلاماً. أما للمتجهم دائماً فإنه يخونهم من الدين نفسه.



٧ - الإنسان الوديع يتمتع بسلام داخلى. فهو لا يزعج ولا يضطرب، ولا يتسجس، مهما كانت الأسباب الخارجية.

قد يكون البحر هائجاً والأمواج مرتفعة، والسفينة تضطرب فى البحر ذات اليمين وذات اليسار. أما الصخرة الثابتة فى البحر فإنها لا تضطرب. والجنادل التى فى البحر لا تهتز، مهما كان عنف الأمواج..

كذلك الوديع: هو كالصخرة أو الجندل، لا يتزعزع مهما كانت الظروف. بل فى هدوء يسلم الأمر لله ولا يضطرب. يقول مع داود النبى فى المزمور: "إن يحاربنى جيش، فلن يخالف قلبى. وإن قام على قتال، ففى هذا أنا مطمئن" (خر ٢٧ : ٣).

يقول ماراسحق "من السهل عليك أن تحرك أحد الجبال من موضعه. وليس سهلاً أن تحرك الإنسان الوديع عن هدوئه".



٨ - ومهما عمل الوديع، لا يتذمر ولا يتضجر، ولا يشكو. بل غالباً ما يلتمس العذر لغيره، ويبرر فى ذهنه مسلكه، ولا يظن فيه سوءاً، وكان

شيئاً لم يحدث! ولا يتحدث عن إساءة الناس إليه، ولا يحزن بسبب ذلك في قلبه. فإن تأثر ذلك أو غضب، سرعان ما يزول تأثره ويصفو. ولا يمكن أن يتحول حزنه إلى حقد..

٩ - وقد يثور البعض عليه، ويوجه إليه اتهامات أو إهانات. فلا يحتد. ولا ينتقم لنفسه، ولا يقاوم الشر (مت ٥: ٣٩).

بل قد يصمت في هدوء، ويتسم في وجه من يثور عليه ابتسامة بريئة، وكأنه ليس هنا! مما يجعل التأثير عليه يخجل من إهاتته له!

هذا الإنسان الوديع، له أحياناً طبع الطفل الهادئ المبتسم.

١٠ - الإنسان الوديع بعيد عن الغضب، حليم واسع الصدر.

إنه لا يغضب بسرعة، ولا يبطء. ولا يفعل الانفعالات الشديدة. ولا تراه أبداً ثقراً ولا عصبياً بل ملامحه هادئة. وكما أنه لا يغضب، فإنه لا يتسبب في غضب أحد. وإن غضب منه أحد، فإن له "الجواب اللين الذي يصرف الغضب" (لم ١٥: ١).

لذلك فهو إنسان طويل البال، وكثير الاحتمال.

وإذ "له صورة الله" (تك ١: ٢٦، ٢٧)، فهو مثله يحتمل الخطاة الذين يخطئون إليه، ويطلق أناته عليهم، ويعيش في سلام.

الوديع يتميز بأنه إنسان بطئ الغضب.

كما قال معلمنا القديس يعقوب الرسول "ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الاستماع، مبطلاً في التكلم مبطلاً في الغضب. لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يع ١: ٩). وما أكثر ما قيل عن إلهنا الوديع: إنه "بطئ الغضب" (يون ٤: ٢)، وإنه "طويل الروح كثير الرحمة" (مز ١٠٣: ٨).

١١ - كذلك فإن الوديع لا يغضب لأي سبب.

إذا غضب الوديع، فاعرف أنه لابد من أمر خطير دعاه إلى ذلك. وغالباً ما يكون غضبه لأجل الرب، وليس لأجل نفسه، وليس بسبب كرامته أو حقوقه كما يفعل غير اللودعاء.

وإذا غضب لا يثور ولا يفقد أعصابه. إنما يعبر عن غضبه بعدم موافقته وعدم

رضاء. فالوديع أعصابه هادئة، لا يفعل بسرعة. وإذا انفعل لا يشتعل.

١٢ - وإذا غضب ، لا يحقد. إنما سرعان ما يصفو ويغفر .

وهكذا قيل عن إلها الوديع إنه "لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا.. لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن" (مز ١٠٣: ٩-١٤).

١٣ - الإنسان الوديع مسالم لا ينتقم لنفسه .

لا يقاوم الشر (مت ٥: ٣٩). أى لا يقابله بمثلته. وإنما هو كثير الإحتمال. لا يدافع عن نفسه، بل غالباً ما يدافع الغير عنه، موبخين من يسئ إليه بقولهم "ألم تجد سوى هذا الإنسان الطيب لتعدي عليه؟".

الإنسان الوديع لا يؤذى أحداً، بل يحتمل الأذى من المخطئين .

ما أجمل ما قيل عن موسى النبي "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣).

حتى أنه حينما تقولت عليه أخته مريم، ووبخها الله على ذلك وعاقبها فضربها بالبرص.. تشفع فيها موسى، وهو فى موقف المُساء إليه. وصرخ قَلْباً "اللهم إشفها" (عد ١٢: ١٣).

ومن الأمثلة الجميلة ، ما قيل عن وداعة سليمان الملك وسعة صدره، إن الله منحه "حكمةً وفهماً كثيراً جداً، ورحبة قلبه كالرمل الذى على شاطئ البحر" (امل ٤: ٢٩).

١٤ - والإنسان الوديع طيب ، سهل التعامل مع الناس .

إذا تناقش مع أحد، لا يجعل المناقشة تحدد وتتعد، بل يبدى رأيه ببساطة، ويدافع عنه بهدوء، بطريقة وديعة، كما يقول للكتاب "مى وداعة الحكمة" (يع ٣: ١٣)، حتى إن كان ينه محاوره إلى خطأ!

إنه بسيط فى التعامل، لا عنده دهاء ولا مكر ولا خبث .

ولا يظهر غير ما يبطن . ولا نعنى بكلمة (بسيط) أنه إنسان ساذج! كلا، بل قد يكون فى منتهى الحكمة. ولكنه فى بساطته لا يحقد الأمور. وهو لا يلف ولا يدور فى حديثه،

ولا يدبر خطئاً ضد أحد.

✽ ✽ ✽

١٥ - بل هو صريح ومريح يمكنك أن تثق به وتطمئن إليه .

ورقيق في معاملته ، لا يחדش شعور من يتحاور معه، إذا أخطأ. بل هو حلو الطبع، دمث الخلق، حسن المعاملة. لذلك تجده محبوباً من الكل، كإسنان طيب ...

✽ ✽ ✽

١٦ - الإنسان اللوديع مملوء من الحنان والعطف، حتى على أشد الخطاة .

فإن رأيت إنساناً قاسياً في تعامله، أعلم أنه غير وديع .

أنظروا إلى وداعة السيد المسيح مع المرأة السامرية، وكيف أنه لم يجرح شعورها ولم يחדش حياتها ولا بكلمة واحدة. بل أجتنبها إلى الاعتراف بدواعة ولطف. ووجد فيها شيئاً يستنحه، فقال لها "حسناً قلت إنه ليس لك زوج.. هذا قلت بالصدق" (يو: ٤: ١٧، ١٨).. وبهذه الوداعة أمكنه أن يقتادها إلى التوبة، وإلى الإيمان بأنه المسيح وبشرت أهل المدينة بذلك (يو: ٤: ٢٩).

وبنفس الوداعة أيضاً تصرف مع المرأة الخاطئة المضبوطة في ذات الفعل.. لم يكتها. بل أنقذها من الذين أرادوا رجمها. فلما أنصروا قال لها "أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانتك أحد؟ ولا أنا أدينك. أذهبي ولا تخطني أيضاً" (يو: ٨: ١٠، ١١).

✽ ✽ ✽

وفى وداعة من نوع آخر، عاتب بعد القيامة تلميذه بطرس :

ذلك الذي أنكزه ثلاث مرات، وحلف ولعن وقال: لا أعرف الرجل (مت: ٢٦: ٧٤). فقال له الرب ثلاث مرات "يا سمعان بن يونا، أتجنني أكثر من هؤلاء؟" .. ومعها ثلاث مرات ثبتته في عمل الرعاية بقوله "أرع غمى.. أراع خرافي" (يو: ٢١: ١٥ - ١٧). وهكذا أيضاً في وداعة، قابل نيقوديموس ليلاً (يو: ٣: ٢).

ولم يوبخه على خوفه من اليهود.. إذ جاء إليه ليلاً، حتى لا ينكشف أمره لهم.. وإذا بالسيد المسيح - في وداعته - يلصقه بمحبته، التي جاهر بها بعد صلبه، إذ اشترك في تكفينه مع يوسف الرامي (يو: ١٩: ٣٩).

✽ ✽ ✽

وداعة الله تعامل الخطاة بطول أناة. وطول أناته تنتظر توبتهم.

وهو يود توبتهم، دون أن يعرضهم إلى عدالته ونقمة.

وهكذا الإنسان الوديع لا ينتقم من المخطئين إليه، قائلاً في نفسه: "لا أنتقم من أحد، لئلا
 الله ينتقم أيضاً منى بسبب أخطأتى". ولا يفرح مطلقاً ببلياة المسيئين إليه. لأن الفرحان
 ببلياة لا يتبرأ (أم ١٧: ٥).



١٧ - والإنسان الوديع يضع أمامه أربع درجات فى التعامل مع المخطئين :

منها احتمال المخطئ إليه، فلا يغضب منه، ولا يثور عليه .

ثم المغفرة للمخطئ، فلا يمسك عليه خطيئته، ولا يحقد عليه .

ثم الصلح مع المخطئ. ولتكن المبادرة منه هو، كما قال الرسول: "مسرعين إلى حفظ
 وحدانية الروح برباط للصلح الكامل" (أف ٤: ٣).

وأكثر من هذا كله: محبة هذا المخطئ، كأخ. والصلاة من أجله حسب وصية الرب
 "وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت ٥: ٤٤).

وهو لا يفعل ذلك كله، إلا إذا كان قلبه واسعاً، وطبعه هادئاً. ويتشبه بالهنا الوديع الذى
 قال عنه المرتل فى المزمور إنه "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب أثامنا"
 (مز ١٠٣: ١٠).



١٨ - وأكثر من هذا، فإن السيد المسيح الوديع يقيم عذراً للمخطئين .

فلما ذهب إلى بستان جثيمالى مع ثلاثة من أقرب تلاميذه إليه، وذلك فى أخرج
 الأوقات، فى الليلة التى سيقتض فيها عليه. وكان يجاهد ونفسه حزينة حتى الموت
 (مت ٢٦: ٣٨). ولم يسهر تلاميذه معه فى تلك الليلة، بل ناموا لأن أعينهم كانت ثقيلة.
 وعلى الرغم من أنه عاتبهم قائلاً "أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة؟"، إلا أنهم
 ناموا أيضاً...

فقال لهم ناموا الآن واستريحوا". ولتتمس لهم عذراً فى نومهم وتخلفهم عنه، قائلاً "أما
 الروح فتشيط، وأما الجسد فتضعف" (مت ٢٦: ٤١)... ما أعمق وداعتك يارب! حتى
 هؤلاء النائمين فى أخرج ساعات جهادك، تلتمس لهم عذراً، بل تذكر أيضاً لهم شيئاً حسناً،
 قائلاً عنهم "أما الروح فتشيط!"



١٩ - الإنسان الوديع ، لا يتشبه برأيه، ولا يكون غدياً.

وإن دخل في مناقشة، يكون هدفه أن يكسب من يناقشه، لا أن يكسب المناقشة ذاتها. لا يظهر للمناقش أخطاؤه، ولا يكشف له ضعف حجته. بل في إيجابية ودیعة، يشرح وجهة نظره بأسلوب رقيق مقنع.. وهو في كسبه لمن يناقشه بكل لياقة وأدب، يمكنه أن يكسب المناقشة...

لما غير الوديع، فيتمسك بلية نقطة - مهما كانت صغيرة - ويقوم عليها مشكلة ومناقشة، ويكبرها ويضخمها، ويصير الحبة قبة كما يقول المثل! حتى لو طلق البعض قائلًا "لوقعت في يد فلان؟" فليفتك الله منه إته يمكن أن يستنتج لك أخطاء في كلامك، لم تفكر فيها قط!!



٢٠ - الإنسان الوديع لا يحل إشكالاً بإشكال آخر ...

إته بطبيعته الودیعة يحب أن يبعد عن المشاكل، ويتفادها بقدر طاقته. وإن وُجد أمام مشكلة، إما أن يحتملها في هدوء، أو أنه يعطيها مدى زمنيًا تحل فيه، أو يجد لها حلاً في هدوء، أو أن يمررها دون أن تجعلها تمرره أو تمرر غيره.. المشكلة بالنسبة إليه كقطعة طين القيت في بحر واسع، فلم تعكر البحر، بل ذابت في أعماقه..!



٢١ - الإنسان الوديع هو شخص (مهاود)، يعمل إلى الطاعة:

طبعاً يطيع في ما لا يخالف ضميره، وما لا يخالف وصية الله. أما بقى الأمور، فيكون فيها سهل الاستجابة، ولا يجعلها موضعاً للجدل والنقاش.

أما غير الوديع، فقد يكون صلباً وشديداً في كل ما يُطلب منه. ويظل يضع أسئلة وعرائيل: لماذا تريد؟ وكيف يمكن التنفيذ، وهناك صعب؟ ولماذا تطلب مني أنا بالذات؟ وعلام الإسراع؟ لماذا لا تنتظر؟ ومن قال لك إن وقتي يسمح وإن ظروفی تسمح؟! ويستمر في المعارضة.. وقد ينتهي به الأمر أن يرفض، لو قد يوافق أخيراً، بشروط وبعد تعب في الأخذ والرد.



٢٢ - أما الوديع، فإنه يريد باستمرار أن يريح غيره.

والخير الذي يستطيع أن يعمله لأجل غيره، فإنه يعمل به بكل محبة وكل هدوء، وبدون

جدل، وبدون إبطاء. وكما قال الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون في طاقة يدك أن تفعله.." (أم ٣: ٢٧).

٢٣ - لذلك فالإنسان الوديع يكون مستعداً لأداء أية خدمة .

سواء كان ذلك في نطاق عمله الرسمي أو تطوعاً منه: لأن هناك نوعاً من الموظفين الرسميين ليست لهم روح الخدمة ولا روح الوداعة في الاستجابة لطلبات الجماهير. ولذلك قلت مرة: إن الموظف الوديع للمريح يجد حلاً لكل مشكلة. أما الموظف المتعبد المعقد، فإنه يجد مشكلة لكل حل!!

ولكن الوديع يعمل باستمرار على إراحة غيره، حتى لو لم يكن مسئولاً عن ذلك رسمياً. إنه يستجيب بكل بشاشة لكل طلب يُطلب منه. وحتى دون أن يُطلب منه، يعمل تطوعاً لخير غيره وراحته...

٢٤ - وإن نال للوديع مركزاً أو سلطة يستخدم ذلك لخدمة الناس.

لا يرتفع قلبه بالمركز أو السلطة، بل يظل خادماً للجميع، محققاً للناس ما يستطيع أن يحققه لهم عن طريق سلطته وإمكانياته. كما قال السيد الرب "إن ابن الإنسان لم يات ليخدم بل ليخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٨).

٢٥ - من أجل هذا كله، يكون الوديع باستمرار شخصاً محبوباً.

الناس يحبون فيه طيبة قلبه، وبشاشة ملامحه، وحسن تعامله، وطاعته وخدمته للكل، ورقة أسلوبه. وبسبب ذلك يدافعون عنه إن أصابته أية أذية. الكل يدافع عنه، وإن كان هو لا يدافع عن نفسه.

والشخص الذي يستغل طيبته ويظلمه، يتعبه ضميره ويخاف، لأنه قد أذى إنساناً طيباً لا يؤذى أحداً!

٢٦ - والإنسان الوديع له سلام في قلبه، لا يتعب من أحد .

وإن ضغطت عليه الظروف وتعب، لا يظهر تعب في الخارج بهيئة ضيق أو نرفزة، أو برد الإهانة بمثلها.. كلا، فهو كما أن له سلاماً داخل قلبه، كذلك له سلام مع الناس.

٢٧ - ومن صفات الوديع : الهدوء والبعد عن العنف .

إن العنف هو عكس الوداعة تماماً. فحتى لو كان الوديع فى موضع المسئولية، وكان من واجبه أن يوبخ وينتهر، فإنه يفعل ذلك أيضاً فى غير عنف. وإن اضطرتّه مسئولياته أن يحكم على أحد، فإنه يحكم فى غير قسوة وفى غير ظلم. وإن لجأ إلى العتاب لو النصيح، فإنه يكون رقيقاً فى نصحه، وهادئاً ومحباً فى عتابه.

ينطبق عليه ما قلناه مرة فى رثاء الأرشيدياكون حبيب جرجس:

يا قوياً ليس فى طبعه عنفٌ	ووديعاً ليس فى ذاته ضعفٌ
يا حكيماً أذب الناس وفى	زجره حبٌّ وفى صوته عطفٌ
نك أسلوب نزيه طاهرٌ	ولسانٌ أبيض الألفاظ عفٌ
لم تقل بالذم إنساناً ولم	تذكر السوء إذا ما حلّ وصفٌ
إنما بالحب والتشجيع قد	تصلح الأعوج، والأكدرُ يصفو



٢٨ - الإنسان الوديع هو إنسان بسيط .

ونقصد بالبساطة عدم التعقيد . فقد يكون بسيطاً وحكيماً فى نفس الوقت. كما قال السيد الرب "كونوا بسطاء كالحمائم، وحكماء كالحيات.." (مت ١٠ : ١٦) ... فهو يكون فى عقله حكيماً، وفى تصرفاته بسيطاً...

بقى أن أحدثك عن كيف تُقنّى الوداعة؟ وكيف يفقدها البعض؟

كيف تقتنى الوداعة؟ ولماذا تفقد؟

إقتناء الوداعة ،

هناك من ولدوا من بطون أمهاتهم ودعاء، بطبع هادئ لم يتعبوا في أقتنائه، إنما نالوه عن طريق الوراثة، أو هبة من الله وهبهم إياها، بعكس البعض الذين يؤلدون بطبع نارى يميل إلى العصية أو إلى العنف...

ولسنا عن الودعاء بالطبع أو الميلاد أو الهبة، نتكلم هنا...
إنما نتحدث بصفة عامة عن كيفية إقتناء الوداعة أو تعودها...

والإنسان الذى يصل إلى الوداعة بجهاد وضبط النفس ومحاولات للسيطرة على أعصابه وعلى إرادته، هذا يكون أجره عند الله أكبر.

إنه يجاهد ربما بتدريبات كثيرة - لكى يضبط ذاته، ويضبط أفكاره، وألفاظه، وحركاته، ويقتنى كل أنواع الهدوء.. ويتخلص من الغضب والنفرة بكل أنواعها وكل نتائجها.

إنها وداعة ليست طبيعية وإنما مكتسبة. مثالها القديس موسى الأسود، الذى كان مضروباً وقتالاً وحاد الطبع، بل كان مخيفاً أيضاً. ولكنه بضبط النفس، وبالتدريب والصبر، بحكمة المرشد ومعونة الله، صار وديعاً جداً. وقد اختبروا وداعته يوم سيامته قساً، نجح فى الاختبار.

ومادام الله يطلب منا أن نكون ودعاء، فلا بد أنه قد وضع فى إمكانيه طبيعتنا الوصول إلى هذه الفضيلة، وتنفيذ وصيته فيها (مت ١١ : ٢٩).

*تكرّب يا أخى إذن على الهدوء ، وأبدأ مثلاً بهدوء الصوت:

فى حديقك العادى؁ ابعء عن الصوت العالى. وءاول أن يكون صوتك منءفصاً ءفياً. ولاشك أن هذا أمر سهل. ءءرج منه إلى الصوت الهاءى غير الءاء. فلا ءءكلم بعنف ولا بشءة؁ مءءفظاً بأعصابك ءينما ءءكلم؁ مءءكماً فى نبرات صوتك..

فإن ءءربت على هءوء الصوت؁ ءءرب أيضاً على هءوء الملامء .

لأن الشءص الغضوب؁ يظهر غضبه فى ملامءه؁ وفى نظرات عينيه؁ وفى ءءهمه وءقطيب ءبينه. فإن وءءء أنك ءء وءلءء إلى هذا كله؁ أو إلى بعض منه؁ ءل لنفسك: إن شكلى الآن أصبء لا يلىق؁ بل ربما أصبء منءراً.. وءينءء ءاول أن ءهءى ملامءك. وءءءء أنك مضطر فى نفس الوقت أن ءهءى إنفعالاتك الءاءلىة...

★نقطة ءالءة : وهى هءوء الءركات .

الشءص الغضوب ءء يظهر غضبه فى عءم هءوء ءركاته؁ وبءاصة فى ءركات يءيه. فى العسكرىة لا ىسءطىء ءنءى أن ىءءء أء رؤساءه وهو ىءرك ىءى يءيه؁ بل ىقال له "إءبء.. ءذلك أنت؁ ءاول أن ءضبء لىس ءقء ءركات يءيك؁ بل ءركاتك. وكن هاءئاً فى ءلسنك؁ وفى مشىءك؁ لا ءءملل؁ ولا ءظهر العصبىة عليك؁ ولا ءبءو أمام الناس منفعلاً..

✱ ✱ ✱

★وفى كل ذلك ءءرب على هءوء ألفاظك .

غير الوءعاء ءصءر عنهم ألفاظ ءاسىة عنىة؁ أو ألفاظ مءهءمة ءءىر مءءئهم؁ أو ألفاظ ءءءل فى نطاق الشءىمة والإهانة. أو أنهم فى غضبهم: إذا ءءكموا لا ىراعون ءقة الألفاظ ءءمسك عليهم أءطاء. وءء يكونون فى كلامهم غير مهءبين؁ ىسءءءمون ألفاظاً ءارءة؁ أو غير لائقة؁ أو ألفاظاً ءءرج عن ءءوء الءب والوقار والءشمة. وكل هذا ضد الوءعاء.. أما أنت ءء ءءاول أن ءضبء ألفاظك. وإن لم ءسءطع ذلك فى غضبك؁ إذن ءاول أن ءضبء غضبك. أو على الأقل: إن غضبء؁ اصمء. وءل "ضع ىارب ءافظاً لقمى؁ وباباً ءصىناً لشفىءى" (مز ١٤١: ٣).

✱ ✱ ✱

★على أن أهم من هذا كله. هءوء القلب ووءاعءه .

فالوءاعة فى أصلها هى وءاعة القلب. والقلب الوءىع يكون وءىعاً فى كل شئ: فى صوءه؁ فى ملامءه؁ فى ألفاظه؁ فى أعصابه؁ فى ءركاته. لأن كل هذه مظاهر ءارءىة ءعبر عن ءالة القلب من الءاءل. ومع ذلك فالءءرب عليها ىوصل إلى وءاعة القلب؁ أو ىنبه القلب إلى الاءءزام بالوءاعة.

★ على أن وداعة القلب ترتبط بفضائل أخرى كثيرة .

لعل في مقدمتها التواضع. فالإنسان المتواضع يتصرف في وداعة. والسيد المسيح جمع الفضيلتين معاً في آية واحدة، حينما قال "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). كذلك المحبة أيضاً إن عاش الإنسان فيها، يحيا بالضرورة في حياة الوداعة. فالمحبة كما قال الرسول: تتأني، وتترفق، ولا تقبح، ولا تحتد، ولا تظن السوء... وتحتمل كل شيء، وتصبر على كل شيء (١ كو ١٣: ٤-٧). وكل هذه من صفات وعناصر الوداعة أيضاً.

كذلك الوداعة ترتبط بفضائل اللطف، والهدوء، وطول الروح، وسعة الصدر، والتسامح، وريح النفوس، والحكمة. فمن يقتنى هذه الفضائل وأمثالها، يقتنى الوداعة أيضاً. والوداعة تُقتنى أيضاً بعمل النعمة في القلب . ويحتاج الإنسان أن يطلب ذلك في صلاته، وأن يتجاوب عملياً مع عمل النعمة فيه، ويشترك مع الروح القدس الذي يقوده إلى الوداعة. فإن إقتنائنا الوداعة، نحرص ألا نفقدها. فما أسباب فقدها .

أسباب فقد الوداعة :

هناك أسباب إذا سلك فيها الإنسان بطريق خاطئ، فإنها تفقده وداعته، أو لا تساعد على إقتنائها من بادئ الأمر. نذكر من بينها:

السلطة والمركز والغنى وسائر نواحي العظمة :

أحياناً يتولى إنسان منصباً رفيعاً، فيظن أنه من مستلزمات المنصب أن يأمر وينهى، ويزجر وينتهر، ويتعالى وينظر إلى الآخرين من فوق. وهكذا يفقد وداعته وتواضعه أيضاً، ويدخله روح التسلط...

ولكن ليست المناصب العليا أمراً مانعاً للوداعة. فهناك عظماء ودعاء، جمعوا بين الرئاسة والوداعة. مثل داود النبي وهو قائد للجيش في عهد شاول الملك (١ صم ١٨: ٥)، كان وديعاً ويختلط بالناس في محبة "وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبون داود لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم" (١ صم ١٨: ١٦).

والسيدة العذراء وصلت إلى أعلى مركز تصل إليه امرأة، إذ أن جميع الأجيال تطوبها

(لو ١: ٤٨) ومع ذلك لم تفقد وداعتها. والسيد المسيح نفسه فى كل مجده، كان وديعاً. لكن الذى يستغل المنصب والعظمة استغلالاً خاطئاً، فهذا الذى يفقد الوداعة، مثل الكتبة والفريسيين (مت ٢٣). وهامان فى سفر أستير .

✱ ✱ ✱

★ ويدخل فى نطاق العظمة أيضاً : الغنى والمال :

وعلى الرغم من ذلك نقرأ فى التاريخ عن أغنياء كانوا ودعاء، وكانوا يخلطون بالفقراء والمحتاجين يحلون لهم مشاكلهم مثل المعلم ابراهيم الجوهري وأخيه المعلم جرجس الجوهري.

✱ ✱ ✱

★ وقد يفقد البعض وداعتهم ، إذا ما دخلوا فى مجال إصلاح الآخرين، بطريقة خاطئة.

ويظن هؤلاء أن وسيلة الإصلاح لا تأتى إلا بالعنف والشدة. أو أن الدفاع عن الحق لا يتم إلا بالتشهير ، وإدانة المخطئين أو من يظنونهم مخطئين، بسبهم علناً وتحريض الناس ضدهم. ويحسبون أنهم بذلك يخلعون الزوان من الأرض، بينما يخلعون الحنطة معه (مت ١٣: ٢٩). ولا يضعون أمامهم قول السيد الرب "أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك" (مت ٧: ٥).

مشكلة أولئك وأمثالهم أنهم يفقدون وداعتهم، ويرتكبون العديد من الخطايا، دون أن يدركوا ذلك، بل على العكس يفتخرون بما يفعلون!... وأكثر من ذلك يحسبون أنفسهم أبطالاً ومصلحين!...

✱ ✱ ✱

★ يذكرنى هذا بأشخاص يُعهد إليهم بتنظيم أحد الاجتماعات .

وباسم العمل على حفظ النظام، ينتهرون، ويصيحون. بل ويمنعون ويطردون. ويستخدمون كل القسوة فى عملهم. وأحياناً لا نسمع ضوضاء فى الاجتماع، إلا ما يصدر من أصوات المنظمين!

لماذا لا يعمل أولئك على حفظ النظام فى هدوء، وفى غير عنف. مثل عصا الراعى التى ينظم بها مسيرة غنمه، بالإشارة واللمس دون أن يضرب. لذلك يقول المرتل فى مزمور الراعى "عصاك وعكازك هما يعزياننى" (مز ٢٣: ٤٩).

✱ ✱ ✱

★ البعض يفقد وداعته باسم الصراحة وقول الحق:

وباسم الصراحة يجرح شعور الآخرين بطريقة منفرة مؤذية. والعجيب أنه يقول في افتخار "أنا إنسان صريح. أقول للأعور أنت أعور، في عينه!" ولماذا يا أحمى تجرحه وتؤلمه بصرحتك هذه، الخالية من المحبة، ومن اللياقة؟! أما كان ممكناً أن تستخدم أسلوباً آخر؟!

إن السيد المسيح كان صريحاً مع المرأة السامرية، في رفق، بأسلوب لم يجرح فيه مشاعرهما، بل امتدحها فيما تستحق فيه المديح (يو ٤: ١٧، ١٨). وبهذا الأسلوب الرقيق الرفيع، اجتذبها إلى الإيمان.

✱ ✱ ✱

★ وقد يدخل في موضوع الصراحة هذه، العتاب .

فقد يوجد إنسان - بالعتاب - يربح أخاه. بينما آخر، يفقده للوداعة في عتابه يفقد صديقه أيضاً. وقد قال الشاعر في هذا:

ودع العتاب قرباً شرّاً
كان أوله العتابا

★ إنسان آخر يفقد وداعته بسبب الحزم .

والحزم ليس معناه بالضرورة العنف. فما أسهل أن يكون الإنسان حازماً ووديعاً. يأخذ موقفاً حازماً، وفي نفس الوقت يشرح سبب هذا الحزم بطريقة مقنعة لا تفقده محبة من يستخدم الحزم معهم. وهكذا يفعل الأب مع أبنائه، يتصرف بحزم ممزوج بالمحبة والإقناع. وبمثل هذا الحزم أيضاً يتصرف رئيس مع مرؤوسيه، ولكن بحزم بعيد عن الغضب والنزعة، بل بحكمة رصينة هادئة.

بهذا الحزم منع الرب داود النبي من بناء الهيكل، شارحاً السبب في ذلك (١أى ٢٨: ٣، ٦). وفي نفس الوقت لم يجرح شعور داود، ولم يتعارض ذلك مع محبته له.

✱ ✱ ✱

★ البعض يفقد وداعته بسبب الحرص على كرامته الشخصية .

وهذا أمر رديء. فالكرامة الحقيقية هي أن يحتفظ الإنسان بالصورة الإلهية التي خلق بها (تك ١: ٢٦). ولكي نكون على صورة الله وشبهه، ينبغي أن نكون ودعاء مثله.

★ والبعض يفقد الوداعة في مجال الشجاعة .

وهذا ما سنتحدث عنه الآن ...

الوداعة لا تتعارض مع الشجاعة والشهامة

الوداعة هي الطيبة، واللطف والهدوء. ولكن لا يصح أن تفهم فهماً خاطئاً. وكأن الوديع يبقى بلا شخصية ولا فاعلية، ويصبح كجثة هامدة لا تتحرك!! بل قد يصير هزأة يلهو بها الناس!!

وبالفهم الخاطئ يتحول هذا (الوديع) إلى إنسان خامل لا يتدخل في شيء!
كلا. هذا كلام غير مقبول لا يتفق مع تعليم الكتاب، ويفقد الوداعة صفتها كفضيلة. ولا يتفق مع سير الأياء والأنبياء.



حقاً إن الإنسان الوديع هو شخص طيب وهادئ. ولكن هذا هو نصف الحقيقة. أما النصف الآخر فهو أن الوداعة ليست منفصلة أو متعارضة مع باقى الفضائل كالشجاعة مثلاً أو الشجاعة.

وإنما "لكل شيء تحت السموات وقت" كما يقول الكتاب (جا: ١).

نعم، هكذا يعلمنا الكتاب: "للغرس وقت، ولقلى المغروس وقت.. للسكوت وقت، وللتكلم وقت" (جا: ٢، ٧). هكذا أيضاً بالنسبة إلى الوديع: يعرف متى يهدأ، ومتى يفعل؟ متى يصمت، ومتى يتدخل؟

ولقد سئل القديس الأنبا أنطونيوس الكبير مرة عن أعظم الفضائل: هل الصلاة أم الصوم أو الصمت..؟ فأجاب إن أهم فضيلة هي الإفراس: أى الحكمة فى التصرف، أو تمييز ما ينبغى أن يعمل.



الطيبة هي الطبع السائد عند الوديع. ولكن عندما يدعو الموقف إلى الشهامة أو الشجاعة أو الشهادة للحق، فلا يجوز له أن يتمتع عن ذلك بحجة التمسك بالوداعة..! لأنه لو فعل ذلك، وامتنع عن التحرك نحو الموقف الشجاع، لا تكون وداعته حقيقية. إنما تصوير رخاوة في الطبع، وعدم فهم للوداعة، بل عدم فهم للروحانية بصفة عامة. فالروحانية ليست تمسكاً بفضيلة واحدة، تُلغى معها باقي الفضائل. إنما للروحانية هي كل الفضائل معاً، متجانسة، ومتعاونة في جو من التكامل. وأماننا أمثلة كثيرة من الكتاب في مقدمتها السيد المسيح له المجد.

السيد المسيح ٢

إنه وديع ومتواضع القلب (مت ١١: ٢٩) "قصبه مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت ١٢: ٢٠).. ومع ذلك فإنه لما رأى اليهود قد دنسوا الهيكل. وهم يبيعون فيه ويشترون، "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى. وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت ٢١: ١٢، ١٣) (يو ٢: ١٤-١٦).

أكان ممكناً للمسيح - باسم الوداعة - أن يتركهم يجعلون بيت الأب بيتاً للتجارة؟! أم أنه مزج الوداعة بالغيرة المقدسة كما فعل. "فتذكر تلاميذه أنه مكتوب: غيرة بيتك أكلتني" (يو ٢: ١٦، ١٧).



وكما قام السيد المسيح بتطهير الهيكل، هكذا وبخ الكتبة والفريسيين .

حقاً "كل أمر تحت السموات وقت". للهواء وقت، وللغيرة المقدسة وقت. للسكوت وقت، وللتعليم وقت. وقد كان الكتبة والفريسيون يضلون الناس بتعليمهم الخاطئ. فكان على المعلم الأعظم أن يكشفهم، ولا يبيقهم جالسين على كرسي موسى في المجتمع المسيحي الجديد. فقال لهم "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيونه المرؤوس. لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس. فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون" (مت ٢٣: ١٣).

هل كان ممكناً - باسم الوداعة - أن يتركهم يغلقون أبواب الملكوت؟! *



الوداعة فضيلة عظيمة. ولكنها لا تمنع من الغيرة المقدسة. وكذلك لا تمنع من الشهادة للحق، كما فعل السيد المسيح له المجد.

والشهادة للحق أمر هام يريده الله. ولعل أهميته تظهر من قول الله على لسان ارميا النبي في العهد القديم "طوفوا في شوارع اورشليم وانظروا واعرفوا، وفتشوا في ساحاتها. هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فاصفح عنها؟" (أر ٥: ١). وقال الرب لتلاميذه: "وتكونون لى شهوداً" (أع ١: ٨).
فهل الوداعة تمنع الشهادة للحق. أمامنا بولس الرسول كمثال.

بولس الرسول :

نضع أمامنا موقفه من القديس بطرس الرسول، لما سلك مع الأمم مسلماً رآه بولس الرسول مسلماً ريانياً. فقال القديس بولس في ذلك مقاومته مواجهة لأنه كان ملوماً. وقلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يهودوا؟" (غل ٢: ١١، ١٤).

ومعروف عن القديس بولس أنه إنسان وديع. أليس هو القائل في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس "أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه، أنا نفسى بولس، الذى هو فى الحضرة ذليل بينكم. وأما فى الغيبة فمتجاسر عليكم.." (٢كو ١٠: ١).
بولس الوديع هذا - حينما أضطرته الضرورة - وبخ القديس بطرس الرسول، الذى كان أقدم منه فى الرسولية، وأكبر منه سناً، وكان أحد أعمدة الكنيسة (غل ٢: ٩). ولكن وداعة القديس بولس لم تمنعه من توبيخ ذلك الشيخ الكبير، ومواجهته قدام الناس.
إن فضيلة الوداعة لا يجوز لها أن تعطل بقى الفضائل .
وأمامنا مثل فى مزج الوداعة بالشهامة هو ابراهيم أبو الآباء :

أبونا إبراهيم :

لاشك أن ابراهيم أبا الآباء كان وديعاً. هذا الذى سجد لبنى حث، حينما طلب مكاناً يدفن فيه سارة زوجته. بينما كان بنو حث يبجلونه قاتلين "أنت يا سيدى رئيس من الله بيننا. فى أفضل قبورنا أدفن ميتك" (تك ٢٣: ٦-٧). ومع ذلك سجد لهم!..

ابراهيم الوديع هذا، لما أخبروه بسبى لوط ضمن سبى سادوم فى حرب أربعة ملوك ضد خمسة. يقول الكتاب "فلما سمع ابرام أن أخاه لوطاً قد سبى، جرّ غلمانَه المتمرنين ولدان بيته ثلاثمائة وثمانية عشر، وتبعهم إلى دان وكسرهم، وتبعهم إلى حوية.. واسترجع كل الأملّك، واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضاً والشعب" (تك ١٤ : ١٤-١٦).

أكاتت شهامة ابراهيم ونخوته ضد وداعته وطيبته؟! حاشا.

مثال آخر فى امتزاج الوداعة بالشهامة والشجاعة والقوة، هو الصبى داود فى محاربته لجليات الجبار.

داود النبى :

لاشك أن داود كان وديعاً. يقول عنه المزمور "انكر يارب داود وكل دعتة" (مز ١٣٢ : ١). داود راعى الغنم الهادئ، صاحب المزمار، الذى يحسن الضرب على العود (اصم ١٦ : ٢١). داود الحسن المنظر مع حلاوة فى العينين (اصم ١٦ : ١٢).

داود هذا، لما ذهب إلى ميدان الحرب يفتقد سلامة أخوته، وسمع جليات الجبار يعير الجيش كله ويتحداه، والكل ساكت وخائف.. تملكته الغيرة المقدسة. وبكل شجاعة وقوة وإيمان قال "لا يسقط قلب أحد بسببه" وعرض أن يذهب ليحاربه (اصم ١٧ : ٣٢). وتقدم فى شجاعة نحو ذلك الجبار الذى أخاف الكل وقال له "اليوم يحبسك الرب فى يدي..!" (اصم ١٧ : ٤٦). وأعانه الله فانتصر عليه وخلّص الجيش منه.

وعلى الرغم من قوة داود وشجاعته، لم تفارقه وداعته ولا اتضاعه. بل قال لشاول الملك فيما بعد لما طارده "وراء من خرج ملك إسرائيل؟ وراء من أنت مطارده؟ وراء كلب ميت! وراء بر غوث واحد!" (اصم ٢٤ : ١٤).

مواقف لشجاعة الوديع

نتابع كلامنا في هذا الموضوع ، فنذكر النقاط الآتية :

الغضب المقدس :

ومثال لذلك موسى النبي الوديع، الذي قيل في وداعته "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣).

ماذا فعل هذا الوديع، حينما نزل من على الجبل، ووجد الشعب في رقص وغناء حول العجل الذهبي الذي صنعوه وعبدوه؟ يقول الكتاب "فحمى غضب موسى، وطرح اللوحين (لوحى الشريعة) من يديه، وكسرهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوه وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعماً، وذراه على وجه الماء" (خر ٣٢: ١٩، ٢٠). ووبخ موسى أخاه هارون رئيس الكهنة، حتى ارتبك أمامه هارون وخاف. وقال له "لا يُحم غضب سيدى. أنت تعلم الشعب أنه في شر". وقال في خوفه وارتيابه عن الذهب الذي جمعه من الناس "طرحته في النار، فخرج هذا العجل" (خر ٣٢: ٢٢، ٢٤). وعاقب موسى الشعب. فمات في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف.

موسى الوديع غضب غضبة مقدسة للرب، ووبخ وعاقب. وما كان يستطيع في وداعته أن يسكت على الذى حدث . إن الوداعة لا تمنع الغضب المقدس .
الوداعة أيضاً لا تمنع قوة الشخصية ولا قوة التأثير .

قوة الشخصية :

كان السيد المسيح وديعاً، وفي نفس الوقت كان قوى الشخصية، وكان قوياً فى تأثيره على غيره. ولكننى أريد هنا أن أقدم مثلاً فى مستوى البشر الذى شرحنا من قبل شيئاً عن وداعته، وهو بولس الرسول.

يقول سفر الأعمال عن القديس بولس وهو أسير "وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيلكس (الوالى) وأجاب: أما الآن فلذهب. ومتى حصلت على وقت استدعيك" (أع ٢٤: ٢٤، ٢٥).

ولما وقف بولس - وهو أسير أيضاً - أمام أغريباس الملك. قال له بعد أن ترفع أمامه "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟ أنا أعلم أنك تؤمن". فقال أغريباس الملك لبولس "بقليل تثقنى أن أصير مسيحياً" (أع ٢٦: ٢٧، ٢٨). .. وحينئذ فى قوة وعزة، أجابه للقديس بولس: "كنت أصلى إلى الله، أنه بقليل وكثير، ليس أنت فقط، بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى، يصيرون هكذا كما أنا، ما خلا هذه القيود" (أع ٢٦: ٢٩). أترى تتعارض الوداعة مع هذه القوة؟! كلا بلا شك.

الدفاع عن الحق :

وقت الضرورة، لا تتنافى الوداعة مع الدفاع عن الحق .

* ويتضح هذا الأمر من قصة بولس الرسول مع الأمير كلوديوس ليسياس، لما أمر أن يفحصوه بضربات، ليعلم لأى سبب كان اليهود يصرخون عليه. يقول الكتاب "فلما مدوه للسياط، قال بولس لقائد المائة الواقف "أجوز لكم أن تجلدوا رجلاً رومانياً غير مقضى عليه؟! وإذ سمع القائد هذا، أخبر الأمير الذى جاء واستخبر من بولس عن الأمر. "وحينئذ تحى عنه الذين كانوا مزعمين أن يفحصوه. واختشى الأمير لما علم أنه روماني، ولأنه قيده" (أع ٢٢: ٢٥-٢٩).

ما كان القديس بولس يهرب من الجلد، فهو الذى قال "من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة" (٢كو ١١: ٢٤). لكنه هنا دافع عن حق معين، وأظهر للأمير خطأ كان مزعماً أن يقع فيه. وما كان هذا يتنافى مع وداعة القديس بولس.



*وينفس الوضع لما أراد فستوس الوالى أن يسلمه إلى اليهود ليحاكم أمامهم. وبهذا يقدم لهم منة (أى جميلاً). فقال له القديس بولس فى حزم - مدافعاً عن حقه - "أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر، حيث ينبغي أن أحكم. إلى قيصر أنا رافع دعواى". فأجابه الوالى "إلى قيصر رفعت دعواك. إلى قيصر تذهب" (أع ٢٥: ١٠-١٢).

لم يكن القديس بولس خائفاً من اليهود. لكنه - لى حكمة - طلب هذا، ليذهب إلى رومه - حيث يوجد قيصر - ويشر هناك. لأن الرب كان قد تراءى له قبل ذلك وقال له "ثق يا بولس. لأنك كما شهنت بما لى فى اورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد فى روميه أيضاً" (أع ٢٣: ١١). وهكذا دافع عن حقه فى وداعة وحكمة دون أن يخطئ. بل تكلم كلاماً قانونياً .

الوداعة أيضاً لا تمنع من تنبيه خاطئ، لإنقاذه من خطأ أو خطر .

تحذير لوحيد الخطاة :

كما قال القديس يهوذا الرسول غير الأسفريوطى "خلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار" (يه ٢٣).

فهل إذا رأيت صديقاً أو قريباً على وشك أن يتزوج زواجا غير قانونى، من قرابة ممنوعة، أو بعد طلاق غير شرعى بتغيير المذهب أو الملة. أو أنه مزعم أن يتزوج زواجا مدنياً أو عرفياً. أو ما شاكل ذلك.. هل تمتنع باسم الوداعة عن تنبيهه إلى أن ما ينوى عمله هو وضع خاطئ؟! كلا، بل من واجبك أن تنصحه. وليكن ذلك بأسلوب هادئ فى غير كبرياء ولا تجريح. أما إن سكّنت، فإن سكوتك سيكون هو الوضع الخاطئ.

* * *

ليست الوداعة أن تعيش كجثة هامدة فى المجتمع. بل تتحرك، وتكون لك شخصيتك. وبأسلوب وديع. قل ولو بكلمة واحدة - كقول للمعدان - "لا يحلّ لك" (مت ١٨: ٤).

بشرط أن ما تقوله يكون هو الحق، وليس مجرد اندفاع متهور بغير معرفة... يقول القديس بولس "اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً، لم أفر عن أن أنذر بدموع كل واحد" (أع ٢٠: ٣١). وداعته لم تمنعه عن أن ينذر كل واحد. ولكن بأسلوب وديع، كان ينذر بدموع. حتى لو قال كلمة شديدة، سيقبلونها منه.

هل تظنون أن الوديع قد أعفى من قول الرب لتلاميذه "وتكونون لى شهوداً" (أع ١: ٨).

كلا، بلا شك. فحيثما تلزم الشهادة للحق، لا بد أن نفعل ذلك.

الإِنقاذ :

هل إذا اتاحت فرصة للتوبيع أن ينقذ أحداً معتدى عليه مثلاً أو فى خطورة... أترأه يمتنع عن ذلك باسم الوداعة؟

هل من المعقول أن يقول "وما شأنى بذلك؟!" أو يقول "وأنا مالى؟ خلينى فى حالى!!" أم فى شهامة ينقذه، وبأسلوب وديع. كما أنقذ السيد المسيح المرأة المضبوطة فى ذات الفيل من أيدي راجميهـا. فى هدوء. وقال للراغبين فى رجمها "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو: ٨: ٧). وفعل ذلك بوداعة دون أن يعلن خطاياهم "بل كان يكتب على الأرض".

الإِدانة :

هل يمكن للتوبيع أن يدين أحداً. متى؟ وكيف؟

أمامنا أمثلة من الكتاب المقدس، فى مقدماتها السيد المسيح له المجد:

هذا الذى قال "لم يرسل الآب ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص" (يو: ٣: ٧)، والذى قال لليهود "أنتم حسب الجسد تدينون. أما أنا فليست أدين أحداً" (يو: ٨: ١٥) .. هو فى مناسبات عديدة أدان كثيرين: مثلما أدان الكتبة والفريسيين (مت: ٢٣). وأدان كهنة اليهود قائلاً لهم "إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطى لأمة تصنع أثماره" (مت: ٢١: ٤٣). وأدان الصدوقيين قائلاً لهم "تضلون إذ لا تعرفون الكتب" (مت: ٢٢: ٢٩). وأدان تلميذه بطرس لما قال له حاشاك يارب (مت: ١٦: ٢٣).

السيد للمسيح - مع وداعته - أدان، ولكن بسُلطان، وبهدف روحى .

✱ ✱ ✱

كذلك فإن القديس بولس الرسول قال لتلميذه تيموثاوس "الذين يخطنون ويخهم أمام الجميع، لكى يكون عند الباقين خوف" (١تى: ٥: ٢٠). هنا الإدانة بسُلطان، ومن أجل سلامة الكنيسة.

هناك أشخاص من حقهم - بل من واجبهم - أن يدينوا .

ولا تتعارض إدانتهم مع الوداعة. مثل الوالدين، والأب الروحى. والمدرس بالنسبة إلى

تلاميذه، والرئيس بالنسبة إلى مروضيه.. بل إن على الكاهن تد عاقبه الله، لأنه لم يحسن
تربية أولاده ويدينهم (١ صم ٣).



هوذا الكتاب يقول "لا تخالطوا الزناة" (١ كو ٦: ٩). فهل تقول: أنا لا أدين هؤلاء! حتى
إن لم نقل عليهم أية كلمة إدانة، فإن عدم مخالطتهم وعدم مخالطة مجموعات أخرى من
الخطاة (١ كو ٦: ١١) تحمل ضمناً إدانتهم. وكذلك بالنسبة إلى المنحرفين في التعليم
الديني، يقول الرسول "إن كان أحد يأتيكم، ولا يجي بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا
تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة" (٢ يو ١، ١١). فهل باسم
الوداعة نقبل هؤلاء؟! كلا. بلاشك.

المسألة ليست حكماً وإدانة. بل يقول الرسول "خطايا بعض الناس واضحة، تتقدم إلى
القضاء" (١ تي ٥: ٢٤). أنت لست تدينهم، بل أعمالهم تدينهم. وأنت بكل وداعة تبتعد
عنهم، كما ينصح المزمور قائلاً "في طريق الخطاة لا تقف، وفي مجلس المستهزئين لا
تجلس" (مز ١).

هناك مواقف يجد فيه للوبيع نفسه مضطراً أن يتكلم، ولا يستطيع أن يصمت. مثلما
فعل اليهو في قصة أيوب للصديق وأصحابه:

كان اليهو وديعاً. ظل صامتاً مدة طويلة. ولكنه أخيراً لم يستطع أن يصمت. وكان الله
هو المتكلم على فمه. وهو الوحيد الذي لم يجادل أيوب (أي ٣٢-٣٧).

فهرست

صفحة

٥	قصة هذا الكتاب
٧	الباب الأول : حياة الاتضاع
٨	الاتضاع بين الفضائل
٩	تطويب التواضع
١٣	ما هو الاتضاع؟ بعض أقوال الآباء عنه
١٦	تطويب الآباء والقديسين للتواضع - بعض أقوال الآباء
٢٤	حث على الاتضاع
٢٨	احذر من التواضع الزائف
٣٠	تواضع الله
٣٦	تواضع الابن، وتواضع الروح القدس
٤١	تواضع الروح القدس
٤٣	الباب الثاني : وسائل الاتضاع وعلاماته
٤٤	وسائل الاتضاع وعلاماته
٥٨	وسائل وعلامات أخرى لحياة الاتضاع
٥٩	الباب الثالث : العظمة والكبرياء
٦٠	الكبرياء والعظمة خطية مركبة تلد خطايا كثيرة - مقاومة الله للمتكبرين
٦٢	تسامخ الروح
٦٣	الإدانة ومسك السيرة - البر الذاتي
٦٤	المكابرة - البدعة أو الهرطقة
٦٦	العناد - نتائج أخرى
	المتكبر يرتفع فيسقط والمتكبر دائماً يبرر ذاته
٦٧	المتكبر يفقد حياة الوداعة وحياة التوبة - يرتفع فيسقط
٧٠	المتكبر يبرر ذاته
٧٣	العجرفة
٧٥	التجارب والمواهب

٧٩	الباب الرابع : الذات سبب الكبرياء
٨٠	الذات سبب الكبرياء - تريد أن تكبر
٨٢	الغرور
٨٣	تحقيق الذات
٨٥	السيطرة - الطمع
٨٦	كلمة أنا
٩٠	لا أنا
٩٢	كيف تتخلص من الذات [من الأنا] - قهر الذات
٩٣	محبة الآخرين وخدمتهم
٩٤	التواضع
٩٥	إدانة الذات
٩٧	ضع أمامك مثال المسيح
٩٨	تدريب الميل الثاني
٩٩	الباب الخامس : المجد الباطل ومحبة المديح والكرامة
١٠٠	الكبرياء تلد المجد الباطل والبر الذاتي - البر الذاتي
١٠٥	الكبرياء تلد المجد الباطل والمجد الباطل يلد محبة المديح والكرامة
١٠٥	محبة المديح - الذين يحبون المديح
١٠٩	الخطايا التي تنتج عن محبة المديح والكرامة
١١٤	الهروب من المديح والكرامة - إخفاء الفضائل
١١٥	البعد عن الرئاسة
١١٩	لماذا يهرب المتواضع من حب الرئاسة والرعاية
١٢٤	كيف تهرب من محبة المديح والكرامة
١٢٩	الباب السادس : علاقة الاتضاع بالفضائل والمواهب
١٣٠	النعمة
١٣١	القوة
١٣٣	الاعتراف
١٣٤	الشفقة على المخطئين
١٣٥	الإيمان والبساطة
١٣٧	التعليم

١٣٩	علاقة التواضع بالصلاة - حاجته إلى الصلاة
١٤٠	طريقة الصلاة
١٤١	عدم الاستحقاق
١٤٢	التواضع في الطلب
١٤٣	يطلب الصلاة لأجله
١٤٤	التواضع واحترام الآخرين - مثال السيد المسيح
١٤٥	احترام الكبار
١٥٠	احترام الأبوة والأمومة - احترام أبوة الله
١٥١	احترام الأبوة الجسدية
١٥٢	احترام الأبوة الروحية
١٥٣	احترام الأمومة
١٥٤	احترام الصغار
١٥٧	هل يمكن للمتضع أن ينتهر ويوبخ ويعاقب
١٦١	الباب السابع : الوداعة
١٦٢	الوداعة - أهمية الوداعة
١٦٤	وداعة الله
١٦٦	صفات الإنسان الوديع
١٧٦	كيف تقتنى الوداعة ؟ ولماذا تفقد - إقتناء الوداعة
١٧٨	أسباب فقد الوداعة
١٨١	الوداعة لا تتعارض مع الشجاعة والشهامة
١٨٢	السيد المسيح
١٨٣	بولس الرسول - أبونا إبراهيم
١٨٤	داود النبي
١٨٥	مواقف لشجاعة الوديع - الغضب المقدس
١٨٦	قوة الشخصية - الدفاع عن الحق
١٨٧	تحذير لأحد الخطاة
١٨٨	الإقنعة - الإدانة

فصل الكتاب



بسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد آمين

يحفظك هذا الكتاب عن:

أهمية التواضع والوداعة.

كواضع الله ، ووداعة الله

الرجال الأباء عن التواضع .

احتر من التواضع الزائفة .

ومائل للتواضع وعلاماته

صفات الإنسان الوديع

كيفية إقتناء الوداعة

خطورة التكبرياء والمطعة

المجد الباطل والبر الذاتي

محبة للمذبح والكرامة

كيف تهرب من محبة المذبح

التهروب من محبة الرئاسة

للذات سبب التكبرياء

كيف نتخلص من الذات

علاقة التواضع بالقضايا

التواضع واحترام الآخرين

هل المتواضع يوبخ ويتهرب

ما هي الوداعة وأهميتها

هل تتعارض الوداعة مع الشجاعة

والشهادة

إنها دوامة مع تكرارها

حاول أن تفكرها وتعيها.

السلامة شهوده الثالث

اللعن - ٢٥٠ قرشاً